هيكل النفس

بسم الله الرحمن الرحيم
(هيكل النفس)

رسمة :
١ (تصور الكمال) - ٢ (مقارنة مع الحال)- ٣ (شعور بالقصور)- ٤ (رغبة في الكمال)- ٥ (أفكار لتحقيق الرغبة)- ٦ (أعمال لتحقيق الرغبة).
من تصور الكمال خط عليه "إذا تساوت" شعوري/لاشعوري يوصل إلى سحابة ٨(الرضا).
من تصور الكمال خط عليه "مقارنة" مع ٧(احال).
من مستطيل رقم ٦ خط عليه "سرية/علنية". وتحت المستطيل "جسمانية/تبريرات/أحلام/دعاء القوي".

..-...

(١) **١/تصور الكمال.** تصوراتنا عن الكمال يمكن أن تكون شعورية نابعة من اختيارنا لقيمة معينة أنها من الكمال. أو لاشعورية بتأثير التربية والمجتمع والتعود على كون فكرة أو قيمة معينة تعبّر من الكمال.

وبما أن أهم ما في النفس هو تصور الكمال، لأنه منبع كل مشاعرنا وأفكارنا وأعمالنا، فيجب على العاقل أن يحلل تصوره للكمال ويطهره ويختار كل قيمة بعناية قبل أن يقرر أنها من الكمال. لأن كل حياته تعتمد على هذا العمل الفكري العظيم. ولا تنسى أن الذي لا يختار بنفسه فإنه يجعل هذا الاختيار في يد غيره. فتصور الكمال كالصندوق، إذا لم تملأه أنت فإن غيرك سيملأه لك. وإن لم تكن أنت تهتم بنفسك فهل تتوقع أن يهتم بك ولك غيرك.

اللاشعورية له باب هو الشعور. وبحكم صغر السن وضعف التجربة والعلم، فإن الناس عادة تسمح للأسرة والمجتمع أن يُدخلوا ما يشاؤون إلى قلبنا الباطني ونبع حياتنا. وأول ما يجب على البالغ فعله هو نقد لا شعوره، وتحليل القيم الساكنة فيه. وتستطيع أن تعرف هذه القيم اللاشعورية بالنظر إلى باقي الهيكل، أو هيكل النفس. فانظر إلى رغباتك وأعمالك ومشاعرك فإنها باب لاشعورك.فانظر إلى الأمور التي ترغب فيها، والتي تشعر أنك ناقص لو لم تكن متحققة عندك، وانظر إلى أعمالك، وحلل أحلامك وأدعيتك ومجادلاتك، ولاحظ كيف تنفعل الحوادث التي تمر أمامك، ولاحظ المشاعر التي تتولد فيك عندما تسمع خبراً ما أو يقع لك أمر ما. وهذه هي أهمية هيكل النفس، فإن كل عضو يدلك على العضو الذي قبله وينبئ عن الذي بعده.

ومن أحسن الأمور التي تظهر لك لاشعورك هو أن تحلل شخصية مثلك الأعلى الحقيقي. فمن أسرع ما يملأ اللاشعور هو اتخاذ مثل أعلى. فتصبح نفس هذا المثل الأعلى هي النفس الكاملة عندك، وبذلك تبعد تقارن نفسك به تلقائياً، ثم تكتمل دائرة هيكل النفس لاشعورياً.

فالاختيار الحقيقي الوحيد الذي يملكه الإنسان، والإرادة الحرة الوحيدة هي في اتخاذ مثل أعلى، أي النفس التي تملأ تصور الكمال. ولا توجد فرحة إلا بالسعي إلى تحقيق هذا التصور في واقع النفس، فتتحد نفسك مع مثلك الأعلى. ولا يوجد عذاب إلا عندما يقارن الإنسان نفسه مع تصوره للكمال فيجد نفسه لم يبلغ ذلك بعد، سواء لم يبلغ التمام أو لم يبلغ بعض الصفات خاصة الكبرى منها. وأشقى الناس هو الذي يجعل لنفسه تصوراً للكمال لا يستطيع أن يبلغه لاستحالته أو لاعتقاده أنه لا يستطيع أن يبلغ إلى الاتحاد به، وهذا ليس فقط أشد الناس تعذباً ولكن أغباهم على الإطلاق لو كنت تعلم أنه ليس في الإمكان الاتحاد مع تصور للكمال فلماذا اخترته أصلاً؟

تصور الكمال يتكون من قيم إيجابية فقط، إما قيم يجب الوصول إليها وهي الكبرى، وإما قيم من الحسن الوصول إليها وهي الصغرى. فمثلاً، لا يوجد فيه قيمة تقول "يجب أن لا أكون جاهلاً" ولكن "يجب أن أكون عالماً". وحتى لو قال شخص لنفسه "يجب أن لا أكون جاهلاً" فإن عقله يستقبل "يجب أن أكون عالماً" ولا يفهم العقل إلا لغة الإيجابيات. وهذه كلها أمور نسبية، بحسب ما يختار الشخص. فلا يوجد قيمة كبرى مطلقاً أو صغرى مطلقاً. فقد يختار شخص قيمة ويجعلها كبرى. وآخر لا يجعلها قي تصور للكمال أصلاً. القيم الكبرى تسبب الألم المستمر لفاقدها والفرحة المستمرة لمن يحققها. والقيم الصغرى قد لا تسبب ألماً يشعر به الشخص أو يشعر به قليلاً ثم ينساه.

فمثلاً، قد يختار الإنسان كقيمة كبرى "يجب أن يكون جسمي نحيفاً جميلاً". وكقيمة صغرى "من الحسن لو كانت ملابسي من محل فاخر". ولو كان في الواقع بديناً بشعاً فإنه سيشعر بالألم في كل يوم، وفي كل مرة ينظر فيها إلى المرآة. وفي كل مرة يذهب إلى السوق ليشتري الملابس، وفي كل مرة يخرج مع أصدقائه ويقابل امرأة. وأما الصغرى فقد لا يبالي بها كثيراً خاصة لو تحققت له الكبرى. فيسلّي نفسه بأحد التبريرات. كأن يقول "يغنيني جمال جسمي أو شراء الملابس الفخمة من زخرف الحياة الدنيا" وما أشبه.

على أي أساس يجب أن يختار الإنسان تصوره للكمال؟ لا يوجد يجب ولا يجب في هذا الأمر. أنت حر تماماً في اختيارك هذا. وقيمتك بحسب قيمك. ولكن تذكر أن ألمك وفرحتك مرهون باختيارك هذا. أما أنا شخصياً أفضّل أن أجعل تصوري للكمال كالبناء، فأجعل القاعدة أمر لا أحتاج لتحقيقه إلى ناس ولا مال ولا حواس، لأن الناس قد يموتوا والمال قد ينفد والحواس قد تتعطل، وبذلك لا أحتاج إلا إلى نفسي لأكون في فرحة، وبعد طول تأمل لم أجد هذا الأمر إلا في أمر واحد، وهو التأله الباطني في الوجود اللانهائي. ثم أبني بحسب الضرورات الجسمية والعقلية والاجتماعية. وهذا أمر بطول تفصيله. ولكن هذه هي مهمة الأديان والمذاهب الفكرية عامة. هي تقدّم تصورات للكمال إلى الناس. وعادة الذين يتكاسلون عن القيام باختيارهم يلجئون إلى آخرين قاموا بالسفر النفسي واختاروا وصمموا بضاعتهم وعرضوها على الناس.

فإن شئت أن تشتري بضاعة غيرك وتجعلها في بيتك، وإن شئت أن تنتج بضاعتك بنفسك وتأكل من عرق جبينك، ولكن مهما تفعل فأكرر التذكير بأهمية وعظمة هذا الأمر. فانظر جيداً، وانقد جيداً، ولا تتعجل. فأن لا يكون عندك إلا قيمة واحدة تخلق فيك الفرحة خير من أن تمتلئ نفسك بسبعين قيمة تفتح عليك أبواب جهنم من كل مكان. وحدد القيمة وعرفها جيداً ولا تكن ضبابية حتى لا تشوي عليك حياتك. فتصبح وأنت لا تعرف هل حققت تصورك أم لا، فتخلق في قلبك ألم الحيرة. فانقد القيم ثم قرر ثم حدد.

(٢) ٥/ أفكار لتحقيق الرغبة. أعقد العمليات الفكرية يمكن أن يتم، بل يتم لاشعورياً. ومن أكبر الدلائل على هذا ظاهرة الأحلام. وردات الفعل. والكلام المرتجل المنظم. والمشاعر التي تُثار بسبب شيء عابر أو لمحة بسر. فاللاشعور يحوي من الأفكار والذكريات والقوة ما يجعل العقل الواعي الشعور يظهر وكأنه قطرة بالنسبة إلى البحر. الفكرة الشعورية هي التي تسمع صوت نفسك وأنت تخلقها. أو تكون تفكر في حضور عقلك تماماً، فلا عندما تحل اختبار في الجامعة.

فيوجد نوعين أو درجتين من الأفكار، السرية والعلنية. الأفكار السرية إنما تخفيها بسبب خشية الرقابة، سواء أكانت الفكرة السرية مقبولة شخصياً أو مرفوضة. والأفكار العلنية إنما تعلنها بسبب حصول الموافقة ضد الرقابة، سواء أكانت الفكرة المعلنة مقبولة شخصياً أم مرفوضة.

الرقابة قد تكون اجتماعية "سأعاقب عليها"، أو تكون دينية "سأحاسب عليها". والرقابة الاجتماعية التي تكبت فكرة مقبولة عند الشخص نفسه تخلق الأحلام والأمراض النفسية وازدواج الشخصية والجرائم. والتي تكبت فكرة مرفوضة عند الشخص نفسه فإنها تكون دافع زائد تجعل الشخص يلغي فكرته في مزبلة النسيان، وتجعله يشعر بقربه من مجتمعه وتخلق نوع من الحب بين الفرد ومجتمعه. فهذه الرقابة الاجتماعية هي مجرد رقابة ظاهرية، وأقصى ما يمكن أن تفعله هو أنها تمنع الفرد من تحقيق فكرته إلا شعر أنه سيعاقب. ولكن إذا ظن أنه سيفلت من العقاب، أو لن يطوله العقاب فإنه لن يبالي بها وسيفعل ما يشاء.

أما الرقابة الدينية "سأحاسب عليها" فهي رقابة باطنية. والمفترض فيها أن الإله يعلم ما في نفس الإنسان، ولذلك يصبح الإنسان يخشى حتى أن يفكّر في الأمر الذي يعتبره دينه معصية وسبب لغضب الإله أو الآلهة، فيعمل هو بنفسه على كبت فكرته. وهذا أشد نوع من الكبت على الإطلاق، أن يُمنع الإنسان من مجرد التفكير بالأمر خشية العقاب من الإله، والحساب على كل صغيرة وكبيرة تخطر على النفس، حتى لو خطرت له لاشعورياً وبغير إرادته. ولذلك لن تجد من أصحاب العقد النفسية مثل ما ستجد عند أهل فكرة "سأحاسب عليها" وهذا من أهم أسباب تخلّف أكثرهم الفكري، لأن الترقي الفكري يقتضي نزع الرقابة وقتلها، حتى تطوف الأفكار بحرية، ثم ينقد ويختار. فإذا كانت مجرد الخاطرة قد تودي بالشخص في الجحيم فماذا بقي من الكبت والتخلف العقلي.

وإذا كانت عند شخص فكرة هو يراها حسنة مقبولة. ولكن الدين يقول أنها سيئة يعاقب عليها الإله، فإنه إما أن يكبت فكرته ويقلّ حبه للدين، وإما أن لا يبالي بالدين بتأويله أو رفضه. ولذلك فالدين الذي يعلم أتباعه الكبت هو دين فاشل يريد أصحابه أو زعمائه أن يتكسبوا منه لأنفسهم ولا يبالون بما يقع للناس الذين يرونهم كالأتباع البهائم ليس أكثر. وأما لو كانت الفكرة مرفوضة عنده وفي الدين، فإن هذا يجعله يتعلق في الدين أكثر. ومن الأحسن أن يأتي الدين ويمسح تصور الإنسان للكمال، بمسحه كله، ثم يملأه بتصوره للكمال. وبذلك يأمن من تعارض أفكار التابع مع أفكار الدين. ولكن هل يستطيع الناس أن يحصروا مصدر علمهم في مكان واحد أو كتاب واحد؟ لعل هذا هو التوحيد الحقيقي.

هذا بخصوص الأفكار السرية التي تخفيها عن الناس وعن أنفسنا. أما الأفكار العلنية، فإنما نعلنها بسبب تيقننا أو ظننا القوي بموافقته الرقابة عليها. والموافقة هذه قد تكون اجتماعية "الناس تريد هذا"، أو دينية "الرب يريد هذا"، أو شخصية "أنا أريد هذا". فالموافقة حرب الإرادات. أي الإرادات أقوى. إرادة المجتمع، أو إرادة الدين، أو إرادتي أنا. والذي يخضع إرادته لإرادة غيره من الناس لاشك وإنه سيكون إما ضعيف أو معذب في نفسه إلا لو كان في تصوره للكمال أن يكون عبداً مذلولاً. هذا النزاع بين الإرادة الشخصية وإرادات الغير من أكبر أسباب الآلام النفسية التي تخلق في البعض عزيمة وجهاد. وفي البعض الآخر عزلة وتوحد، وفي الأكثرية تخلق لامبالاة إذ لا يشعرون بأنفسهم أصلاً ولا يهمهم غير الحياة.

وأحسن الحالات عندما تكون إرادة الناس هي إرادة الرب التي هي إرادتي أيضاً. وأسوأ الحالات عندما تكون إرادة الناس غير إرادة الرب التي هي غير إرادتي. الأولى تخلق مجتمعاً سيسود العالم. والثانية تخلق مجتمعاً من الوحوش المشوهة الممسوخة.

وعلى ذلك، المجتمع الأكمل هو الذي يستمد أهله تصورهم للكمال من نفس المصدر. أو يكون لهم نفس التصور في الغالب، خاصة في القيم الكبرى.

ونلاحظ أن وجود الرقابة هو سبب تقييد ظهور الأفكار في عقل الإنسان. فعدم وجود الرقابة يجعل الإنسان عبقرياً لو كان عالماً. ودرجة العبقرية تتناسب عكسياً مع درجة الرقابة. كلما زادت الرقابة اقترب الناس من البهائم. اقتل الرقيب تصبح على كل شيء شهيد. بما أن كمال الإنسان بحسب كمال عقله، وبما أن كل ما في عالم الخلق يدل أن الخالق يريد أن تبلغ الأشياء كمالها، فإذن لا يمكن للخالق الحقيقي أن يفرض رقابة على الإنسان. فإذن أي شخص يصور للناس إلهاً يحاسب على كل أفكار الإنسان حتى لو لم يعمل بها هو دجال وإلهه كذب. فهذا معيار عميق للحكم على الأديان.

أما المجتمعات التي تمنع التعبير عن الأفكار، وتتدخل في خصوصيات الإنسان، وتفرض رقابتها على أفكار الناس، فهي مجتمعات لا يمكن بحسب القانون النفسي الذي عرفناه إلا أن تكون مجتمعات متخلفة عقلياً ومعقدة نفسياً.

الرقابة الفكرية شر بلاء على الإنسانية. ولا يمكن أن نجد عبقري حر وقد رضي بوجود رقابة على أفكاره. لا يمكن أن يرضى بالرقابة إلا الجهلة أو البهائم حصراً. وهي فوق ذلك تخلق المنافقين أصحاب الوجهين. كيف يذم الناس المنافق وقد خلقوه بأيديهم؟ كيف يذم الناس المرضى النفسيين وقد خلقوهم برقابتهم هذه؟ أول مهام كل سليم أن يقتل كل رقيب. مملكة الإنسان مسكنه، أما خارج مسكنه فيعمل للمعيشة ثم يرجع إلى بيته. فما فائدة الرقابة غير تشويه وتقزيم الإنسان؟ كفّوا عن الرقابة تزدهر المعرفة.

(٣) ٦/ أعمال لتحقيق الرغبة. يظهر التحليل والاستقراء أن النفس تحقق رغباتها أو تعمل على تحقيق رغباتها بوسائل أربعة، هي أياديها في العمل. العمل الجسماني، والتبرير، والدعاء، والأحلام.

١-العمل الجسماني. وهو أشهر أنواع السعي للتحقيق، وهو بديهي فلا نحتاج أن نفصّل فيه كثيراً. مثلاً رجل عنده قيمة أن يكون جسمه رشيقاً، فيذهب إلى الرياضة باستمرار. ولو كان كل الناس يسعون لتحقيق رغباتهم بالعمل الجسماني لما ظهرت الأنواع الأخرى من العمل. والتكاسل عن العمل أو عدم المقدرة هما منبع باقي الأعمال.

٢-التبرير. وهو العمل اللساني والكلامي. فمثلاً نفس هذا الرجل الذي يريد أن يكون رشيقاً، ولكنه يتكاسل عن الرياضة المتعبة أو لعدم قدرته المالية أو الإصابة الجسمانية التي تمنعه من ممارسة الرياضة، قد يقول لنفسه مبرراً عدم ممارسته للرياضة وبقاءه سميناً "من ليس له كرش لا يساوي قرش" أو ما أشبه ذلك من التبريرات التي تتفاوت في درجة ذكاءها بحسب ذكاء المبرر نفسه. فيعمل على إقناع نفسه أو غيره بعدم جدوى القيمة بالرغم من اعتقاده الفعلي بأنها من الكمال.

والظاهرة المشهورة المنتشرة في كل مكان وزمان، أي التثبيط وكسر همم أصحاب الطموح، إنما منبعها هو هذا. فيأتي رجل له طموح عالي في أمر ما، فيأتي أصحابه ويقولون له "لا، لا تفعل ذلك، مستحيل، لن تستطيع أن تحقق ذلك أبداً" ما هو السر النفسي وراء هذه الظاهرة المشهورة؟

هؤلاء المثبطين لا يريدون أن يقروا أن هذا العمل العالي يعتبر جيداً ومن الكمال، لأن إقرارهم سيدخل هذا العمل إلى تصورهم للكمال، والذي سينتج شعورهم بالنقص والألم إذا لم يتحقق ولم يسعوا إلى تحقيقه. فيختصرون الطريق على أنفسهم، وينكرون القيمة بحجة استحالتها وما أشبه ذلك. الإقرار بالقيمة يجعلها في خزانة قيمك، أي تصورك للكمال. ومن بعد ذلك كل شيء تلقائي لاشعوري.

٣-الدعاء، بما أن الإله على كل شيء قدير، وهو الوكيل وهو سميع الدعاء وله جنود السماوات والأرض، فإذا أردنا شيء فما علينا إلا أن ندعوه، ونجعل الأمر في يده، وما نحن إلا عبيد

سننتظر جوابه هذا هو منطق الذين يريدون تحقيق رغباتهم بالدعاء. الذي يشبه التبرير من حيث أن كلاهما بالكلام، ويختلف في الوجهة، فالتبرير موجه للنفس أو الناس، والدعاء موجه لمن يعتقد الداعي فيه، سواء إله أو ملك أو ولي صالح.
وإذا لم يكن الشخص عاجز حقاً وصدقاً، وكان يدعو فهذا دليل على أنه لا يؤمن حقاً بالقيمة التي يزعم أنه يريد تحقيقها. فمثلاً نرى ونسمع بعض الناس تدعو في المعابد لتحقيق أمر يحتاج إلى قرار سياسي لتنفيذه، فلكي يختصروا الطريق الذي قد يودي بهم إلى السجن أو القتل، فهم يدعون الإله ليحقق لهم. ونفس هؤلاء لن تجدهم يدعون الله عندما يطلبون أمر يريدونه لأنفسهم، بل تراهم يعملون ويجادلون ويراوغون. فلو كانوا حقاً يؤمنون بقوة الدعاء الذاتية لما اختلف الأمر في نظرهم. ولكن الفرق هو هل القيم لوجه الله أم لوجهي أنا؟ لو كانت لوجه الله ودينه فترى الناس غالباً ما يقنعون بالدعاء وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولكن لو كان لشهوتي وشهرتي فيجب الأخذ بالأسباب أليس كذلك.

والدعاء وسيلة حسنة لراحة النفس من حيث إنه يشعر الشخص أنه عمل ما عليه، وكفى الله المؤمنين القتال. ولذلك قد تجد الشخص يدعو الله أن ينصر دينه. وهو لا يعمل أي شيء، ويشعر في نفسه أنه قد ساهم في الجهاد في سبيل الله، حتى لو كان جاهلاً غافلاً.

والدعاء وسيلة حسنة للكبر، لأنه يعني أمرين، أولاً أني من العظمة بحيث الله رب السماوات والأرض يسمع كلامي، ونحن نعلم أنه لا يدخل على الملوك الدنيويين إلا الكبار، فكوني أدخل على ملك الملوك يعني أني كبير جداً. وثانياً أني من العظمة بحيث أوجه طلب وأريد من الله أن ينقده لي، فالدعاء نوع من الأمر، حتى صيغة الدعاء هي بحسب اللسان صيغة أمر لا تفرق عنها من حيث الظاهر شيء. فتأمل مثل الفرق بين أن تقول لابنك "بني، اجلب لي كأس من الماء" وبين أن تدعو الله وتقول له "رب اشرح لي صدري" فالدعاء ليس من التذلل كما يظن العامة ولكن من صميم الكبر من أوله إلى آخره. ولعل الأديان تحب الدعاء لهذا السبب بالذات، لأنه يشعر بالعظمة لاشعورياً وبدون تكلفة مالية.

٤-الأحلام. الذي لا يستطيع أن يعمل يبرر، والذي لا يستطيع أن يبرر إما يدعو وإما يحلم أو كلاهما. الحلم هو الملجأ الأخير لأصحاب الرغبات. وهو من أعظم الظواهر العقلية في العالم كله.

عمل العقل وعمل الجسم متضادين، والعلاقة بينهما عكسية، فكلما اشتدت مركز الجسم ضعفت حركة العقل، وذلك لا يستطيع أحد أن يفكّر في مسألة فلسفية وهو يتعرض للضرب بالعصي. وكذلك كلما اشتد سكون الجسم اشتدت قوة العقل. وفي النوم يشتد سكون الجسم، وتشتد الغفلة عنه. فليست العبرة بسكون الجسم فقط ولكن بسكونه وعدم التفكير فيه أي عدم الالتفات إليه، وكلا الأمران متوفران في النوم. ولذلك يكون عمل العقل على أشده.

وبما أن أقوى رقابة هي الرقابة الاجتماعية، وهذه غير متوفرة في باطن الإنسان، فلذلك في الحلم حرية كبيرة نسبياً في تصوير الأفكار. والرقابة الإلهية لا يمكن تذكرها إلا شعورياً، والشعور لا

يكون حاضراً عند النوم إذ النوم هو نوع الشعور أيضاً. فلذلك لا يبقى لخلق الحلم إلا اللاشعور. ومن هنا عمق الحلم ورمزيته وشدة تعقيده.

وقد تتجذر الرقابة في الشخص حتى تصبح لاشعورية، فيعمل على إخفاء رغباته في الصور والأمثال. وفي أكثر الأحيان يكون الشخص يخدع نفسه بنفسه، أي يخدع عقله الشعوري بعقله اللاشعوري، فهو لا يريد أن يقر أنه يرغب في شيء، حتى لو لم يعتقد بالرقابة الإلهية، فيعمل على إخفائها بصور شديدة التعقيد بحيث لا يستطيع أحد أن يفك رموزها إلا إذا عرف بعض الذكريات التي لا يعرفها إلا هو شخصياً. فكأنه جعل رغبته في خزانة لا يملك مفتاحها غيره. ولعل أصل هذا الخداع هو خشيته من أن يفتضح أمره، كأن يكون قد جرّب أمر في الواقع جعله يعتقد أنه قد ينكشف عاجلاً أم آجلاً، فيصبح شديد الخدر حتى وهو نائم.

حتى الأحلام التي نسمّيها كوابيس هي في الحقيقة تحقق رغبة بوجه أو بآخر. وكل أنواع التفكير والتخيل الذي ما هو إلا تفكير بصور، هي تحقيق لرغبات، والفرق بين التفكير في اليقظة وفي النوم هو أن التفكير في اليقظة غالباً ما ينتجه نحو البحث عن وسائل للوصول إلى الغاية، أما في النوم فيرى الغاية محققة. ولذلك نجد أن الحلم يجعل الشخص يشعر وكأنه في الحقيقة. فالحلم يجعل الخيال هو العالم الواقعي، ولذلك الذي لا يستطيع أن يحقق أمر في العالم الواقعي الواقعي يعمد إلى الحلم ويفعل ما يشاء فيه.

فالحلم نعمة ونقمة، نعمة لأصحاب العزيمة الذي يعملون لغاياتهم في الواقع، نقمة لمن يتكاسل ويقارن ما عاشه في الحلم بما يعيشه في الواقع، ومعلوم أن الذي لم يعرف إلا الفقر أحسن بكثير من الذي عاش غنياً ثم افتقر، لأنه ذاق الغنى. كذلك الذي لم يتذوق طعم رغبته وهي محققة أحسن حالاً من الذي عاش فرحة رغبته في الحلم ثم استيقظ ليجد محبوبته وهي زوجة عدوه في واقع الأمر.

والحلم كذلك مسرح للتجربة. أو قل معمل للتجربة. فقد يرغب شخص في أمر ولكنه يخشى أن يكون سيء في الواقع. فهو في حيرة، فيرى وكأن الأمر تحقق لكي يعيش الشعور فيعرف حسنه من قبحه. مثلاً شاب له شعر طويل وقد مكث ثلاث سنوات وهو يربي فيه، ثم فكر في أن يحلق رأسه. وهو لا يعلم هل سيكون شكله حسن أم لا، ولا يريد أن يحلقه لكي لا يندم إذ لن ينفع الندم، فيرى في الحلم وكأن رأسه محلوق في الواقع. وهذا مثال بسيط لتبيان الأمر. وكثيراً ما يعمل الحلم معمل للتجربة خاصة عند المترددين.

والرموز تختلف من شخص إلى شخص، فلكي تعرف معنى الرمز من الأحسن لو نظرت في معناه عند الحالم نفسه. والكلمة التي يستعملها الشخص في ذكر حلمه لها دور مهم في فهم الرموز. والتحليل يقتضي أن لا تفعل شيئاً، وتحاول أن تحد الفكرة الرئيسية التي تعمل كالخيط الذي يجمع كل أفكار الحلم الكامنة فيه. مع العلم أن كل مقطع من الحلم قد يعني أمر لا علاقة له في الظاهر مع المقطع الآخر.

تحليل الأحلام من أعمق وأمتع ما يمكن أن يفعله إنسان. وفي كل حلم من العلم ما لا يعلمه حتى العالم نفسه، لأنه عندما يستيقظ تعود الرقابة بكل قوتها، وتتحول شخصيته، ولذلك قد تفهم من حلمه أمور لا يمكن أن يقر بصحتها أمامك، حتى لو عرفها هو من نفسه وأقر بها في نفسه. فمثلاً روت لي امرأة حلم وبعد التحليل أخبرتها أنها ترغب في أن تتزوج من رجل، وأن يكون هذا الزوج خائناً لو لم يعجبها، وأن يخونها مع امرأة ليست من قراباتها ولا صديقاتها، وحبذا لو كانت من البعيدين الذين تكرههم، وهذا لكي تستطيع أن تطلب منه الطلاق بدون أن يقع أي لوم عليها ولا تنقدح سمعتها أمام أهلها والناس. ولسبب لا أعرفه بعد أقرت بصحة هذا التحليل. ولكن مع العلم أني لا أعرفها معرفة شخصية، ولا أعرف شيء عن أهلها ولا حالاتها النفسية. واعترفت وقالت "أشعر وكأني عارية تماماً أمامك".

ثم من نتيجة التحليل قد تعرف نوع شخصيتها وأهلها والمجتمع الذي تحيا فيه. ففي حالة هذه المرأة، فقد كانت مستقلة مالياً إذ تعمل لنفسها ولها دخل جيد وهي في ارتقاء، ولذلك لم تبالي بالزواج أصلاً، إذ مهمة الزوج في هذا المجتمع هي جلب المال. ولكن أهلها يرغمونها على الزواج. وهي ذات ثقافة غربية، فلا تبالي بمعاشرة رجل تحبه حتى لو لم يكن زوجها، ولذلك رغبت في زوج خائن، وأيضاً لأن البكورية ضرورية في هذا المجتمع، ولذلك تحتاج زوج شرعي ليحررها من سجن البكورية حتى لا تنفضح. وإذا عرفتم صيغة الحلم ورموزه ستعرفون أنها شديدة في الدفاع عن نفسها، ولذلك كانت الرقابة عالية على صور الحلم. ومن هنا اندهشت بعد أن ذكرت لها التحليل، ولم تتوقع أن أخبرها بكل هذا من هذا الحلم الذي يظهر وكأنه لا معنى له.

بما أن أساس الإنسان هو اللاشعور، وأي تغيير يرجى يجب أن يصل إلى اللاشعور. وبما أن الإنسان قد لا يعرف ما في عقله الباطن، فلذلك تحليل الأحلام ضرورة في حياة كل إنسان وخاصة المحلل النفساني. باب الحرية هو السيطرة على الاعتقادات اللاشعورية.

هل يستطيع الحلم أن يتنبأ بالغيب؟ هذا سؤال أساسي منذ قديم الزمان. وإني أرى أن صياغة السؤال ليست دقيقة. ومعلوم أن نصف الجواب كامن في السؤال. فالسؤال هكذا يجب أن يكون. هل يستطيع اللاشعور أن يكشف المستقبل؟

لو وجدت رجل يأكل كل يوم من مطاعم الوجبات السريعة، ويعتقد أن هذا واجب عليه، هل تستطيع أن تتنبأ عن حالته بعد عشر سنوات؟ لاشك أننا نستطيع أن نفعل ذلك شعورياً. هذا لا يختلف عليه أحد. فلماذا لا يكون في قدرة اللاشعور الذي يفوق في قوته بآلاف المرات قوة العقل الشعوري، أن يعرف نتائج الأمور؟ عقلياً لا يوجد ما يمنع ذلك.

أما واقعياً، فإني شخصياً أرى أنه ممكن بل واقع، فمن واقع تجربتي كثيراً ما أرى أمور مستقبلية أو غيبية وتقع. ومن واقع روايات الناس تاريخياً والآن نرى الكثير من الأمور التي تدل

على وقوع ذلك. وبما أن الحلم يرينا الرغبة محققة، ولذة تحقق الرغبة تدفعنا في الواقع لكي نحققها، فالحلم من هذا الوجه كأنه يكشف المستقبل، لأنه يسحبنا إليه حتى لاشعورياً.

ولكن جوهر المسألة يكمن في مسألة هل القدر مكتوب أم لا، لأن كشف الغيب يقتضي كون الأعمال مكتوبة، وبالتالي لا حرية لإرادة الإنسان. وكون القدر مكتوب يعني الإيمان بالإله أو الآلهة الذين يكتبون القدر ويسيرون الناس إليه. ولذلك تختلف وجهات النظر بحسب عقائد الشخص الدينية. والتحقيق في هذا المسائل ليس هنا محله. ولذلك فلندع هذه المسألة حتى نقطع في المسائل الأخرى الأصلية.

المهم أن العمل هو الذي يوصل به الله الإنسان إلى رغباته "ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون" فالقعود مع رؤية ألف شيء لن يحقق شيء.

(٤) ٢-٧/ مقارنة مع الحال. نلاحظ أن المقارنة هي سبب كل حركة. مقارنة تصوري للكمال مع حالي يجعلني أسعى، ومقارنة حالي مع تصوري للكمال يجعلني أرضى. أي إذا اختلفا في الأول أو تطابقا في الثاني. وبما أن الإنسان لن يشعر بالرضا التام إلا إذا تطابق تصور الكمال مع الواقع الشخصي، فيجب أن نحلل هذه المقارنة لأنها العقبة أمام السعادة.

الأمر بسيط، عندي قيمة تقول "يجب أن يكون عندي مليون ريال" هذا في تصوري للكمال، ثم أنظر في حسابي المالي فأرى بالمقارنة أني أحتاج إلى ٥٠٠ ألف ريال حتى أصل إلى مليون. فأعمل على تحقيق ذلك. ثم بعد فترة أنظر في حسابي فإذا هو مليون ريال، فأقارن هذا مع قيمتي الكمالية، فأجد تطابق، فأشعر بالفرحة والرضا. فإما أن أشعر دائماً بالرضا لتطابق واقعي مع تصوري، وإما أن أضيعف إلى قيَمي القديمة قيمة أخرى، كأن أرفع المبلغ المطلوب إلى مليوني ريال، وعند ذلك تعود الكرة. هذا المثال يصدق على كل القيم الواضحة.

ولكن ماذا عن القيم المبهمة؟ فأن أعرف قيمتي الكمالية بالأرقام أمر جميل وواضح، لأن المقارنة ستكون سهلة، ولكن الصعوبة تبدأ عندما تكون القيمة المرغوبة غير واضحة ومطاطة ويصعب تحديدها. مثل أن يقول الشخص "أريد جسم جميل"، هذا سيظلّ في تعاسة طول عمره لأنه لم يحدد ما هو الجمال المرغوب بدقة حتى يعرف هل وصل إليه أم لا. ومن هنا منشأ الآلام النفسية. لأنه لا يعرف ماذا يريد بالتحديد، وبالتالي كل مقارنة ستظهر له نقص، والنقص أم الألم.

فإذن يجب لمن يريد الرضا النفسي أن يعين ويحدد قيمته ورغبته بدقة، ومعنى الدقة هو أن يستطيع أن يعرف هل وصل أم لم يصل بعد إذا قارن حاله مع تصوره.

ثم فلنفرض أن الإنسان لم يقارن، ألا يعني ذلك أنه سيكون دائماً في رضى؟ نعم هذا صحيح. لأن الذي لا يقارن يعني أنه بالنسبة لنفسه يحيا في الكمال. والحياة في الكمال هي السعادة. فأقرب الطرق إلى السعادة أن لا تقارن نفسك بشيء. ولكن هل هذا ممكن؟ يمكن للأموات فقط.

الإنسان الحي يتحرك، والحركة لا يمكن أن تتولد إلا من مقارنة، لأن لكل حركة غاية، ووجود غاية يعني أن هذه الغاية مفقودة الآن، والمتحرك يريد تحصيلها، ومعنى ذلك أنه قارن ماله الآن مع حاله لو حقق الغاية، ومن هذه المقارنة تحرك. فإذن عدم المقارنة يعني عدم الحياة.

ولكن ما يمكن أن يفعله الإنسان هو أن يختار قيم بسيطة يسهل تحقيقها، وبذلك تقل فرص تعرضه للألم. فمثلاً رجل يريد منزل بسيط كريم ورجل آخر يريد قصر عظيم، أيهما أكثر عرضة للألم؟ لاشك أنه الثاني.

ولكن القيم البسيطة قد تكون جالبة للراحة ولكن أين الكبرياء؟ فالحل الوحيد هو أن تجعل رغباتك الجسمانية بسيطة كريمة، وتجعل رغباتك المعرفية عظيمة عميقة. لأن المعرفة لا ألم فيها. وآلامها لذة. فاطلب للجسم المعيشة الضرورية الكريمة، واطلب للقلب أعلى درجات المعرفة. وهذا هو أسعد من على الأرض.

وعندما يقال "لا تقارن نفسك بأحد لكي لا تتألم" فالمقصود هو أن تعمل بحسب استطاعتك ولا تطلب أكثر من ذلك لأنه من المستحيل أن يرفع الإنسان وزناً أكثر من طاقته، فمثلاً في أمور الجسم، إذا كانت لك صفة معينة كلون العين كأن تكون عينك سوداء فلا ترغب في أن تكون عينك زرقاء. نعم قد يوجد من العلم اليوم ما يمكن أن يغير لك لون عينك، ولكن ماذا لو لم تملك المال لذلك، أو كان الأمر خطير قد يصيبك بالعمى وما شابه؟ فالأمر واضح. والحق يقال إني لا أعرف أمر يصح أن يقال أنه يجب على الناس أن لا يطلبوه لأنه مستحيل. والأمور نسبية. والمهم أن تعرف أنك لو رغبت في أمر فيجب أن تدفع قيمته من نفسك. فلا أقول "لا تقارن" ولكن أقول "اعرف قبل أن تقارن هل عندك الثمن" وهذا فقط حتى لا تحتار عندما تصيبك الآلام. وهذا ليس تخويف من الحياة ولكن تذكير بحقيقتها. وانظر إلى الألم بفرحة تشفى منه، إذ الأمور بحسب العيون التي تراها بها.

هذا فيما يخص مقارنتك نفسك بنفسك. فماذا عن مقارنة الناس لغيري بي؟ أي عندما تقول الأم لابنها "انظر إلى ابن فلانة كيف يدرس وينال درجات عالية، ألا تقتدي به" أقول، هذا يشبه أن تطعن أحد بسكين في قلبه. يخطئ من يجبر الإنسان أن يقارن نفسه بشخص آخر، لأنه ليس عنده الاستعداد لتحمل هذه المقارنة. وقد يرفض قيم هذا الذي يقارنوه به. فالأحسن أن تصف الشخص فقط، ثم لو شاء المستمع أن يتخذ قيمة معينة في تصوره للكمال، فهو وما اختار. ولذلك لعل من أشد الناس كرهاً لأبويه هو الذي اعتاد أن يسمع منهم هذا النوع من المقارنات مع أبناء الجيران والأصدقاء والأقارب.

وقبل أن تقارن شخص بآخر يجب أن تتأكد أن هذا الآخر له مكانة مهمة في قلب الأول. فمثلاً لو كان صديقي يحب نبي ما، وأنا أعلم حبه لهذا النبي، فعندها أستطيع أن أقيم مقارنة بينه وبين محبوبه، لأنه غالباً سيتقبلها بصدر منشرح. وتكون محفزة له ودافعة للعمل للترقي. وكما عرفنا أن

المقارنة سبب الحركة. ولكن هل الحركة إيجابية أم سلبية، فهذا يعتمد على نوع المقارنة، ومن الذي أقامها.

(٥) ما هو أصل الرغبة في الراحة والكبر؟ عرفنا أن أصل كل رغبات الإنسان يرجع إلى رغبته في الراحة والكبر. ولكن ما أصل هذه الرغبة في الراحة والكبر. هي ليست رغبة مختارة. هي أصل كل الرغبات الأخرى، وهي سابقة عليهم كلهم. وهي في الإنسان كالقلب والعين والأنف لا شأن له في الاختيار. هي جوهر نفس الإنسان. ولذلك نجد كل الناس في كل مكان وزمان مدفوعون بهذه الرغبة في الراحة والكبر. وللاختصار سأسميها "رك"، وأقول أن "رك" هو إله كل الناس الحقيقي.

فانظر مثلاً إلى الذين يعبدون إله معين، سترى أنهم إما يطلبون الراحة أو الكبر أو كلاهما. يريدون الهرب من العذاب والفقر، ويريدون النعيم والنصر، ويريدون الفناء والعشق، يريدون النبوة والعلم. كل هذه أثواب للراحة والكبر. ولولا أن هذا الإله يوفر لهم هذه الأمور، أوعلى الأقل يعتقدون أنه يوفر أو سيوفر لهم ذلك. فتصور مثلاً لو أن الله ظهر للمسلمين وقال لهم "لن أنصركم في الدنيا، ولن أعينكم على أي شيء، ولا يوجد عذاب ونعيم في الآخرة، ولا يوجد فناء ولا عشق" هل سيعبده أحد؟ لا أظن. الآن ومع كل الوعود وأكثر الناس في غفلة، فماذا لو زالت كل الوعود التي هي ليست أكثر من منافع شخصية للعابدين؟ هذا معنى أن "رك" هو إله كل الناس الحقيقي، وهو إله كل الناس منذ أن وجد الإنسان. هو الإله الذي يحاول بعض الناس طمسه أو تشويه صورته أو احتكاره. فكل البشر عبّاد "رك".

الذين يسألون "من خلق الله" أغبياء، السؤال هو "من خلق رك"؟ كل الآلهة سماويين أو أرضيين ما هم إلا تجليات الإله الأعظم "رك". وبما أن هذا الإله ظهر مع ظهور الخلق، فسؤالنا هو "ما هو أصل رك"؟ لكي نعرف الأصل الحقيقي الأول فإني مضطر أن أخوض في مبحث إلهي وجودي لعل خير مكان له هو الكتب العرفانية والفلسفية. ولكن بما أن كل شيء متصل، وبما أننا لن نستطيع أن نعرف الجوهر إلا بالغوص، فلا بأس بذكر الأمر على سبيل الاختصار الحسن.

الوجود المطلق الواحد هو الحقيقة الوحيدة والأولى والنهائية، بل لا يجوز أن نقول "حقيقة" لأن ما كان حق فله ضد وهو الباطل، ولكن هو هو. وكل الممكنات فيه كالعلم فينا، وبما أن كل المخلوقات منه وفيه وما هي إلا أحد الممكنات، وبما أن الممكنات هي عين الوجود اللانهائي، والوجود اللانهائي عينها، فهي من نفس جوهره الأحدي. فإذن كل المخلوقات من نفس جوهر الوجود المطلق. وهذا أساس كون كل نفس ترغب في الراحة والكبر في واقعها الظاهري والباطني في عالم الخلق.

فالوجود اللانهائي هو الكبير التام، إذ لا حد له لأنه أعلى من الحدود التي هي من خلقه وتقديره. وبما أنه الكبير التام فإذاً هو في راحة تامة، إذ التعب لا يتصور إلا من الذي يتحرك من مكان إلى مكان، بكل الاعتبارات، وبما أنه لا يمكن تصور تحرك الوجود من مكان إلى مكان، لأنه لا

يوجد "مكان" إلا وهذا المكان فيه وبه ومنه، إذ هو لانهائى، غير محدود. فلا يخلو منه مكان لأنه هو عين كل مكان، ولولاه لما كان أي مكان.

فذات الوجود لها الكبرياء التام وبالتالي الراحة التامة. ولذلك تسعى كل نفس للكبر للوصول إلى الراحة. هذا هو الأساس الأصلي لجوهر النفس.

أما الأساس الجسماني، فهو لكون النفس ترى أن الجسم الأكبر أقوى، والأقوى يسخّر الأضعف، والتسخير يجلب الراحة، إذ الناس ستعمل لي أعمالي. فهنا هو تجلّي الأصل الأول في الفرع. في الوجود الكبرياء ثم الراحة، وكذلك في الجسم الكبرياء لأجل الراحة.

أما الأساس العلمي، فلأن الأكبر في الأمور العلمية هو الذي يعلم أكثر، وبالتالي يخطئ أقل، وذلك يعني النجاح. والنجاح يجلب الراحة.

فالتدرج الوجودي والجسماني والعلمي واحد، الكبرياء والراحة. فهذا جوهر الوجود كله بكل مظاهره. ولذلك أي كسر الكبرياء لا تنفع معه راحة، فلا يمكن أن توجد السعادة في إنسان مذلول في نفسه. وكل نظام أياً كان يجب أن يقوم على هذه القاعدة الكبرى، تحقيق الكبر والراحة، وهذا نظام لا يمكن أن يرفضه الناس أبداً. من ينكر أن يكون كبيراً مرتاحاً.

....

من فروع الهيكل

(ملاحق)

(الصحة النفسية)

مقدمة :

* لماذا نتعلم ؟ (أي قيد على العقل هو طعن مباشر في واهب العقل).
* نحن ناقلين وعارضين وأنتم فكروا بعد ذلك بأنفسكم.
* هاتوا برهانكم وليس هاتوا رجالكم. (٥+٥= ٠)
* الرغبة في الغربيين هل هي مبررة ؟ (تحرروا ثم بحثوا ، والزوايا مثل المكعب).

[١]

*هل النظرية شيء ضعيف ؟

أ-النظرية = الرؤيا من النظر. وقوتها من كثرة شواهدها.

ب-لا يوجد ١٠٠٪ ولكن الميزان الحكم.

*القرءان كمصدر للبحث النفسي. (ما هو، وكيف نستعمله).

[٢]

*إذا لم يكن جسمياً فهو نفسي. وإذا لم يكن فكرياً فهو نفسي. بدون قسمة القضايا الأخير. (ورقة النظرية القرءانية في الصحة النفسية).

*الغيب تفسير لما لا نرغب في تفسيره.

[٣]

*مباحث تحليلية. (اختيار من الأوراق الحاضرة في كتاب الهيكل). ٥ قضايا.

[٤]

*خاتمة: كلما تعمقت في النفس كلما ازدادت نفسك ثراء وكبراً، وحياتك أعمق. (كلما تعملت في نفسك كلما اتسعت حياتك).

صورة {هيكل النفس}. - صورة {العقل (باطن-جسر رقابة-ظاهر)}

تقدم للكل.

……………………………

(تحرير العقل)

*ما هو العقل الحر؟ (الذي يفكر في أي شيء دون خوف من الخارج أو الداخل).
*ثقافة المناظرات يجب أن تُبعث في البلدان العربية.
*العقل الحر في المواضيع التي تهم حياة كل الناس. (المجتمع-النفس-الدين).
....

بسم الله الرحمن الرحيم. أسلمت لرب العالمين.
دراسة لفهم الفهم

(مقدمة)

هل يمكن للشيء أن يرى نفسه بنفسه؟ بلا واسطة غيره لا يمكن أن يرى نفسه، فلا يمكن لأحد أن يرى عينه التي يرى بها إلا إذا نظر إليها بواسطة المرآة. إذن، هل يمكن أن نفهم ما هو الفهم؟ محاولتنا لفهم ماهية فهمنا للأمور يعني أننا نريد أن نستعمل الشيء لنرى نفس هذا الشيء، وقد علمنا أن هذا مستحيل إلا بواسطة، فما هي الواسطة هنا؟

يجب أن نعرف الفهم أولاً لكي نحكم عليه. ماذا نقصد بالفهم؟ عندما أقول أني أفهم أمر ما فماذا يعني ذلك؟

يعني أن الرابطة التي كونتها في عقلي عن أمر ما هي هي رابطة صادقة ومطابقة للواقع. فمثلاً هذه المقولة "السم قاتل" هي ربط بين شيء جسماني "السم" وبين واقعة جسمانية هي الموت الذي يسببه السم، فهذا الربط قد يكون صادقاً وقد يكون كاذباً، والمعيار هو مطابقة الواقع أم لا. فإذا شرب رجل السم ومات فهذا يعني أن الرابطة التي كوّناها في عقولنا عن السم والموت هي رابطة صادقة. وقد يقول شخص "الفتاح قاتل"، فنكون في عقولنا رابطة بين التفاح والموت، ثم نجرب ونأكل التفاح فلا نموت، فنعتبر هذه الرابطة بهذا الشكل كاذبة. فالفهم تكوين رابطة في القلب بين أمور. مع تذكر أن العين عضو والرؤية عمليتها، والأذن عضو والسماع عمليته، وكذلك القلب عضو والعقل من عملياته.

ولو استقرءنا كل شؤون الفهم فسنرى أنه ربط باطني لا غير، وهذا الربط الباطني هو العقل. والفهم لا يعني الحكم بالضرورة، فقد تفهم أمراً ولكن هذا لا يعني أنك توافق على صدقه أو كذبه، فمثلاً قد تفهم أن إنساناً يربط بين أكل التفاح والموت، ولكن هذا لا يعني أنك بالضرورة توافق على مقولته.

وبما أن الفهم ربط، والربط لا يكون إلا بين أمرين فصاعداً، إذ بداهة يلزم مربوط ومربوط به، فالفهم والزوجية لا ينفصلان. أينما وجدت الزوجية كان في الإمكان فهم العلاقة بينهما، وأينما وجد الفهم فيوجد أمرين مرتبطين برابط ما أو أكثر. وبناء على ذلك يمكن اكتشاف رابطة بين أي أمرين مهما كان ومهما ظهر أنهما مبتعدان عن بعضهما البعض. لأن الفهم أمر باطني، والأمور الباطنية لا تبالي بالمسافات الجسمانية، فالمجرة والذرة يصبحان من أشد الأمور ارتباطاً في باطن الإنسان.

ولكن يغلب على الفهم طابع الموافقة. فالإنسان الذي يدعي أمراً، غالباً ما يكون يدعيه لأنه رأى رابطة بين هذه الأمور، وعندما يبدأ يشرح لنا مقولته، ثم يسأل "أفهمتم؟" فإذا قلنا له "نعم فهمنا ما تقول" فهذا يعني أننا رأينا الرابطة التي رأيتها. وهل الجدل والحوار إلا محاولة كل طرف أن

يري صاحبه الرابطة التي يراها هو؟ ويندر أن يفهم إنسان رأي آخر إلا ويوافقه على كله أو بعضه. أما رفضه كلّه فهذا يعني أنه لم يفهم شيء، لأن رفضه كله يعني نفي كل رابطة بين هذه الأمور، وهذا النفي المطلق باطل قطعاً، لأن كل شيء مرتبط بكل شيء، فكيف يزعهم هذا أن رأي صاحبه باطل مطلقاً؟ فيغلب على الذي يفهم أمر أن يوافق عليه، ومعنى الموافقة هو الإقرار بوجود رابطة.

يظهر من التحليل السابق أمور وتساؤلات : ما هي أنواع الروابط ؟ وما هو أصل العقل ؟ ما هي التسمية ؟ فلنبحث في هذه المسائل، ثم نرى إلى أين تسير بنا السفينة.

(ما هي التسمية)

وضع اسم على أمر ما هو التسمية، وعلى أي أساس توضع الأسماء؟ على أساس ملاحظة هذا الأمر. فالشمس هي كل مجموع في كلمة واحدة، ولكن هي حرارة باعتبار، ونور بآخر، وجرم سماوي، ورمز ديني، وسبب الحياة من وجه، وسبب الجمال من وجه آخر، والمفقود الذي طال غيابه عند الذين لا تطلع عليهم الشمس إلا مرة كل فترة طويلة، والحاضر الذي لا يُفقد عند بلدان خط الاستواء، وهكذا تختلف صفة الشمس باختلاف رؤية الناس لها، ولكنها في نفسها أمر واحد، وكل ملاحظة تولد تسمية.

والملاحظة إما رؤية بالعين، أو سماع بالأذن، أو لمس بالجسم، أو شم بالأنف، أو ذوق باللسان، فالحواس الخمس هي التي تلاحظ الشيء، وهذه الملاحظة تولد تسميتنا لهذا الشيء.

فهل يمكن أن نضع اسم واحد لوصف الشيء الواحد مهما اختلف الناظرون؟ استحالة. ولذلك فوضع اسم واحد على الشيء دليل على نقص الفهم، بل وضع سبعة أسامي دليل على نقص الفهم. وكلما كثرت أسماء الشيء دلّ ذلك على فهمنا أكثر لهذا الشيء، لأننا نراه بوجوه مختلفة، وهذه آية الإحاطة بالشيء.

ولكن هذه الحواس الخمس محدودة جداً، فالعين لا ترى إلا أمور معينة وبدرجة معينة ولمسافة معينة، وبمجرد اختلاف العين يختلف الشيء الذي ننظر إليه، فتحت المجهر يصبح ما نراه بأعين رؤوسنا وهماً، وكذلك تحت أشعة معينة، فالتسمية المبنية على الملاحظة التي هي بدورها مبنية على حواس محدودة جداً هي تسمية محدودة جداً. والتسمية المحدودة تولد فهماً محدوداً. ومعنى "محدودة" هو أن صفات الشيء التي تظهر لنا باستعمال هذه الحواس هي صفات قليلة بالنسبة إلى ما يمكن أن يظهر لو كانت لنا أعين غير هذه الأعين. وهذا في أحسن الأحوال. وفي أسوأها أننا نرى صفة نظنها واقعاً فتظهر أنها وهم، كالسراب الذي نظنه ماء في حالات معينة.

بما أن المنفعة هي التي تهمنا، أي الراحة والكبر، فملاحظتنا للأمور وتسميتها يجب أن تكون بحسب نفع هذا الشيء لنا، وبماهية تأثيره علينا. فلا يهمنا من الشيء إلا ما ينفعنا منه، وأصلاً نحن لا نستطيع أن نهمس إلا بدافع من الرغبة في الراحة والكبر، أي المنفعة الشخصية. ولذلك لا

يهمنا معرفة كل الأوجه المحتملة لكل شيء، لكي نحيا حياتنا، بل إن أكثر الناس يحيون بدون أن يعقلوا الرابطة التي بينهم وبين الحياة التي هم بها، وطلب معرفة روابط أكثر هو من باب الكبر، لأن الذي يفهم أكثر أكبر من الذي يفهم أقل أو لا يفهم.

وكل أمرين بينهم رابطة سيكون لهم اسم جديد يجمع بين هذين الأمرين، وعلى ذلك فكل اسم يحتوي في نفسه على روابط بين أمور. فأحسن الأسماء ما أمكن أن تكتشف الرابطة التي قام على أساسها بمجرد تحليل الاسم نفسه.

ولكن نلاحظ أن التسمية هي مرحلة متقدمة من الفهم، بل تكاد تكون أعلى درجات الفهم، لأن التسمية الحسنة الدقيقة المعبرة لا يمكن أن تتم إلا بعد القيام بكشف الروابط، ثم تسمية كل طرف من أطراف الرابطة، ثم خلق اسم لهذه الأطراف وهي مجتمعة. فإذن يجب أن نبحث في غير التسمية لكي نفهم الفهم في جذوره الأولى. وبما أن الفهم روابط باطنية، فلنبحث في هاتين الكلمتين "روابط" و "باطنية". ونقدم البحث عن "باطنية" لأنها محل الفهم، والمحل قبل الحالّ، أليس البيت قبل الساكن في البيت؟

(باطنية)
من الملاحظ البديهي كون باطن الإنسان يختلف، أو قد يختلف عن ظاهره. والظاهر هو هذا الجسم والأشياء الجسمية، كالأحجار والبيوت. والباطن هو الأفكار والمشاعر. والاختلاف هو وجود تصور في قلب الإنسان لشيء خارجي عنه ولكن في حقيقة الواقع ليس الشيء كما تصوره الإنسان، كمن يتصور أن السم مفيد للجسم، أو كمن لا يؤمن بالجاذبية، فبغض النظر عن فكر الإنسان هذه الأمور متحققة في الواقع، فوجود فكرة في باطن الإنسان أن الجاذبية كذبة لا يعني أن قانون الجاذبية سيتوقف من أجله، فإذا رمى بنفسه من فوق جبل سيسقط متكسراً متدمراً.

والمشاعر من الباطن، لأنك قد تجلس بجانب رجل يكرهك أشد الكره ولكن لا تعرف ذلك، بل لعلك تظنه يحبك، وقد تجلس بجانب امرأة تظن أنها شديدة الإعجاب بك ولكن في الواقع هي تريد الفرار منك.

نعم، قد تظهر المشاعر، وتفيض من الباطن وتظهر آثارها في الجسم والتصرفات، ولكن هي في أصلها باطنية، ولكن شدتها تجعلها تظهر، وهذا دليل أن الباطن والظاهر متصلين، فالفكرة السيئة تؤثر في الجسم فلعلها تجعله يدمن المخدرات. وكذلك الجسم البشع يؤثر في الفكر فلعله يجعله يلعن الفن والقدر ويؤيد المذاهب التي تنفي الرحمة العامة.

وباطنية تعني أن الصلة بين العالم الجسماني وعقل الإنسان أصلها هو باطن الإنسان. فكل أحد يرى من منظور نفسه وبعينه. لو أن العين خلقت وهي بعدسة حمراء، إذاً لكان اليقين أن العالم كله أحمر، ولو كانت العدسة صفراء، لحلف كل الناس أن العالم أصفر. فكل أحد يرى بحسب نفسه، بحسب باطنه.

وعلى ذلك، هل يمكن أن تكون للإنسان نظرة موضوعية بحتة؟ إذا تساوت كل الاحتمالات عنده، من ناحية قبوله لها ومن ناحية العلم بها، فنعم يمكن، لعله يمكن. ولكن هذا شديد الندرة ولعله لم ينفع أصلاً. لا يمكن لأحد إلا أن يرى بعينه، فكيف يزعم الموضوعية؟ الموضوعية هي أن لا تبالي أتقبل أم ترفض، عندما تستطيع أن تكون محايداً، أما لو مِلت ولو قيد شعرة لطرف قبل البحث، فأنت لست محايداً.

كيف تصل الأمور من العالم الظاهري إلى العالم الباطني؟ عن طريق الحواس، خاصة العين. ومن مشاهدات الظواهر تكونت فينا أفكار عن حقيقة الواقع الجسماني وغيره. ولكن كيف فهمنا هذه الظواهر؟ لماذا لم تفهمها الكائنات الأخرى، وتترقى كالإنسان؟ فيجب أن يكون في قلبنا أمر أو أمور على أساسها فهمنا وحللنا الظواهر. ولولا هذه الأسس لكان تعاملنا مع التجربة كتعامل المجنون، هل ينتفع بشيء؟ ولا يمكن أن تكون هذه الأسس مستمدة من التجربة، أو من أي تجربة، لأنه لولا هذه الأسس لما استطعنا أن نستفيد من أي تجربة أصلاً.

وبما أن عالم الأجسام هو محل التجربة، وإذا كانت هذه الأسس، أسس الفهم، ليست من تجربة فهي ليست من عالم الأجسام. فمن أين إذن جاءت هذه الأسس؟ من محل آخر، وهذا المحل شديد الصلة بباطن الإنسان، إما أنه متصل بباطن الإنسان، أو أنه متحد به: متصل كاتصال الجسر بين طرفين، متحد كاتحاد العين مع الرأس. وهذا يدل على أن أعمق شيء في باطن الإنسان لا يكون من عالم الأجسام. وبما أن الباطن أفكار ومشاعر، فهذا العالم الآخر هو عالم الأفكار. وما المشاعر إلا نتاج الأفكار. وبما أن الأفكار تشبه الضوء، لأنها تخلق رابطة بين أمرين، أو تكون تصور عن صفة أمر ما، فكأنها تحاول أن تلقي الضوء لتكشف حقيقة الواقع، فالأفكار أنوار، ولذلك سنسمي هذا المحل الآخر الذي منه أساس الفهم، عالم الأساس، أو عالم النور .

ما هو هذا الأساس؟ مثلاً قانون عدم التناقض، أي أن الشيء لا يكون ويكون في محل واحد في وقت واحد من وجه واحد. ولكن هذا ليس مطلق، لأن الكثير من الناس تؤمن بإله يجمع المتناقضات ويعلو عليها، فإما أن كل من يؤمن بمثل هذا الإله مجنون، لأن العقل يعرف الزوجية ولا يستطيع أن يفهم ما فوق الزوجية، أي لا يستطيع تصور تحقق مثل هذا. وإما أن أساس العقل باطن فالعقل كله باطل.

ما دور الخيال في الفهم؟ نلاحظ أننا نتخيل المواقف والمسائل قبل الإجابة عنها، ونعتمد على المخيلة للتنبؤ بالحوادث، وعلى ذاكرتنا وخبرتنا المتراكمة. وظاهر أن الذاكر والخبرة المتراكمة هي تسجيل للحوادث أو التجارب التي باشرناها وسمعناها ورأيناها، في الذاكرة. ثم من مجمل ما في الذاكرة من خبرات ندرس ونعامل الناس والأشياء ونشعر. فالتجربة هي أساس الخيال الأول. ولولا وجود تجربة ما لا نستطيع أن نتخيل، فهل يمكن لأحد أن يتصور كائن من مجرة أخرى؟ لولا هذه الرسومات التي يختلقها الناس عن الكائنات الفضائية لما استطعنا التخيل، وحتى هذه الرسومات شديدة التأثر بالشكل الإنسان والحيواني، فنرى الكائن الفضائي له رأس، ولكنه غريب

الشكل. فلا يمكن للخيال إلا أن يكون استعادة لرؤية سابقة أو مزج لها بغيرها من التصورات. فنحن رأينا سيارة وطائرة مباشرة، فنستطيع أن نتخيل سيارة تطير ولها أجنحة. ومن أين أتينا بفكرة الطائرة؟ من طيور السماء.

(روابط)
الرابطة إما تأثير ومُتأثر، وهذه جوهر كل الروابط. وإما وصف مراحل صعود أو سقوط، فنربط بين كل مرحلة والتي تليها، كأن نقول، الطفولة ثم المراهقة ثم الرجولة ثم الشيخوخة. وإما نسبية، كأن نجد الرابطة بين الشيء والشيء بالنسبة للأول، كأن نقول، الشمس حرارة بالنسبة لأهل خط الاستواء، وجوهرة نادرة بالنسبة لأهل القطب الجنوبي. وإما ربط صفة الشيء مع اسم، كأن نرى كرة فنقول "كرة".

فالروابط ثلاثة، التأثير، والمراحل، والنسبية. والتسمية، هي رابط رابع متعلق باللغة فهو ثانوي.

والتأثير يكون كعلاقة السبب بالنتيجة، فالشمس سبب للحرارة والنور. فإذا ادّعى أحد وجود رابطة بين شيء وآخر فيجب أن يثبت صدق هذه الرابطة، أو ينفي وجود غيرها وبذلك يثبتها، وعلى من يريد تكذيب هذه الدعوى أن يصدق ذلك أيضاً.

(لماذا ندرس كيف نفهم؟)
إننا نأكل، الفقير والغني، العالم والجاهل، الكبير والصغير، كلنا نأكل الطعام، ونهضمه. فكم من الناس يفهم كيف يتم الهضم؟ لعلهم لا يتجاوزون عشر عشر الناس، أو حتى أقل، بل إن الناس لم تبدأ فهم حقيقة الهضم إلا في هذه القرون القليلة السابقة، بل لعلهم لم يفهموها بعد. وبالرغم من الجهل بالهضم فإننا نأكل، ونتمتع.، ونصنع أحسن الأطعمة وألذها، وجعلنا بالهضم لا محل له في حياتنا. إلا اللهم أمور بسيطة لا تخفى على أحد له عقل، كأن يفهم أن المعدة لا تهضم الحجر فعليه أن لا يأكله. وما أشبه، مما تعرفه حتى العجائز.

لماذا لا يكون الفهم كالهضم؟ فالناس تفهم، ولكنها لا يشترط أن تكون من الفلاسفة أو العباقرة. فهل يمكن أن تكون هذه الدراسة لا معنى لها في الواقع، وهي مجرد ترف فكري لا غير؟ فالقواعد التي قد نخرج بها لعلها لا تنفع عالماً ولا تضر جاهلاً. فمن يحتاج إلى كتاب ليعلم أن السبب متعلق بالمسبب؟ ولماذا هذا التعقيد في القواعد والكلمات وهي أمور بديهية مستقرة في باطن كل شخص؟ وهل يتصور أن هضم الإنسان سيصبح أحسن إذا فهم كيف يتم؟ لا أظن ذلك، بل لعل الأطباء هم من أكثر الناس من يصيبهم عسر الخضم من فرط عملهم ودراستهم.

ثم اكتشاف الفهم هل سيتم عن طريق العقل أم لا؟ لا يمكن إلا عن طريق العقل الذي هو أداة الفهم. فاكتشافنا للفهم هو بحد ذاته فهم. ومعنى ذلك أننا فهمنا قبل أن نفهم ماهية الفهم. وهذا يدل على أننا لسنا بحاجة إلى فهم الفهم.

(خاتمة)

فإذن إني لا أرى أننا بحاجة إلى الكلام المجرد تماماً، وما علينا إلا أن نتذكر أن الفهم هو إقامة روابط، أو إقامة صلات بين الأشياء والأمور. وهذه الصلات إما صلة تأثير أو مرحلية أو نسبية أو تسمية. وأن صدق الرابطة يجب أن يختبر. وبحسب كل رابطة يظهر نوع الاختيار الذي يجب إجراؤه. فلكل نوع من المباحث نوع معين من الفهم ونقده. ولذلك فالكلام عن الفهم المجرد لا أظنه يحتاج إلى أكثر مما عرفنا. ثم في كل نوع من المعرفة يُقام نقد لأساليب الفهم فيه حتى نصل إلى أصدق وأعمق النتائج.

والحمد لله رب العالمين.

....

بسم الله الرحمن الرحيم
(تحليل في التداعيات والشعور)

نلاحظ أننا نرى شيئًا معينا فنتذكر شيئًا آخر ونشعر بشعور معين غالباً ما يكون هو نفس شعور الحادثة التي تذكرناها. فكأن رؤيتنا للشيء أثارت وأخرجت ما في باطن عقلنا. ونلاحظ أن بعض الأشخاص كلما رأيناهم تذكرنا شيء معين، وكذلك نشعر بشعور معين بدون أي إرادة منّا في اللحظة الواقعة.

فالذكريات كالشبكة. وما يقع لنا في كل لحظة يقوم بإثارة شبكة معينة، وبالتالي ينتج فينا شعور معين. وأحياناً يقوم بإثارة صور معينة. وكثيراً ما تقع هذه الإثارة وانصباب الشعور في نفوسنا لاشعورياً. وهذا ما يحثنا على فهم هذه الظاهرة. إذ قد نكون في حال جيد ولكن فجأة نبدأ نشعر بانقباض في قلوبنا وشيء من الكآبة أو السلبية أو اليأس. ولكن نحن لا نعرف ما هو سبب هذا الشعور المؤلم، ولا نعلم ممن نحن يائسين. فإذا فكرنا في هذا الأمر فإننا قد نرى أنفسنا في حال نحسد عليه من كل النواحي، ومع ذلك نشعر بهذا الشعور المؤلم. وبالتالي نقع في حيرة. وإن الحيرة ألم بالنسبة لمن اعتاد العلم والتبصر واليقين إلى حد ما.

ولكن العجيب في الأمر أني إذا شعرت بهذا الذي وصفته، ثم بدأت بالتحليل بالورقة والقلم فإن الشعور يضعف، حتى يكاد يختفي. وأرى نفسي واع إلى عقلي وهو يسمع ويحلل ويكتب، حتى يذهب كل الشعور. فكأن هذا الشعور المؤلم ليل مظلم وكأن التحليل شمس مشرقة على هذا الليل، حتى أرجع إلى النهار. أو كأن قلبي طفل صغير يبكي لكي تأتي أمه وتنظر إليه فهو يبكي لجلب الاهتمام لنفسه. وهذا بالطبع بسبب الرغبة في الكبر، لأن الذي لا يهتم فيه أحد يعتبر نفسه ناقص. فالنفس فيها العالم كله، بكل بلدانه وكل سكانه. وهي شديدة التعقيد والتداخل وكأنها شبكة ضخمة من الأفكار والتي في باطن الأمر كلها متصلة، وكلها متفرعة عن والدي النفس أي الراحة والكبر.

ولكن نتساءل: لماذا تأتي فكرة معينة قبل أخرى؟ ولماذا يأتي شعور معين قبل آخر في أي لحظة من اللحظات؟ بما أن كل عمليات النفس موجهة لغاية واحدة فقط في نهاية الأمر، أي تحقيق الرضا عن طريق تطابق الواقع مع تصور الكمال. فإذن في كل تداعي فكري أو شعوري يوجد دفع للعمل لتحقيق تصورك للكمال. فهي قوة دافعة، وأيضاً تذكرك بواقع قصورك عن بلوغ ما تريد. وغالباً ما يكون الشعور المفاجئ سلبي، إذ لو كان دائماً إيجابي فرح فقد ينشغل الإنسان بالفرحة فينسى الغاية. ثم إن الفرح يأتي من الوصول إلى غاية أو تحقيق قيمة في تصور الكمال. وبالتالي القوة الدافعة هي قوة الألم. وهذا أدعى لجلب اهتمام العقل وجعله يجتهد في العمل لبلوغ الغاية.

هل يمكن أن نفك العقدة بين فكرة وفكرة وتغيير نوع الشعور الناتج عنهما؟ فمثلاً، وقع لي حادث ما وقد كان معي رجل، وهذا الحادث في يومها كان كئيب وأسود. وهذا الرجل لم ألقاه إلا يومها

وخرجنا مع صديقاتنا للعشاء. ولم أره بعد ذلك لمدة سنتين. ثم لما رأيته في التلفاز عادت إلي ذكريات وصور ذلك اليوم وانصب داخلي فوج من دخان حار من الكآبة وشعرت بانقباض في قلبي شبيه جداً بانقباض ذلك اليوم. ومازلت بعد ساعات أحاول أن أتخلص من هذا الشعور وتلك الذكرى. وكذلك كانت لي صديقة مقربة في تلك الأيام وقد سمعت معها أغاني معينة أهدتني إياها، وهي نفس المرأة من ذلك الحادث الكئيب الأسود، وصرت كلما سمعت أو بالمصادفة شغل أحدهم تلك الأغاني حولي فإني أتذكر هذه المرأة والكآبة التي كنت فيها في تلك الأيام وأحياناً أتذكر أموراً حلوة. وتساؤلي هو عن إمكان فك الرابطة بين هذا الرجل وهذا اليوم الكئيب أو فك الرابطة بين هذه الأغاني وهذه المرأة، وكل ما يشابه ذلك من الروابط. فهل هذا ممكن؟

إن هذه الروابط واقعية حقيقية وليست من صنع العقل المجرد. فمثلاً عندما قيل لنا أن الصلوة هي هذه الحركات والأغاني ثم بحثنا فعرفنا بيقين أنها دراسة كتاب الله فإننا نستطيع أن نغير الرابطة بين الصلوة والحركات إلى الصلوة والدراسة. وبعد فترة معينة تطول أو تقصر بحسب قوة الرابطة القديمة فإننا نستطيع أن نفك العقدة القديمة ونربط عقدة جديدة. ولكن في حال كون الرابطة بين حدث واقعي وأحد الناس في هذا الحدث فإن تغيير الرابطة مستحيل، وعلى فرض كونه ممكناً فإنه من الغباء أن نقوم به. فملاذ. هل سننكر كون الشخص كان في ذلك الحادث؟ هذا تغيير للواقع. ولكن ما يمكن أن نفعله هو أن نتعمق في فهم سبب الكآبة من ذلك اليوم، ثم بعد الوصول إلى الجذور فعندها نستطيع أن نغير الحادثة لتنتج لنا شعور جميل. إلا أننا لا نملك أن نغير ذكرياتنا والشعور الأصلي الذي كان فينا في الماضي فهذا أيضاً من الوقائع كوجود شخص ما.

ومن ناحية أخرى، لماذا نريد أن نغير الذكريات؟ لعلنا نرى أن تغيير الذكريات سيغير الماضي. وبما أننا لا نملك تغيير الماضي، فإننا نذهب إلى المركز الذي يخزن هذه الذكرى المؤلمة ونعمل على تغييرها وتحريفها. وبذلك نكون قد دمرنا الدليل الوحيد الموجود عن الماضي المؤلم. ولكن في واقع الأمر هذا مجرد كذب على النفس. ثم إن الألم الأكبر سيظهر عندما يكون الدليل على الماضي المؤلم موجود ليس فقط في ذكرياتنا ولكن في ذكريات ناس آخرين. وبما أننا لا نملك تغيير وتحريف هذه الذكرى في عقول هؤلاء الآخرين فعندها سيتولد فينا الخوف، وكره هؤلاء الآخرين، وقد نحلم أننا نقتلهم أو نفعل فيهم فعل سيء وكأننا نقول "ها أنا أيضاً عندي صورة سيئة لك" فإن كنت لا تستطيع أن تنتقم في خيال الخالق فانتقم في خيال نفسك. ولعل الكثير من مشاعر الكره والانطوائية ترجع إلى هذه الحقيقة النفسية.

ولكن شعورنا بالنقص بسبب الأخطاء القديمة يؤذي رغبتنا في الكبر والكمال. ولذلك لن نتحمل أن نحيا بهذا الشعور بالنقص ولذلك نسضطر أن نخترع مفاهيم تمحي هذه الأخطاء القديمة. ولعل فكرة "غفران الذنوب" و "الخلق الجديد" جاءت لتشفي صور المؤمنين، إذ معلوم أن كل الذين ءآمنوا أخرجهم الله "من الظلمات إلى النور" فكونهم في "الظلمات" سيؤذي كبريائهم. فيأتي الدين ويقول أن نفسك القديمة ماتت وأنت نفس جديدة الآن. وبالتالي فذاك لم يكن أنا. هو رجل

آخر. لعنه الله. والحمد لله على هذه الحياة والنفس الجديدة. "ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله رب العالمين".

والحق يقال، فإن هذه فكرة عظيمة. ولكن هل يمكن للمؤمن أن لا يتأثر بذكريات "الظلمات" القديمة؟ من واقع هيكل النفس فإن هذا مستحيل. فلا شيء يدخل النفس يخرج منها. يمكن أن يتحول أو يغطى أو نلبسه مفهوم جديد ولكن أن يزول بالكلية فهذا مستحيل. إلى أين سيذهب؟ فالشمس عندما تشرق يذهب الليل، ولكن في الحقيقة هو لا يذهب ولكن يغطيه ضوء الشمس ولكن لا يزال هنا في باطن الضوء.

فأحسن طريقة لتجنب الشعور بالنقص بسبب الذكريات القديمة هو أن نتعلم منها. وأن نراها على أنها تجربة شخصية مع الألم وقد مررنا بها لكي نجنّب الآخرين هذا الألم بأن نعلمهم كيفية تفادي هذا الخطأ. وأيضاً بأن نعمل على إزالة الأسباب التي دفعتنا للدخول في هذا الخطأ. وبذلك نكون قد ضحينا بأنفسنا من أجل الناس، ونكون قد أصلحنا في المجتمع. وبالتالي نكون علماء مخلصين مصلحين. وهذا شعور عظيم يجعلنا نقدر كل أخطائنا ونرى أنها كتاب نتعلم ونعلم منه. وبذلك لا نريد أن نغير روابط شخصية أو شعورية، ولا نريد أن نحرف شيء، ولا نريد أن نقتل أو نكره أحد بل بالعكس نريد أن يأتي هؤلاء ليشهدوا على صحة قصتنا وبالتالي يدعمون مصداقيتنا. هذا هو العلاج الشافي لكل ألم الماضي.وهو علاج واقعي بسيط مريح يشعر بالكبرياء وينفع الناس. فالحمد لله.

الطغيان ظاهرة نفسية. فإن الخلل في أحد الرغبات الثلاث: المعرفة والزوج والمعيشة يؤدي إلى خلل في شبكة التداعيات ويجب على الناس أن ينتبه لذلك جيداً حتى لا يقع في الحيرة ويفعل ما عليه أن لا يفعله. فمثلاً، قد تنقصك زوجة. وتبدأ تشعر بالآلام النفسية بالرغم من أنك من أهل المعرفة ومعيشتك ميسرة، ولكن الغفلة تجعلك تظن أنك ارتكبت معصية ولذلك أنت تعاقب وتعذب، أو تظن أنك تعلم الناس الباطل وأنك من جند الشيطان بالرغم من أن كل تعليمك نابع من البراهين والكتاب المبين، أو تظن غير ذلك من ظن السوء، والواقع أن رغبتك في الزوجة طغت على كل عقلك وجسمك وبدأت تصرخ كالطفل الجائع، والأب الغافل الذي لا علم له بالطب قد يظن أن الطفل مريض أو رزى شيطاناً أو أي معتقد سخيف غير مؤيد ببرهان. ولكن الواقع أنه يريد حليب الأم فقط، ولكن عقله الأب وجهله جعلاه يضرب أخماساً بأسداس. والواقع بسيط جداً. فاحذر هذا وانتبه لنفسك.

ولكن ما سبب هذا الطغيان؟ سببه أن النفس لا تريد أن تشعر بالنقص وتقر به إذ هي كبرياء في جوهرها. فبدل أن تقول "أريد زوج" تقول أمور تجعلها تشعر بالكبر ولو لاشعورياً مثل فكرة عصيان الله وذلك يؤدي إلى الشعور بالكبر، إذ من يجرؤ على معصية الكبير إلا كبير. وغير ذلك من الأفكار التي يظن الناس أو يدعوا أنها تجلب الخشوع والذل وهي في جوهرها كلها كبر عظيم. وحتى هذا النفاق كبير. لأنه يرى أن التواضع من صفات الكمال. وبالتالي هو في باطنه كبير لأنه يعصي الله الكبير، وفي ظاهره متواضع مذلولاً لا يشعر بكبره الحقيقي. ومعلوم أن كل

متواضع متكبر، إذ كلمة "متواضع" تعني أنه كبير ولكنه يتواضع ويتصغر. أما لو كان لا يرى نفسه كبيراً فيجب أن لا يقولوا "تواضع" ولكن يجب أن يقول عن نفسه أنه "وضيع". وهذا مستحيل أصلاً ولو قالوه بأفواههم.

وسببه أيضاً هو الرغبة في الراحة. لأنه لو أقر بموقع النقص فهذا سيجعله يضطر أن يعمل على جبر هذا النقص، والعمل ضد الراحة. فأسهل طريقة إذن هي أن يخدع نفسه ويضللها، ويجعل نفسه يشعر بالحيرة، وأكثر من ذلك يجعل نفسه يفكر أنه حقاً يريد أن يعرف موضع الخلل ولعله يبكي ويسجد إلى الله. وهو في الواقع يخادع نفسه ولعله لا يشعر بذلك، بل لا يشعر بذلك حقا. لا يوجد شيء في النفس إلا بفعل من النفس. هذه هي بداية العلو الحقيقي.

لا يوجد شيء في النفس إلا بفعل من النفس. أي تفكير أو نسيان أو رغبة أو حيرة أو خطأ أو سهر أو أي شيء على الإطلاق كله من رك. ورك لاشعوري. ولكن من يحلل نفسه دائماً سيصل إلى مرحلة يعرف فيها تفسير نفسه وكل النفوس بدون كبير عناء، بل لعله يفهم النفوس بدون تحليل شعوري. ما أن يسمع شخص يتكلم أو يتصرف حتى يعرف عنه الكثير من الأشياء، ويغوص إلى جوهره، ويعرف تصوره للكمال إلى حد بعيد. حلل نفسك تسعد وتصل إلى نفوس الآخرين. رك شمس تضيء كل شيء. هذا هو علم النفس. هذا هو علم الناس.

إذا أردت أن تفهم أي ظاهره في هذا العالم فقل "ما هي الصلة بين هذه الظاهرة ورك؟" وسترى.

فإذن نخلص إلى أن كل أعمال النفس أيا كانت فهي قوة تدفعك للوصول إلى تحقيق تصورك عن الكمال بكل ما فيه، حتى وإن لم تفهم من أين جاَء الأثر. ولكن بالطبع لكل تفهم أي قيمة تريد هذه القوة أن تحققه فعليك أن تحلل الأثر وترتقي في الأسباب حتى تعرف ما هي القيمة التي صرخت وأزعجتك. فقِيَمك أبناءك وأنت المسؤول عن إطعامهم. وفرحتك في فرحتهم. وكلكم واحد.

لماذا توجد شبكة الذكريات ولماذا نستعملها؟ نلاحظ كظاهرة عامة أننا إذا كنا نجلس مع ناس، ثم بدأنا نذكر قصة حدثت لنا أو ذكرنا اسماً مثلا فإن البعض يبادر ويقول "نعم، حتى أنا ذهب إلى هذه البلدة" أو "اسمك كذا حقا ! ماذا يقربك فلان؟" وما شابه. حتى إذا كنا نسمع لمحاضرة مثلا فإننا نبدأ بربط كل ما يقوله المحاضر بذاكرة أو معلومة معينة مسبقة عندنا. فعندنا حافز قوي لربط كل جديد بشيء قديم عندنا. فما سر هذا؟

لأننا نرتاح من المجهول عندما ننسبه إلى معلوم مألوف. كمثل صبي خائف من مقابلة صبي آخر لا يعرفه بعد فيحضر حارسه الشخصي معه. فيغلب علينا كره الجديد. خاصة لو كان من أمور الفكر. فقد يعتاد الإنسان على أكل المزابل فتكره بطنه الطعام النظيف، بل لعله يمرض إذا أكله فجأة وانقطع عن القديم المألوف. ولأن تغيير القديم فيه جهد، جهد خلع القديم وجهد زرع الجديد وجهد انتظار الاعتياد على الجديد. وكما عرفنا فإن الجهد ضد الراحة ولذلك كل من يجعل رغبته

في الراحة موجهة إلى القلب فإنه لا يستطيع أن يأخذ ويستقبل الجديد في الحياة عليه بصدر منشرح، بل لعله يحاربه.

ولأن الاقرار بوجود شيء جديد بالكلية علينا يعني جرح كبرياءنا، إذ لو كنا تامّي الكبر كما نريد فكيف لا نعلم شيئا عن هذا الأمر الجديد. وبالتالي نخفف من هذا الجرح الواقعي عندما نربطه وننسبه إلى شيء قديم معلوم لنا، وبذلك نكون قد أزلنا نصف الألم.

من لا يراقب نفسه جيداً ويملكها ويحكمها فإنه سيعيش طول حياته تحت ظل الذكريات الميتة، ولن يستطيع أن يحيا حياة جديدة لكل يوم، وبالتالي سيفقد متعة مواجهة المجهول. ولكن كيف يكون المجهول متعة للبعض وعذاب يؤدي إلى تحريف الواقع عند البعض الآخر؟ هذا لأن البعض يرغب في الكبرياء العقلي الحقيقي، والبعض الآخر إما لا يريد إلا كبرياء الجسم أو يرضى بكبرياء عقلي وهمي، كالجاهل بالفلك والذي يدعي أنه أعلم الناس بالفلك ولو سألته كم كوكب حول الشمس لعجز. والرضا بالوهم موجود بكثرة، ومن أثاره استعمال المخدرات التي توحي للمتعاطي أنه ملك العوالم وهو في الواقع حقير منبوذ لا يفقه شيئا.

فما سبب الرضا بالوهم؟ يريح النفس إذ يستفتي الإنسان عن العمل الحقيقي للحصول على ما يريد. والكبر لأنه يجعل الإنسان يرى أن خياله والواقع هما شيء واحد. فكل ما في خيالي واقعي. ومعلوم أن الواقع هو عقل خيال الله، وهذا الرضا بالوهم يغذي لاشعورياً الرغبة في الكبرياء المطلق والذي هو الاتحاد بعقل الله. وهل نزل الكتاب العزيز إلا لهذا. فكل الناس يرغبون في نفس الأمر ولكن من يرضى بالوهم ومنهم من يرغب في الحق.

الجنون هو التعبير المتطرف لرغبة الإنسان أن يكون هو الله الخالق الأعلى. ولذلك يضع المجنون موازين جديدة للعالم. ويتصرف بطريقة جديدة. ويدعي ما يشاء بدون أن يضطر إلى تبرير نفسه وكأنه الذي "لا يسأل عما يفعل" ويفعل ما يشاء ويتوقع أن لا يلومه أحد وكأنه "فعال لما يريد". وهكذا إذا حللنا كل من نسميهم "مرضى نفسيين" أو "مجانين" و"مهلوسين" فسنرى أنهم مدفوعين كباقي الناس بالراحة والكبر. وقد يزج إنسان بنفسه في ساحة المرض والجنون والغباء لاشعورياً لأنه يرغب في أن يرتاح من العمل للمعيشة مثلاً إذ يعلم ويرى أن المرضى يعاملون معاملة حسنة ومجانية إذا كانوا مجانين. ولذلك إني أرى بقوة أننا إذا شرعنا نظاماً يقوم بقتل كل مريض نفسي فسنرى أن تسعة أعشار الأمراض النفسية ستختفي من على وجه الأرض. ولن يبقى إلا القليل، وخاصة الذين يريدون الانتحار ولكن لا يتجرأون أو لا يرغبون بقتل أنفسهم بأيديهم لأي سبب كان، وبذلك سيخلقون في أنفسهم أمراضاً حتى يقولوا "يا رب نحن أردنا العلاج ولكن هم بظلم قتلونا وأرجعونا". وهذا ليس إلا كذب على النفس وخداع. كذب عندما يتعمد الشخص تمريض نفسه، وخداع عندما يمرض نفسه لاشعورياً ويظن أنه لا أحد يعمل ما يدور في سره وما هو إلا ضحية أمراض طبيعية.

جدد العين التي ترى بها وستصبح عينك أقوى بعد كل مرة تنظر بها.

ويظهر أن علاج أي فكرة هو عندما يرى الإنسان كيف عملت نفسه حتى أقنعته بهذه الفكرة. إذ حقا في أكثر الأحيان، بل لعله في كل الأحيان، تتم عمليات العقل لاشعورياً، كمثل المعدة عندما تهضم الطعام الملقى فيها. فالوقاية من المرض تكون بمراقبة عمليات النفس عن طريق تحليل المعتقدات والأفكار والمشاعر والآثار، باختصار كل ما يظهر فيك. وأيضاً بأن لا تسمح لعقلك أن يبلع كل شيء وإن كنت ضعيفاً في مراقبة نفسك وتحليلها. ولكن قد يصل الإنسان إلى مناعة قوية تجعله ينتفع من كل ما يبلعه عقله، وهذه قمة راقية.

ولاحظ كيف أن النفس لا تبالي بموازين الواقع الفعلي. فهي ترى أنها عالم كامل مستقل بنفسه عندما تختار فعلها. ولولا أن أصلها هو الوجود اللامتناهي الذي يحوي كل شيء في نفسه لما كانت نفوسنا على ما عليه. وعلى ذلك يجب أن يتدرج الناس في تذكر الوجود المطلق ثم خلقه للعوالم. وبعد ذلك يعرفوا أن عالم الخلق واقع، ومن ثَم الطريق إلى اللانهاية هو بالعلم بالحق والعرش. ولو تركوا بدون تذكير وتعليم لتصرفوا في حياتهم لاشعورياً على أساس أنهم عين الوجود المطلق، ولن يتعلموا إلا قليلاً وبدافع عذابهم من التجربة في عوالم الخلق، ولا يوجد شر أكبر من ذلك إذ سيقع الناس في ألم عظيم بسببه.

فإذن التحليل النفسي فرض عين على كل إنسان. ثم دراسة كتاب الخالق. وبهذا تعالج النفوس وتشفى والحمد لله.

....

(صورة أوضح لهيكل النفس)

توجد أمامي رسمة بيدي لكنّي سأصفها إن شاء الله بالكلمات.

أربعة أقسام.

القسم الأعلى هو ثلاث مربّعات بعضها داخل بعض. هو قسم "نبع الأفكار". المربّع الأكبر المحتوي للاثنين الأصغر منه هو مرّبع "اجتماعي". وداخله مربّع "شخصي". وداخله مربّع "وحي".
القسم الأوسط هو سحابة "تصور الكمال".
القسم الأدنى هو سبع مستطيلات من اليسار ثلاثة وفي الوسط موازٍ لتصور الكمال واحد ويوازي الثلاثة اليسرى ثلاثة يمنى. اسم المربّع الأول من الأيسر هو "الحال"، وتحته "شعور بالنقص"، وتحته "رغبة في الاكتمال". وفي الوسط ""تفكير". وعن اليمين من الأدنى "أعمال" وفوقه "آثار" و فوقه "الحال الجديد".
القسم الخارج المستقل عن يسار تصور الكمال وبجانب القسم الأول هو نجمة "رضا".
توجد أسهم من القسم الأول اسمه "راحة/كبر".
من تصور الكمال سهم "مقارنة" لجهة "الحال". ومن الحال سهمين، الأول "إن تطابقا" يصل بنجمة "الرضا". وتحته سهم جهة"شعور بالنقص"، ومن الشعور بالنقص سهم إلى "رغبة في الاكتمال"، وهكذا أسهم تصل هذا بالتفكير ثم منه بالأعمال ومنه بالآثار ومنه بالحال الجديد. ثم سهم من "الحال الجديد" اسمه "مقارنة" يصل بـ"تصور الكمال" ومنه سهم إلى "الرضا" في حال التطابق، ومن سهم الحال الجديد إلى تصور الكمال تخرج ثلاثة أسهم من تصور الكمال إلى المربعات العليا أحدها اسمه "مدح" والثاني "ذم" والثالث "إضافة".

وعن يمين الرسمة توجد هذه القائمة :
١-نبع الأفكار. ٢-تصور الكمال. ٣-الرضا (المستقر). ٤-الحال. ٥-شعور بالنقص. ٦-رغبة في الاكتمال. ٧-تفكير. ٨-أعمال. ٩-آثار. ١٠-الحال الجديد.

أ-(١-٢) : التجريد المبدأ. [هذا يصف نبع الأفكار].
ب-(٣): الواقع. الغاية. [هذا يصف الرضا، المستقر].
ج-(٤-١٠): دورة العمل. الوسيلة. [هذا يصف القسم [هذا يصف المستطيلات من الحال إلى الحال الجديد].
-الأرقام هنا هي الأرقام من القائمة المذكور أعلاه.

....

(عن مقاومة ظهور هيكل النفس)

أينما نظرنا في الآفاق وجدنا العلماء قد اكتشفوا هيكل ما. من هيكل الذرة إلى هيكل المجرة. والفرضية المبررة تبعاً لذلك هي أن يكون ثمة هيكل لنفس الإنسان، لباطن قلبه، ويكون بنفس دقة هيكل الذرة أو هيكل الجسم أو هيكل الشجرة أو باقي الهياكل. أي لا يكون "اجتهاد" أو "رأي شخصي" أو "وجهة نظر" : بل يكون يقين علمي مثل يقين العقل بهيكل الذرة والجسم. فعندما نقول أن الجسم مكون من رأس ويدين وكبد وكليتين وما شابه فهذا ليس رأي شخصي لأحد علماء الطب. ولكنه علم محكم. وكذلك داخل الجسم وباقي الأشياء. ويظهر أن مثل هذا الهيكل النفسي لم يكتشف بعد. بل ويظهر أنه لا يوجد ظاهراً من يفترض وجود مثل هذا الهيكل بحيث يكون يقين علمي كما ذكرنا.

إني أرى سبب وجود هذه المقاومة هو عدم رغبة الناس في معرفة وتحديد هيكل النفس وجوهرها. فأما أهل التسلط والاستبداد فليس من مصلحتهم أن يعرف أحد ما هي طبيعتهم وتركيبهم النفسي لأمور عدة منها لكي لا يكتشفوا كذبهم وحيلهم في التسلط في كلامهم وأعمالهم، ومنها لكي لا يقوموا بإسقاطهم عن طريق تغيير الناس. وأما أهل الأحزاب والطوائف الدينية والفكرية الاجتماعية فأيضاً ليس في مصلحتهم أن يعرفوا هيكل النفس، إذ بذلك ستنكشف كل أوهامهم وأسرارهم وحقيقة أقوالهم وأقوال أسيادهم. ثم يوجد عامة الناس والذين لا يرغبون في معرفة جوهر نفوسهم وهيكلها حتى لا تنكشف أسرارهم ومعاني أعمالهم. فباختصار، ليس من مصلحة أحد أن ينكشف هيكل النفس وجوهرها. إلا من لا يبالي بكل ذلك. بل ولا يبالي بنفسه وخداعها، بل يجب أن تتوفر فيه نوع من العداوة لكل الأنظمة العالمية لكي يقدم على مثل هذا. ومن ناحية إيجابية يجب أن تتوفر فيه الرغبة في معرفة الجوهر مهما كان ومهما سيؤثر فيه. أي يكون مغامر انتحاري. وأيضاً يكون شديد الأنانية والاهتمام بالعقل وبذلك يكون يريد أن يرغب في معرفة كل شيء، وعقل كل شيء، ورسم صورة في عقله لكل شيء. أي يريد أن يكون كالإله المتعالي الذي يعرف كل شيء. وبدون هذا الكبرياء اللامحدود لن يجرؤ أحد أن يبحث عن هيكل النفس أو أن يقرّ بوجوده.

فلا يرفض هيكل النفس إلا مكبوت يكذب على نفسه ولا يريد أن يكتشفه أحد بل حتى لا يكتشف هو نفسه ما في نفسه. كالرجل ذو الوجه المحروق المشوه القبيح، أو الذي يظن أنه مشوه على الأقل، فهذا يكره النظر في المرآة، أليس كذلك. فالناس ثلاثة: مشوه، ويظن أنه مشوه، وعالم بهيكل النفس. فأما الذي يظن أنه مشوه، فإذا علم بهيكل النفس، سيزول عنه هذا الوهم. وأما المشوه فعلاً إن وجد فهذا سيجد بعد أن يعلم ما هو هيكل النفس سيرى أنه يملك أن يقوم بعملية تجميلية طبيعية بكل سهولة، ومجاناً !

....

(تأويل ظاهرة كره المرغوب بعد الحصول عليه)

يحدد الإنسان لنفسه غاية ويتألم لعدم حصوله عليها، ولعله يبكي شوقاً إليها، فما إن تقع في يده حتى تمسي شيئاً عادياً، بل لعله لا يلتفت إليه، بل لعله ينفر منه ويرغب في فراقه. كل الناس في كل زمان ومكان يعرفون هذا الأمر جيداً، ولا أظن أنه يوجد إنسان لم يمر بهذه الحالة. وهي من الشهرة بمكان فلا نحتاج إلى وصفها بأكثر مما فعلنا.

ولكن تساؤلنا هو: إذا كان يرغب فيه فلماذا بعد أن يملكه يصبح يكرهه بدرجة أو بأخرى؟ فهذا يدل على أنه في واقع نفسه لم يكن يرغب فيه أصلاً. نعم، شعورياً يظن أنه يرغب فيه، ولعله يذكر أسباب منطقية واجتماعية كثيرة ليبرر بها رغبته هذه، ولكن لاشعورياً هو لا يرغب فيه، ولذلك لما صار في يده تولد فيه شعور الكره أو اللامبالاة تجاهه.

يظهر أنه يتخذ رغبته هذه كمجرد وسيلة لتحقيق رغبته الجوهرية في الكبرياء. وهذا هو الدافع الحقيقي اللاشعوري. فعندما نرغب في عقولنا في شيء ما، ثم يصبح الواقع الفعلي هو هو ما تخيلناه، فهذا يجلب للنفس شعور بالكبرياء، إذ كأن عقلي أثّر في الكون، أو في العقل المدبّر للكون، ونفذ أوامري الشخصية. ولذلك يفرح الإنسان عندما "يحقق أحلامه". ليس لأنه يبالي بالأحلام، لا، ولكن لأنه هو بقوة عقله أو سمو نفسه المتعالية أثّر في القوة العليا وأصبح الواقع هو هو الواقع الذي كان يريده أن يكون. فهو شعور بأنه هو الخالق بطريقة أو بأخرى. وبذلك يشعر بأن نفسه امتدت إلى مجال أوسع وحركت وغيرت وأثرت، وكأنه هو الذي يقول للشيء كن فيكون. ولا تريد النفس أكثر من جرعة من كأس الخمرة هذه التي تسكرها بالفرحة والرضا.

ولذلك ما إن يحصل على ما يرغب فيه حتى يكرهه، ويتحول إلى شيء آخر ورغبة أخرى، ليس لأنه يريدها ولكن لأنه يريد الشعور بالكبرياء الذي يستمده من اللاشعور بسببها. ففي الحقيقة نحن لا نريد غاياتنا. فالغايات متغيرة فهي ليست الأصل بل هي مجرد فروع، ولكن الكبرياء ثابت فهو الأصل. فالإنسان يملّ من غايته إذا تحققت ولكنه لا يملّ أبداً من الشعور بالكبرياء. ولو استطاع أن ينزل الله من عرشه ويحل محلّه لفعل، بل لعل هذا هو تأويل ظاهرة خروج الناس عن دين الله ونفورهم منه. فهو إسقاط غير مباشر لحكومة الله.

فلا تتعجب من كرهك لشيء كنت ترغب فيه بعد حصولك عليه، لأنك لم تكن ترغب فيه أصلاً. فالغاية في الحقيقة مجرد وسيلة. والغاية الحقيقية هي الشعور بالكبرياء. فعندما نسمي الوسيلة "غاية" فإنما نزوّر ونخدع أنفسنا والناس. فهي نوع من المقاومة والكفر، إذ نريد أن نخبئ جوهر نفوسنا في ثياب فضفاضة، أو نَئدها وندسها في تراب المنطق السليم والمصلحة العامة والعمل لوجه الله.

لا يقاوم الناس شيء مثل مقاومتهم لكل ما يمكن أن يكشف جوهر نفوسهم. فالحر وحده من يملك أن يفصح عن رك الذي هو جوهر نفسه، ولعله يفعل ذلك بدافع الكبرياء أيضاً، إذ هو أكبر من العبيد الجبناء الذين يخدعون أنفسهم وما يشعرون.

فعندما تعلم السبب الجوهري الذي جعلك ترغب في أي شيء، فإنك بذلك تكون كالبصير الذي لن يقع في حفرة الألم والعذاب. فلا تخدع نفسك لأنك ستكون أول من يتألم بسبب ذلك. اتهم نفسك وبذلك ترتاح ولعلك تريح الناس أيضاً فتشعر بالكبر.

....

(تأويل انجذاب الناس عامة والشباب خاصة إلى الجنس)

١-التأويل الأعظم هو بسبب رغبة الناس في تحقيق حكم الله في الأرض بأي صورة من الصور. وهذه الرغبة التي هي سبب نزولنا إلى الأرض ما زالت في العقل الباطن. ولكن مرض النسيان الذي أصابنا جعلنا ننسى الطريقة الأكمل لتحقيق هذه الرغبة، وبالتالي حوّلنا الأمر إلى صورة أخرى، أي الجنس.

السماء تنزل الماء إلى الأرض فتنبت الشجر. هذه هي العلاقة الآفاقية التي تمثل تطبيق حكم الله على المجتمع. الله يرمز إلى الملكوت، أي حكم السماء، وعلمه يُرمز بالماء، والأرض هي القلوب عامة. وأما في عالم الأنفس فإن السماء ترمز إلى الذكر والأرض ترمز إلى الأنثى، واتحادهما يرمز إليه بالعلاقة الجنسية. أو "الملامسة" بحسب تعبير القرآن الراقي. فحقيقة الملامسة بين الذكر والأنثى توقظ في القلب الفكرة الأولى، أي "تطبيق حياة الملكوت على عالم الأجسام". ولما كانت المنزلة العالية هي جزاء من يتم هذه الفكرة، فإن الإنسان عندما يمارس العلاقة الجنسية فإنه يتذكر لاشعورياً هذه الحقيقة، وبسبب اتحاده مع الأنثى، يشعر وكأنه قد أتم المهمة، وبالتالي يفرح ويشعر بشعور الرضا ولو إلى حين.

وهذا من الأمور الشائعة في حياة الناس. أي عندما ينقل الناس فكرة من صورة إلى صورة أخرى، ويعاملون هذه الصورة الأخرى وكأنها هي هي نفس الصورة الأصلية الأولى. فمثلاً، قد تكره رجل معين وترى أنه سبب للشؤم والتعاسة. وبعد فترة تلقى رجل آخر في بلدة أخرى وفجأة تجد نفسك تنفر من هذا الرجل، وتقول "لا أعلم، أشعر في قلبي أنه رجل سيء" ولكنك في الواقع لا تعلم عنه أي شيء ولم تره في حياتك من قبل. وعندما تحلل نفسك وتبحث عن تأويل قرارك هذا قد تجد أنه يشبه الرجل المشؤوم الأول، وعندما رأيته أيقظ في نفسك ذكرى الأول، أو أطلق الشحنة السلبية المربوطة بالأول. ولهذا أمثال كثيرة. ولعل الكثير من مواقف الناس تجاه أمور معينة في الحياة يستند إلى مثل هذه النقلات.

ومبدأ النقل هذا هو الذي يستند عليه حب الذكر للأنثى والعكس من ناحية من النواحي بحسب التأويل الأعظم. فالجنس ليس غاية في ذاته. ومن أكبر الأدلة على أنه مجرد "مُذكِّر" يعمل على إيقاظ أفكار أخرى في العقل الباطن، هو أن الإنسان قد يتوفر له الجنس على الدوام ولكنه لا يشعر بالرضا أبداً بل لعله يشعر بالتعاسة وينتحر كما نعلم لذلك حالات مشهورة لأناس عندهم معيشة المترفين وحب الجماهير وممارسة الجنس على الدوام وكأنه ضفدع في موسم التزاوج، ومع ذلك يقدم على الانتحار. أو على الأقل يشعر بتعاسة عظيمة، بل لعلها تتعاظم بقدر ما يتعاظم ترفه. وسر ذلك أنه لم يتذكر شعورياً بعد ما يفترض أن يتذكره من ممارسة هذه الرموز الظاهرية. كمثل المتعبد التعيس الذي يقوم بالطقوس الدينية ولا يدرك جوهرها فيرتاح،

فملامسة النساء هو في الحقيقة كالطقوس الدينية من إحدى الزوايا الكبرى. والذي يقوم بالطقوس بكل حرفية ولكنه لا يتذكر المعاني التي خلقت هذه الطقوس وفرضت على الناس القيام

بها حتى يتذكروها، فمثل هذا يبقى جاهلاً تعيساً لا يفهم شيء مهما مارس هذه الطقوس، بل إنه يبدأ لاشعورياً يمقت نفسه ويستشعر الذلة بسبب أنه يمارس الدين ولا يزال لا يدرك جوهره. ولذلك تتعاظم تعاسته بقدر ما يمارس من الطقوس الجاهلية الوثنية. وكذلك القول في ممارسة الجنس دون التذكر الواعي للفكرة الداعمة للجنس والتي اتخذت الجنس كثوب عليها ورمز لها.

وأما انجذاب الشباب خاصة فلأنهم أقرب عهداً بالملكوت من الشيوخ. فالنسيان أضعف نسبياً عندهم. والفكرة اللاشعورية لا تزال أقوى بالنسبة لهم. ولذلك يريدون لمس كل امرأة تحسن في أعينهم ولعل أكثرهم أو كلهم لا يبالي من تكون هذه المرأة ولو كانت زوجة أخوه، ولا يخشى في ذلك لومة لائم إلا قليلاً. ولو أمنوا على أنفسهم من الموت وعلى معاشهم فلعلهم لا يبالون لا بأخيهم ولا بأعز أصدقائهم. وهذا من مظاهر عدم مبالاة المؤمن بأحد في سبيل العمل بأمر الله ولو كانوا آباءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم. بل قد ينفر ويعادي من يكون السبب في عدم وصوله إلى المرأة، ويشعر أنه من حقه وواجبه أن يصل إليها أيا كان الثمن. ولذلك يغلب على الشباب عدم المبالاة بما يسمى "مبادئ الأخلاق والشرف" خاصة إذا تعلق الأمر بملامسة امرأة. نعم، قد يعشق المواعظ وكل شيء، ولكن لا تتدخل في شؤون الجنس، إذ قد يكفر بالله في سبيل ذلك. وفي عقله الباطني يرى أنه من المجاهدين في سبيل الحق وإعلاء كلمة الله في الأرض حتى لو كان هو نفسه لا يدرك هذه المفاهيم شعورياً. العقل الشعوري الواعي هو مزبلة المجتمع وتفاهات السفهاء. القيم الحقيقية التي توجّه كل الناس موجودة كلها في العقل الباطن قبل أن يولدوا أصلاً. والناس بين متذكر لهذه القيم يعمل بها مباشرة، أو غافل عنها وبالتالي ينقل هذه القيم من صورة إلى صورة أخرى بدون أن يعي أنه يفعل ذلك ويحسب أنه مدفوع بحرية الاختيار وحب الخير والجمال، والأدهى من ذلك أنه يحسب أنه مدفوع بالتفاهة التي تسمى زوراً بالمنطق السليم، المنطق الوحيد الذي يفهمه الإنسان هو منطق الراحة والكبرياء. وما سوى ذلك مرض يجب إزالته عاجلاً.

٢-الدرجة الثانية من التأويل ترجع إلى جوهر النفس أي الراحة والكبر. ولاحظ أنهما أمرين. أي "زوج". فالإنسان في عمق نفسه في علاقة جدلية بين الرغبة في الراحة والرغبة في الكبر. فهو يريد الراحة من أجل الكبر، ويريد الكبر من أجل الراحة. فجوهر النفس زوج. وهذا ما يدفع الإنسان أن يجد لجسمه "زوج". فلولا الجسم لما عرف الناس غير أنفسهم. وهذا من أسرار كون الملائكة لا تتزوج ولا الله تعالى. إذ ليس لهم جسم. فهم لا يشعرون بالنقص بسبب عدم امتلاكهم لشقهم الثاني المكمل لهم. وأما الإنسان فإنه إذا لم يكن له زوج فإنه يشعر بالألم والتعاسة المتراكمة بسبب هذا الألم المستمر.

فمسألة الزواج ليست مسألة ثانوية. أو أمر يمكن تأجيله حتى يبلغ الإنسان العشرين أو الثلاثين. بل يجب أن لا يبقى إنسان بدون زوج أبداً. فما أن يولد المرء تكون الأم هي الزوج الأول له عن طريق الرضاعة. ولكن بعد الفطام فإنه يحتاج إلى زوج من الناس. وماذا يحدث عندما لا يتوفر للإنسان زوج بعد الفطام؟ يبدأ يتعلق جنسياً بكل من حوله. ولو كانت أمه، خالته، خدامة أو أي أحد بلا استثناء. إذ الأنساب وحرمتها ليست من الأفكار التي يعرفها الطفل بعد. ولا يوجد في

اللاشعور أي "محرمات نكاح" كما هو معلوم. وأشار لذلك قول الكتاب عن يوم القيامة "لا أنساب بينهم". فالأنساب الجسمانية من حيث ذاتها لا قيمة لها. وهل البدو والجاهلية إلا الافتخار بهذه الأنساب الجسمانية. فإذن المعلوم يقينا أن العقل الباطن لا يعرف أي "محرمات نكاح" ولا "أخلاق وآداب". يعرف شيء واحد فقط: ماذا أريد سأحققه ولو كره ذلك الله والملائكة والناس أجمعين. والذي لا يملك من الطاقة ما يجعله يحقق رغباته في الواقع يملك الخيال الواسع ليحقق ما يشاء فيه. والكبت يولد الانفجار عاجلاً أم آجلاً كما هو معلوم جيداً.

وبناء على ذلك، إذا أردنا أن نبعد عنا هذه الأفكار "الخبيثة" والأمراض المصاحبة لها، فعلينا أن نزوج كل رجال مجتمعنا منذ أن يبلغوا الفطام حتى الموت. فكما أننا نطلب العلم من المهد إلى اللحد فعلينا أن نجد الزوج من المهد إلى اللحد. وكما أن خلل في العلم قد يؤدي إلى خلق الإرهاب وتفجير ألف إنسان، فكذلك كبت الجنس سيؤدي إلى تدمير إنسان. وعاجلاً أم آجلاً سيدمر من حوله.

الرجل بلا زوج مطعون بخنجر مسوم في جوهر قلبه. فلا تتوقعوا أي شيء غير الفساد والدمار من أكثر الرجال. "وقليل من عبادي الشكور".

وهذا النقص هو السبب الذي يؤدي إلى خلق الكثير الكثير من الظواهر النفسية والاجتماعية، والتي لا يرى الناس أن لها علاقة بالزواج. وإني لا أحب أن أكثر من ضرب الأمثال بالفروع طالما أن الأصل قد ظهر. ولو فعلنا لطال الكلام جداً ولقطعنا على الناس منفعة التأويل بأنفسهم للظواهر المختلفة. فنكتفي بالأمثلة التي تظهر الأصل. وأما استعمال الأصل لفهم الفروع فهذا متروك لكل إنسان أن يفعله بنفسه ليتأكد من قوة الأصل بنفسه.

٣-فإذن النفس ترغب في الزوج بسبب الرغبة الأولى في تحقيق الاتحاد بين الملكوت والمجتمع. وبسبب أن جوهر النفس مكون من زوج الراحة والكبرياء وعلاج الأمراض الناشئة بسبب عدم الزوج هو بتزويج كل الناس ابتداء من سن الفطام وبالتالي يجب العمل على تيسير ذلك بشتى الطرق وعلى علم الاجتماع أن يدلي بدلوه هنا لإيجاد أحسن الطرق الممكنة لذلك. "ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تتذكرون".

....

(عن الطاقة في هيكل النفس)

١-يظهر لنا أن قيم تصور الكمال هي منبع الطاقة الأساسي في هيكل النفس. وكلما زاد الفرق بين تصور الكمال والواقع الفعلي للشخص كلما ازدادت الطاقة في نفسه. ولابد للطاقة من أن تنفق بوجه أو بآخر، فيظهر أنه لا يوجد مخزن للطاقة في النفس، أي لا يوجد كنز لها، فما لم ينفق الإنسان طاقته في أمر ما فإنها ستنصرف فيه وعليه غصباً عنه.

هذه من ثمار نظرتنا للطاقة في النفس. فتعالوا نمعن النظر فيها قليلاً.

٢-"القيم منبع الطاقة". إذ كما عرفنا أن حركة النفس هي إما حركة من نقص إلى كمال مرغوب، كالسمين الذي يرغب في أن يكون رشيق الجسم، وهذا إنما تحرك بسبب "القيمة" الكمالية التي تملي عليه ضرورة القيام بهذا العمل لتحقيق هذه القيمة في الواقع. وإما أنها حركة في حيز الكمال، أي بالفرحة. كهذا السمين عندما يصبح رشيق الجسم فإنه سيفرح كلما نظر إلى نفسه في المرآة بسبب هذا الانجاز، وإنما تولدت الفرحة بسبب تطابق الواقع مع القيمة الكمالية. ولو تغيرت القيمة لذهب الفرح حتى لو ظل رشيقاً، كما أنه غيّر القيمة وجعلها من "كن رشيقاً" إلى "كن سميناً".

فإذن أياً كان الحال، فطالما أن الإنسان حي فإن منبع طاقته هو القيم الموجودة في تصور الكمال. وغني عن البيان أننا نقصد القيم الشعورية واللاشعورية مع اختلاف في الطاقة التي تولدها كل رغبة أو قيمة.

٣-"قوة الطاقة ترجع إلى مقدار الاختلاف بين القيم والواقع". فلو جئ بأخوين توأم، وأراد أحدهما أن يكون ملكاً وأراد الآخر أن يكون موظف حكومي عادي، فلا شك أن الطاقة التي ستتولد في الأول أعظم من الطاقة التي ستكون في الثاني. وكذلك لو أراد رجل أن يكون بطل العالم في كمال الأجسام ستتولد فيه طاقة أكبر من لو أراد أن يكون مجرد رجل ذو جسم رشيق. فالاختلاف بين القيم التي تؤدي إلى الكبر يؤدي إلى توليد طاقة أعظم في النفس بحسب درجة الكبر التي يسعى إليها الإنسان.

والنوع الثاني من الاختلاف هو ما يتمثل في الفجوة ما بين قيم الإنسان عن الكمال وبين واقعه الفعلي. وهذا من أهم ما يجب أن يعرفه كل كائن حي يرغب في حياة محترمة راقية. واذكرك أيها القارئ أن ضربي لأمثال بسيطة وتقليلي من الكلام لا يعني تفاهة الحقيقة التي أبينها لك. كلا. ولو شئت أن أملأ لك مئات الصفحات لشرح كل فكرة لفعلت، ولكن هذا سيجلب لك ولي الملل وإضاعة الوقت خاصة أن الفكرة التي أريد إيصالها يمكن بحسن البيان أن تصل في كلمات معدودة. فخير الكلام ما قل ودل. وحجر من الماس خير من عشرة جبال من الحجر العادي الرخيص. وهذا ما أسعى إليه عامة.

نعود إلى فكرتنا. لو كان عندك قيمة تقول "كن رشيقاً بوزن ٧٠ كيلو غرام". وكان واقعك الفعلي أنك تزن ١٤٠ كلغم، وقمت بالفعل بالعمل وأردت ذلك وتهيأت لك الظروف، فعندها ستجد أن طاقة أكبر تولدت فيك لو قمنا فرضاً بحساب كمية الجهد المبذول، أكبر من لو كان وزنك الحالي هو ٨٥ملغم. والسبب في ذلك أنه كلما كان الاختلاف أكبر كلما تولد شعور بالألم أكثر. ونفس نسبة الشعور بالألم هذا سينشئ الضد من ذلك، أي طاقة ترغب في رفع هذا الألم. فقوة الألم هي التي تخلق طاقة العمل. والفجوة بين القيمة والواقع هي التي تخلق قوة الألم. والمقارنة بين الواقع والقيمة هو الذي يخلق هذه الفجوة في عقل الإنسان. فوجود الفجوة من دون أن يدركها الإنسان يؤدي إلى تولد آلام في القلب لا يعرف لها المريض سبباً. وحيث إن الجهل يجرح الكبر فإن الإنسان سيجد له سبباً أو أسباب ليلقي عليها اللوم في آلام هذه. وظلمه هذا سيولد فيه المزيد من الألم. وما أتعس هذه الحياة !

أي شعور بالألم، أيا كانت درجته ومهما اختلف الناس في تسميته، فليس له إلا محل واحد في هيكل النفس وبالتالي ليس له إلا سبب واحد. وهو "الشعور بالنقص". وهذا كما نعلم إنما يعود إلى الفجوة ما بين تصور الإنسان للكمال وبين واقعه الفعلي. وعلاج ذلك هو أولاً بأن يدرك ما هي القيم التي أدت إلى هذا الألم المعين. وبعد ذلك يعمل على تحقيقها أو على الأقل يخفف منها. وعلى أية حال فإن مجرد إدراكه لسبب الألم كفيل بأن يزيله أو في أسوأ الأحوال سيخفف من حدة الألم.

وكذلك أي شعور بالفرحة، أيا كانت درجته ومهما اختلف الناس في تسميته وأسبابه إنما يرجع إلى محل واحد وسبب واحد وهو "الشعور بالرضا" وهذا لا يكون إلا عندما يتطابق الواقع من قيمة من قيم تصور الكمال، صغرت أو كبرت، شعورياً أو لاشعورياً.

وعلى ذلك، فإذا أردنا فرحة أكبر يجب أن نضع في قيمنا أو في تصورنا للكمال قيماً أكبر. وبالتالي كلما حققنا قيمة منها ستتولد فينا فرحة أكبر. ولكن مع العلم أن القيمة الأكبر ستؤدي إلى وجود فجوة أكبر بين رغبتنا وواقعنا، وهذا سيولد ألم أكبر. ومع هذا الألم سيأتي جيش أكبر من الطاقة النفسية ليمدنا بالقوة على العمل.

قد يبدو هذا جميلاً بالنسبة للبعض، ولكن في نفس الوقت ينطوي على خطورة عظيمة لعلها من أكبر المخاطر التي يمكن أن تمر على بني البشر. وهي عدم إنفاق هذه الطاقة الكبيرة في سبيل تحقيق القيم التي ولدتها حصراً. وأشدد على كلمة "حصرا" ألف مرة. وأشدد على كلمة "إنفاق" ألف ألف مرة. وإني لا أحب المبالغة وأكره الشعراء من عمق قلبي. فافهم جيداً هذا الكلام.

لعله لا يخلو إنسان من هذه "القيم الكبرى" أو ما يسمى بالأحلام العريضة أو الآمال العظيمة وما شابه. خاصة عند أهل الأديان الذين يعتقدون بنعيم عظيم بعد الموت. ولو يعلم الناس مقدار الخطورة الذي ينطوي عليه خلق أمثال هذه الآمال العريضة في تصوراتهم للكمال لكفى أكثر الناس بالآمال والأديان معاً.

دعونا نحاول أن نبسط الفكرة لتصل للكل، فتعالوا نضرب مثلاً. أتتذكر صاحبنا ذو ال١٤٠ كلغم الذي وضع في تصوره أن "الكمال هو أن أكون بوزن ٧٠ كلغم". وعرفنا مقدار الألم الذي سيشعر به بسبب الفجوة بين واقعه وتصوره. حسناً. تخيل الآن لو كان صاحبنا يزن في الواقع ١٤٠٠ كلغم، وأراد أن يكون في الكمال بحسب تصوره، أي "٧٠ كلغم". فما مقدار الألم الذي سيتولد فيه بسبب هذه الفجوة العظيمة؟ ألم عظيم كلما نظر إلى المرآة، أو لبس ثيابه أو تنفس. تعاسة مستمرة، ونحن نعلم أن مع الألم تأتي القوة أو الطاقة لكي تزيل الألم. فمقدار الطاقة الذي سيتولد فيه عظيم أيضاً بمقدار عظمة الألم. حسناً. والآن أين سينفق هذه الطاقة الهائلة الموجودة فيه؟ هنا تسعّر جهنم أو تخلق الجنة.

هل فهمت الآن السبب الذي يجعل أهل الدين مثلاً يقومون بأعمال شديدة الإرهاق والتفاهة والتكرار الممل، ويقدمون على أعمال تظهر وكأنها خرافية أو جنونية. إن لهم تصور هائل للكمال، وواقع شديد التعاسة بالنسبة له. وهذه الطاقة التي ستتولد فيهم تكفي ولاشك لكي يقوموا بأعمال تبدو للناظر الغريب وكأنها من قبيل المستحيل أو الشبيه بالمستحيل بالنسبة للإنسان المدني العادي. وليس العجب في وجود الطاقة الهائلة فقط، ولكن العجب هو ما يمكن أن يحققوه لو استعملوا هذه الطاقة الهائلة في أمر واقعي نافع. أي ما يدخل في حيز "الفعل" وليس في "الكلام والدعاء والأحلام". وللأسف نرى أكثر هؤلاء ينفقون طاقتهم في "الكلام والدعاء والأحلام" وإن أقدموا على فعل فإنه غالباً ما يكون فعل تافه لا علاقة له بالقيم الكمالية الموجودة عندهم. ولا أريد أن أسترسل في هذا الأمر وإنما أضربه كمثل.

ومن الأسباب التي تؤدي إلى اهدار الطاقة في غير محلها اللازم هو عدم معرفة محلها اللازم. كمثل ملك أعطى وزيره ألف قطعة ذهب وأمره بأن يدفعها لابنه أحمد، ولما كان الوزيد لا يعلم ما هو شكل أحمد، وكان الوزير فوق ذلك أخرس لا يعرف كيف يسأله عن أحمد، فبالتالي خرج بين عشرات الصبيان في القصر وراح يوزع قطع الذهب، يعطي هذا خمسة وهذا عشرة اعتقاداً منه أنه إن أعطى كل الصبيان فلا شك أنه سيصيب ويعطي أحمد ولو جزء بسيط من المال. هذا ما يفعله من يرغب في شيء لدرجة أن يضعه في تصوره للكمال ثم لا يدرك الطريق الموصل إلى تحقيق هذه الرغبة. فلو استطاع أن ينفق نصف طاقته في الطريق الصحيح لكان خيراً وبركة. وعلى ذلك، قم باختيار القيم والطريق الموصل إليها في وقت واحد. ولو كانت عندك قيمة حالية وأنت ترغبها فاعمل فوراً على اكتشاف أحسن وسيلة للوصول إليها. وابق عقلك واسعاً لاحتمال تغيير الطريق أو تحسينه في حال توصلت أو وصل إليك طريق أحسن، فلعلك تسير على بغل فيعرض عليك السفر بالطائرة.

ومن أسباب تبذير الطاقة هو الارتداد عن القيمة بعد تثبيتها. كمثل ابن قال لأبيه "أعطني ١٠٠ دينار حتى أنفقها على الفقرآء" فبعد أن أعطاه المئة دينار أنفق نصفها على الفقرآء والنصف الثاني على العواهر وهز البطون في الليالي الحمراء. كذلك بعد أن يشعر الإنسان بالنقص والألم المصاحب له، ثم تتولد فيه طاقة للاكتمال، ويبدأ في العمل للوصول إلى القيمة التي جعلته يشعر بالنقص، يقوم بترك القيمة كلها أو جزء منها، ثم ينفق من طاقته في أمور ثانوية، أو انفعالات

ونوبات غضب وتفاهة، أو في الأحلام والكلام الفارغ وما شابه من منافذ التفريغ. نعم لا يوجد التزام أبدي بين القيمة وواجب الإنسان تجاه تحقيقها، فهو حر أن يتخذ من القيم ما يشاء. ولكن طالما أنه أبقى على القيمة فعليه أن ينفق الطاقة التي أمدته بها في سبيل تحقيقها. فالقيمة تعطيك لكي تنفق عليها.

٤-وجود طاقة في النفس بدون منفذ يؤدي إلى اضطراب في النفس. والاضطراب يخلق الأمراض. وكل عضو في الهيكل يكفيه مقدار معين من الطاقة بحسب مجموع القيم في تصور الكمال عند الفرد. وإذا نظرنا في هيكل النفس فسنرى أن الطاقة تستهلك في ثلاثة أعضاء بشكل مركز عام. وهم: "الرغبة في الاكتمال" و "التفكير" و "العمل". وذلك بالتدرج من الأول إلى الثالث. فظاهر أن العمل يحتاج إلى أكبر قدر من الطاقة التي تولدها القيمة. إذ هو بيت القصيد من الأمر كله.

فلو فرضنا أن "تصور الكمال" أرسل ١٠٠ شحنة من الطاقة. وكانت الحاجة الفعلية لل"الرغبة في الاكتمال" هي ٢٠، والتفكير "٣٠، و"العمل" ٥٠. وبدل ذلك تردد الإنسان في هل يقوم بجبر النقص الذي يشعر به أم لا؟ فصرف ٣٠، ثم قعد وسبح في الأفكار والأخيلة أكثر من اللازم فأنفق ٤٠، ثم لم يقدم على الفعل مباشرة بل أنفق ٥ في الدعاء و١٠ في الكلام، و١٠ في الأحلام. ثم لما قام ليفعل لم يجد له إلا ٥. فيجد نفسه بعد مدة قصيرة يكره العمل ويكره القيمة ويشكك بحسنها. ولعله إرضاء لكبريائه يزعم أن "الله" قذف في قلبه كره هذه القيمة، أو أنه "لم يوفقه" لها إذ هو سبحانه وتعالى أعلم بما يصلح لعباده. والحق أن هذا المبذر الكسول جعل يده مبسوطة كل البسط فقعد ملوماً محسوراً.

وكذلك الأدهى من الأول هو الذي يملك ١٠٠ شحنة فينفق ١٠ في "الرغبة في الاكتمال" ثم لا يفكر ولا يعمل فعلاً بل لعله ينفق ١٠ في الكلام و١٠ في الدعاء و١٠ في الأحلام. فيبقى عنده ٦٠ لا تجد لها منفذاً طبيعياً. فماذا ستفعل؟ ستثور عليه. عن طريق خلق قلاقل في نفسه تشغله وتشغل تفكيره فينفق بذلك منها، ثم لعلها تذهب إلى الشعور بالنقص فتضغط عليه هناك فتجعله ينفق منها بالألم، وهكذا تذهب هنا وهناك حتى ينفق ال٦٠ شحنة رغماً عن أنفسه. وهذه الحالة هي من أهم أسباب نشوء الأمراض التي تحتاج أو قد تحتاج لاحقاً إلى علاج نفسي عند محلل أو مسؤول نفساني. كالدولة التي لا تملك جيشاً يقدر على قمع الثوار فتستعين بخبراء أجانب لمساعدتها في درء هذه الفتنة العمياء.

الطاقة المهدورة عن طريق عدم إنفاقها في سبيل تحقيق القيمة التي أرسلتها، هذه الطاقة مثل الطعام، إذا لم يمارس الجسم الرياضة لحرقها، فإنها تتحول إلى شحوم تشوه الجسم وتمرضه.

٥-وينبغي التنبه إلى أن اتخاذ قيم غير قابلة للتحقق في الواقع كفيل بخلق طاقة ترتد فتقتل الإنسان أو تصيبه بتعاسة لا حد لها إلا الانتحار أو أحد إخوانه.

وأما ما هو تعريف القيم "الغير قابلة للتحقيق في الواقع" فسؤال صعب حقاً. وذلك يرجع إلى أنها نسبية في شقها الأكبر. إذ ما هو مستحيل لإنسان يمكن لآخر وسهل جداً بالنسبة لثالث. ولذلك فالتعريف الأحسن هو أن نقول أن القيمة المستحيلة هي التي لا نعرف طريقاً لتحقيقها. ولكن حتى هذا يمكن نقده، إذ قد يتخذ الإنسان قيمة بناء على جوهره، أي الراحة والكبر، وهو لا يعلم طريقاً لتحقيقه بعد، ثم ألم الفجوة والطاقة المتولدة يقوم بالتفكير بقوة ويعمل حتى يجد له طريقاً. فما كان مستحيلاً أصبح ممكناً.

وعلى ذلك، فنحن ننبه من اتخاذ قيم مستحيلة. وندع تعريف المستحيل لكل فرد يعرفه كما يشاء بناء على حالته. واحفظ عني هذه القاعدة "لا تنظر إلى ما لا تستطيع أن تملكه" فإنها تقي من كثير من الأفكار المريضة المنتشرة في كل مكان، فإن كنت لا تستطيع أن تتحد مع تصورك للكمال أو مع كمال معين فاقتل هذا الكمال. فإنك لن تنفعه وستضر نفسك.

٦-ونلاحظ أننا كلما ازدادت مقارناتنا بين واقعنا وتصورنا للكمال كلما ازدادت الطاقة في نفوسنا. إذ مع المقارنة تزداد الفجوة، ومع الفجوة الألم، ومع الألم الطاقة للعمل، فكأننا نريد أو نضطر إلى جلد أنفسنا مؤقتاً لكي نفرح لاحقاً. فمن يجلد نفسه قليلاً يفرح قليلاً، ومن يجلد نفسه كثيراً يفرح كثيراً. أما من لا يريد أن يشعر بالألم ويريد أن يشعر بالفرحة فهذا كمن يريد أن يأكل الهواء ويشبع. ويظهر لي أن الاستثناء الوحيد من هذه القاعدة هو في فكرة "الوجود اللانهائي" أو وحدة الوجود. إذ هذه الفكرة تجلب الشعور التام بالكبرياء بدون الحاجة إلى المرور من بوابة المقارنة والشعور بالنقص. إذ القيمة الكمالية تطابق الواقع الفعلي مباشرة، إذ الوجود اللانهائي يستلزم أني الآن في الكمال المطلق. بل ولا يمكن أصلاً أن لا أكون في الكمال المطلق، لا يمكن أصلاً حتى مجرد تصور أني غير كامل، أو ناقص. وهذا يعني الشعور بالفرحة العظيمة بدون أي عمل أو جلد للنفس عن طريق مقارنتها بما هو أكمل منها. وبسبب هذه الحقيقة فإني أعلم الناس اتخاذ وحدة الوجود كقاعدة نفسية لهم. بالرغم من العلم اليقيني بأن وحدة الوجود تشبه تعاطي الكوكاين أو المخدرات عامة، توهم بواقع غير واقع في الواقع، ولكنها واقع بالنسبة للمتعاطي الذي يشعر من صميم قلبه أنها واقع فينتفع بها. ومن هنا وضعنا قاعدتنا القائلة "أقم حياتك على أصل التأله" أي الشعور بالوجود اللانهائي. ولاشك أن الوجود لانهائي. إذ ماذا سيحد الوجود، العدم ؟!

أما المبدأ الواقعي هو أن الكمال ليس بالتأله ولكن بالتعلم. إذ الفهم هو الكبرياء الحق. ومن تصور نفس عليا تعلم كل شيء نستمد الطاقة لنحيا حياة نسعى فيها لتعلم كل شيء. وبالتالي الوصول إلى الكبرياء المطلق.

....

بسم الله الرحمن الرحيم
(تحليل الشهوة الجنسية)

(١)الذي لا يفهم الحقائق الساكنة في عمق الشهوة الجنسية فهو لا يفقه شيئاً في هذه الحياة الإنسانية والإلهية. ولا نبالغ إذا قلنا أن سر الحياة كله يمكن اكتشافه برفع الحجاب عن غوامض الجنس وشؤونه. ولعل هذا هو السبب الذي يجعل كبار وسادة كل عصر يحيطون المسألة الجنسية بكثير من الحواجز والأسوار والمحرمات والعادات. فقد نسمع كل يوم عن سبعين كتاباً يتحدث عن نفس الأمر التافه، بل سبعين ألف كتاب في مواضيع تافهة وسطحية، ولكن أي تحليل للشؤون الجنسية قد يجلب السخط على صاحبه أكثر مما يجلبه الكفر بالله نفسه. فنحن نرى ونسمع عن ملاحدة من الأساتذة في مختلف الميادين الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتقنية ومع ذلك يجلهم عوام الناس وعلماءهم من المؤمنين. ولكن ما إن يحلل أحد شؤون الشهوة الجنسية ويضع الأمور في مقاماتها الصحيحة فنرى أهله نفسه قد لا يعترفوا به.

وإني شخصياً قد أثبتت لي التجارب أن: أعظم الحقائق تكمن في أعظم المحرمات. ومثلاً، إذا أردت أن أختار كتاباً عظيماً للقراءة فإني أبحث عن أحد ثلاثة معاييرك أولاً أن يكون المؤلف مبغوضاً من عامة الناس ورؤساهم. وثانياً أن يكون الكتاب ممنوع نشره في بلادنا ومحرم دينياً قراءته. وثالثاً أن يرى نخبة المفكرين أن هذا كتاب سخيف لا يستحق الدراسة. وأقصد بالنخبة هنا المفكرون الذين يؤيدون دين معين أو حكومة معينة كامل التأييد. فإذا وجدت كتاباً يحوي هذه الصفات الثلاثة مجتمعة فلعلي لا أبالي لو قطعت نصف الأرض سفراً لهذا الكتاب، وقد فعلت.

ولاريب أن الشهوة الجنسية وشؤونها المختلفة تحوي من العلم العظيم الشيء الكثير، فهي شيء محبب لعامة الناس أو كلهم. ومع ذلك هي أقل المواضع التي تطرق. أليست القاعدة هي أن: من أحب شيئاً أكثر من الحديث عنه. فيظهر لي أن هذا موضوع جدير حقاً بالدراسة والتحليل العميق. ولا أعلم بماذا سأخرج. ولكني أشعر بأنه شيء عظيم. وإني حتى لا أعلم من أين سأبدأ. إني حقاً في حيرة من هذا الأمر وأشبه الجائع الذي لا يعرف ماذا سيزرع ولا ماذا سيحصد ولكن دعونا نرى أين تضعنا يد العون العليا.

(٢)انطلاقاً من فكرة أن: معرفة الشيء تكون بمعرفة ضده. سأبدأ بموضوع "المحرمات". لأن فكرة الشهوة مرتبطة كثيراً وبشدة بفكرة "محرمات الزواج" أو "محرمات الجماع". فتعالوا نمسك بهذا الخيط ونرى إلى أين يقودنا.

يقول الكتاب "ولا تنكحوا ما نكح ءاباؤكم من النساء. إلا ما قد سلف. إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً. حرمت عليكم أمهاتكم. وبناتكم. وأخواتكم. وعماتكم. وخالاتكم. وبنات الأخ. وبنات الأخت. وأمهاتكم التي أرضعنكم. وأخواتكم من الرضاعة. وأمهات نساءكم. وربائبكم التي في حجوركم من نساءكم التي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم. وحلائل أبناءكم الذين من أصلابكم. وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف. إن الله كان غفوراً رحيماً. والمحصنات من

النساء إلا ما ملكت أيمانكم. كتاب الله عليكم. وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين. فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة. إن الله كان عليماً حكيماً."

.التحريم مبني على المنفعة الاجتماعية والفردية لا غير.

من المعلوم أن الشعور إنما ينتج من أفكار. فلو كانت الفكرة التي في قلب الإنسان تقول له أن "تربية الخنازير وإسكانهم في البيوت فضيلة وبركة على البيت" فستجد هذا الشخص يفرح إذا وجد خنزيراً في بيت. بعكس ذلك لو جاء مؤمن إلى بيت ووجد كلباً أو خنزيراً فأقل ما سيحصل له هو "الشعور بالتقزز والاشمئزاز وعدم الارتياح". فالفرق ليس في الخنزير لأنه خنزير واحد. فالفرق موجود فقط في رأس الإنسان. بحسب الفكرة يكون الشعور.

فلا يمكن أن نقول أن "حرمة جماع الأم أو الخالة فطري" أو "أن جماع الأخت والبنت يجلب الاشمئزاز والتقزز". فهذا ليس حكماً مطلقاً مثل أن الشمس أكبر من الأرض. إذ يوجد من الناس من لا يرى في هذا بأساً، بل يجده من أعظم اللذات وهؤلاء ليسوا همج وجهلة ولكن أمثال ملوك وادي النيل، أي الفراعنة، وغيرهم في القديم والحديث.

فإذن من واقع النفس وواقع التاريخ وواقع المشاهد لا يمكن أن تكون المحرمات مبنية على شيء إلا أن يكون منفعة اجتماعية وفردية.

ونريد من اليقين بهذا الأمر أمور كثيرة. مثلاً يقول الكتاب في أول المحرمات أو الممنوعات "ولا تنكحوا ما نكح ءابائكم من النساء" فالأب قد يتزوج امرأة. وهذه المرأة تكون حلالاً لك، وإنما كان سبب التحريم هو أن أباك نكحها.

وكذلك في محرمة "وأخواتكم من الرضاعة" فهذه المرأة ليس بينك وبينها أي رابط، ومع ذلك حرمت لسبب واحد، لأنها أختك من "الرضاعة"، فكون أمها سقتك من لبن ثديها لمدة معينة جعلها محرمة عليك إلى الأبد. وكذلك في "أمهات نساءكم" وكذلك في "ربائكم التي في حجوركم من نساءكم التي دخلتم بهن، فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم" فهذه الربيبة ما الذي جعلها محرمة عليك؟ لاشيء إلا أنك قد جامعت أمها في ليلة. ولذلك "فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم". فما علاقة دخولي بامرأة في ليلة مع تحريم ابنتها عليّ إلى الأبد؟

وكذلك في واقع أن الذي يجهل أن المرأة محرمة شرعاً عليه لن يشعر إلا باللذة في جماعها. فلو وجد رجل، وما أكثر هذه الواقعة، له أبناء وبنات كثر، كالملوك والأمراء الذين يتزوجون وينجبون من زوجاتهم وإمائهم، ثم في يوم رأى امرأة أعجبته وأرادها لنفسه، ثم اكتشف أنها ابنته، عندها فقط سيشعر "بالتقزز والاشمئزاز" الذي يتحدث عنه الناس. ولكن لو لم يكن يعلم أصلاً أنها ابنته، هل كان سينقبض قلبه لو اقترب منها؟ هذا غير صحيح وغير واقعي.

وتصور كذلك لو حملت فتاة، وألقت ابنها في دار الأيتام، ثم لما كبر وبلغ العشرين من عمره تقابلا ولم يعرف أحدهما الآخر، واجتمعا في غرفة. فهل سيشعر "بتقزز واشمئزاز" من حقيقة أنه يجامع والدته؟ لا أظن.

فمن حيث التكوين الجسمي لا يوجد أي رابط حب أو منع بين اثنين. وإنما الأفكار هي التي تخلق أنواع هذه المشاعر. فالتحريم هو مجرد فكرة. فكرة ابتكرها الناس أو "أنزلت" عليهم لغايات معينة. وبما أنها جاءت في الكتاب العزيز والقاعدة هي أن الله لا يشرع إلا "ما ينفع الناس" فنعلم أن فكرة التحريم هي لنفع الناس اجتماعياً. ولا أقول أن المنفعة هذه فردية. لأن الفرد صاحب الشهوة لو كان الحكم لمنفعته الشخصية فقط لكان التشريع لن يذكر المحرمات هذه، لأن هدف الشهوة هو المتعة، والمتعة متعلقة بالجسم، أي جسم. ولكنها إذن منفعة اجتماعية وتنفع الفرد من حيث أنه واحد من المجتمع الذي سيستفيد من المنفعة العامة.

فما هي هذه المنفعة الاجتماعية من فكرة المحرمات؟ هي المذكورة في قول الكتاب "يا أيها الناس. إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا".

المنفعة هي "التعارف".

فلاحظ أن كل المحرمات منصبة على محيط الشخص والمقربين. بل حتى الذين يدخلون هذا المحيط يمنع التزاوج منهم. فمثلاً، إذا اجتمع في المدينة ألف عالم بكتاب الله، وكانت كل القرى حول المدينة تؤمن بكتاب الله وهم من العلماء به، فيقول الإمام لهؤلاء العلماء "لا تسكنوا في أي قرية من القرى التي حولنا لأنهم لن ينتفعوا بكم مثل ما سينتفع بكم أهل القرى البعيدة. وبذلك نربط أهل القرى البعيدة عنا ونكوّن شبكة ضخمة من المعارف، ونستفيد من علمهم وخبراتهم وكذلك نفيدهم من علمنا وخبراتنا، ونتبادل البضائع".

فالنقص الشخصي هو الذي خلق فكرة محارم القربى. ولذلك سمي اجتماع الذكر والأنثى في الزواج بقوله "عقدة النكاح" كما في قصة زواج موسى من ابنة الشيخ الكبير الضعيف العاجز عن العمل. فكل حكمة المحارم موجودة في قصة موسى هذه. موسى "القوي الأمين" والشيخ عاجز عن العمل في أمور ويريد أن يستفيد من قوة موسى، وموسى ناقص يريد أن يستفيد من الأمان الذي عند الشيخ "ربي نجني من القوم الظالمين" فقال له الشيخ "لا تخف نجوت من القوم الظالمين".

فأصبح عالم موسى "معقود" بعالَم الشيخ عن طريق تبادل المنفعة الجسمانية المادية والتعليمية الروحية. فالمنفعة ليست بالضرورة متعلقة بالمعيشة، ولكن كذلك بالعلم، بل هذه هي المنفعة الكبرى. ولذلك موسى كان يعلم أهل مدين آيات الله. "وما كنت ثاوياً في أهل مدين تتلو عليهم ءاياتنا ولكنّا كنّا مرسلين".

فدائرة القربى بالضرورة يجب أن تكون متعاونة في أمور المعيشة وأمور المعرفة. ولكن لتوسيع هذه القوة يجب أن نرتبط بعناصر جديدة نافعة، وهنا سر المحارم وعقدة النكاح. ولولا هذه المنفعة لما كان من العقل إلا أن يجامع أي رجل أي امرأة في أي وقت. وهذا هو الفرق بين المجتمع الراقي القائم على أساس تطوير وسائل المعيشة حتى لا يحتاج الناس إلى العمل الشاق والترقي في العلم والفكر، وبين المجتمعات السافلة المستعبدة للسفاهات والجهالات.

ولذلك شدد الله في الطلاق وصعبه جداً حتى لا تتفرق الأسر ويتحارب الناس. حتى إنه جعل من الوسائل ما يكفي لأن تبقى أسرة الرجل وأسرة المرأة مرتبطين. فمثلاً "فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها" وهذا سيؤدي إلى التصالح أو إلى أن يدرك أهل الأسرتين أن أحد أبناءهم معاند بغير حق. وبذلك ينصب الغضب على فرد بدل العائلة كلها، هذا في أكثر الأحيان إن التزم الناس قواعد الله وفهموها جيداً . وأيضاً "فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان" تساعد كذلك على إبقاء العلاقة جيدة بين الأسرتين في حال وقوع الطلاق. والكثير الكثير من الأفكار المعقولة في الكتاب العزيز تؤيد فكرة "التعارف" التي عرفناها.

.لاحظ أن آيات المحارم والنكاح هذه ختمت بآية تقول "يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم" ما معنى أن يذكر هنا أن هذه الأحكام هي من "سنن الذين من قبلكم"؟ وأي فائدة في أن نعرف أن هذه من "سنن الذين من قبلكم"؟ إن كانت أحكام خير فما حاجتنا لمعرفة إن كان الذين قبلنا فعلوها أو لم يفعلوها، (لقوله) "تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون"؟ وما معنى أن يقول "ويتوب عليكم"؟ أضف إلى ذلك فكرة أن "زوجات النبي" لا يجوز لأحد أن ينكحهم من بعده، والمرأة التي يصطفيها النبي لنفسه لا يجوز لأحد أن ينكحها من بعده، فما معنى هذه الامتيازات وما علاقة ذلك بدين الله الذي جاء لكل الناس؟ وأخيراً، ما سر ابتداء ذكر المحرمات بقوله "ولا تنكحوا ما نكح آباءكم من النساء" ولماذا يكون ذلك "فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً"؟

تساؤلات كثيرة ورائعة، ويظهر أنه لا يوجد ترابط بينها، ولكن أشعر بوجود رابط عميق بينها كلها. فتعالوا لنرى.

أولاً، كون الله حرّم أمراً فهذا النهي يعني أنه أمر تهواه النفس. فلا يوجد أمر يكرهه الناس بطبعهم وترى الله يحرمه، لأنه لا يحتاج إلى تحريم أصلاً. المنع لا يكون إلا في مرغوب. فكون الكتاب حرم نكاح الأقارب فهذا معنى أن نكاح الأقارب مرغوب للنفس، لماذا؟ لأن الإنسان يشعر بالارتياح والقرب منهم منذ الطفولة. ومعلوم في النفس كما في حال يوسف، أن عقل الإنسان اللاشعوري يتكون في الطفولة، من سن الثانية خصوصاً حتى يصبح غلام، أي في نحو العاشرة على الأكثر. ولذلك كان الرضاع سنتين ولذلك لم يتأثر يوسف بكل معتقدات المشركين في الغربة، فالطفل الذي لا يعرف شيء اسمه حلال وحرام يشعر بالانجذاب التام لكل ما حوله ومن حوله. فبديهي أنه سيتعلق بأمه وأخته ومرضعته وما أشبه إذ هم الذين رآهم منذ أن فتح عينيه.

وكذلك معلوم أن الابن يرى أبوه على أنه القدوة العليا في كل شيء. ويريد أن يكون كأبيه تماماً خاصة في مراحل الطفولة والغلمة. ويسير هذا التعلق مع الشخص عندما يكبر لو لم يتجاوز هذا السور العظيم، سور التعلق بالأب. ومن هنا يأتي هؤلاء ويقولون لكل من يخالف آباءهم "إنا وجدنا آباءنا كذلك يفعلون" ولا يحتاجون إلا أي براهين وفلسفات لكي يعملوا ولا يعملوا، يكفي أن الأب فعل. فهؤلاء أطفال كبار. أطفال في عقولهم كبار في أجسامهم وأعمارهم. فهذا التوحيد مع الأب الذي يبدأ من الطفولة يؤدي إلى أن يقلد الابن أباه حتى في الذين يتعلق بهم الأب جنسياً. ولذلك أمرنا الله أن نعلم أبناءنا الاستئذان قبل الدخول في الأوقات هذه حتى لا يتعلق الأبناء جنسياً بنساء الأب أيا كانوا. فيجب أن يمنع الأبناء والبنات تماماً من رؤية الأب والأم في أي نوع من التقارب الجنسي، أي نوع على الاطلاق اللهم إلا التقبيل والأحضان العادية التي يقوم بها كل الناس على الملأ كمثل الأحضان للمسافر. هذا تعليم الكتاب.

ولكن فلنفرض أن الأب والأم لم يتقيدوا بهذا العلم، كما يحصل كثيراً، ورأى الأبناء الأب والأم وهم في حالة جماع، أو سمعوا أصوات وما أشبه، فما الذي سينتج؟ من الأمور التي قد ينتجها وحد الابن مع أبيه وكذلك في البنت وأمها، هو تعلق الابن بالأم جنسياً، وكذلك البنت بأبيها، أو أي رجل مع أمها، وكذلك أي امرأة مع أبيه. إذ معايير التقوى هذه لا يفهمها الأبناء إلا لاحقاً، بل لعلها الكثير من الشباب لا يفهم شيئاً منها. حسناً، فماذا سينتج من تعلق الابن بأمه جنسياً؟ سينتج كره الابن لأبيه، وكره البنت لأمها. وهذا الكره ليس بالضرورة يكون ظاهراً، بل قد يكون باطني لاشعوري وهو هكذا في أكثر الأحيان لأسباب أهمها الخوف.

والكره الناتج عن المنافسة موجود في الصغار كما هو في الكبار، بل قد يكون في الصغار أوضح وأقوى لأن الصغار لا يعرفون الرياء جيداً بعد. فلاحظ ماذا يحدث عندما تجلب الأم لأحد أبناءها هدية وتترك الآخر، أو لاحظ ماذا يحدث لابن وحيد كان ينال كل الحب والرعاية والاهتمام وكان هو محور البيت والأسرة ثم إذا أنجبت له أمه أخاً، وأصبح هذا الأخ هو محط الاهتمام والابن البكر أصبح مهمشاً في البيت، مثال ذلك ما وقع مع يوسف وإخوته. فالظن الساذج أن الأطفال أبرياء هو ظن سخيف بحق لا يقوى على الصمود أمام أبسط المشاهدات والبراهين. لو كانوا يقصدون بالبراءة أن الأطفال لا تقتل وتفجر المباني فهذا بديهي لأنهم لا يستطيعون ذلك أصلاً. البراءة التي يصفونها ليست براءة بل استحالة. أعظم مثال على الأنانية المطلقة هم الأطفال والصغار. فهم لا ينتجون شيء، ويخربون كل شيء، ويوسخون كل شيء، ومع ذلك يريدون أن يجلب الناس لهم كل شيء.

لعل من أول أخلاق الصغار هو المنافسة وكره كل منافس، هذا إن لم يكن أولها على الإطلاق. فحتى يوسف لما رأى الرؤيا صور لنفسه أبويه وإخوته وهم ساجدين له. وهذا طبيعي لأن يوسف كان ينافس ١١ أخاً، فلاشك أنه يريد ويرغب أن يراهم كلهم خاضعين له وتحته. وترى ذلك جلياً في رؤياه. فهو رآهم أنهم كائنات عليا "كواكب" وهذا هو حالهم في الواقع. كانوا أعلى منه وأكثر، والصبي لا يعرف من الكبر أحسن من ذلك، ثم رغبته هي أن "رأيتهم لي ساجدين". ولذلك

كانت أول نصيحة من أبيه هي "لا تقصص رؤياك على إخوتك". ويظهر أنهم عرفوا واستشعروه ولذلك عملوا على قتله. هذا هو تفكير الصغار : إخضاع المنافسة وإذلالهم.

ومن هنا نفهم، فالابن الذي يرى أباه مع امرأة سيقلد أبيه وسيرغب في هذه المرأة، تقليداً أعمى. وبالتالي سيصبح كل من يقف عائقاً في وجه رغبته منافس له وبالتالي سيرغب في إخضاعه له وإذلاله، أي يكرهه. ومن هذا المنافس؟ هو الأب نفسه. فالأب هو السبب في كره ابنه له. ويبدأ الكره في الابن. ولكن لن يستطيع الابن أن يظهر هذا الكره، بل في أول الأمر ستتنازعه نفسه على كره أبيه لأنه أبوه وهو يحبه إلى درجة كبيرة. فكيف يحبه ويكرهه في آن واحد؟ هذا منشأ أول الأمراض النفسية في الناس. هذا التوتر والتردد بين الحب والكره، إذ يوجد أسباب تفرض على الابن الحب، ويوجد أسباب التي منها المنافسة تفرض عليه الكره، فماذا يفعل؟ يبدأ ينشأ فيه العصاب، ولكن في الغالب سيجعل الطفل الكره باطناً ويكبته في نفسه لأنه يخشى الأب وعقابه. ولذلك فسيظهر الحب والطاعة حتى حين. وستظهر آثار هذا الكره في إزعاج الأب، وكثرة الطلبات، ورفض أوامره في بعض الأحيان وفي الأحلام وما أشبه. ولكن ما إن يكبر الابن قليلاً حتى تظهر عليه آثار الكره بقوة. ولذلك تجد أبناء يكرهون آباءهم أو على الأقل لا يبالون بهم. وفي حالة كون الأب ضعيف ويدلل ابنه فإن الابن سيغلب عليه طابع الكره سافراً. وقل مثل ذلك في البنت التي ترى أمها منافسة لها على أبيها أو أي رجل هي معه.

وقبل أن أستمر في التحليل أريد أن أذكر أن هذا ليس هو سبب الكره والحب الوحيد. ولكن بما أننا ندرس مسألة الشهوة الجنسية فإننا سننظر إلى الأمور من هذه الزاوية. فبالطبع قد يكره الابن أبيه لأنه كان يضربه وما أشبه. فتذكر هذا جيداً ولا يسيء أحد فهم التحليل.

نرجع إلى مثل الأم والبنت. فنفس ما قيل في الابن وأبيه يصح على البنت وأمها. ولذلك جاء الكتاب يحرم على الرجل أن ينكح ربيبته التي دخل بأمها. فلاشك كما عرفنا أن الربيبة سترغب في هذا الرجل الذي دخل بأمها، ولذلك لم يقل الله لها أن لا ترغب في الرجل ولكن قال للرجل أن لا ينكحها. فهي لما رأيت الرجل وهو يدخل بأمها وهي تريد أن تكون كأمها، فهذا سيولد رغبتها في هذا الرجل. ولذلك لاحظ أن الكتاب وصف الربيبة باسم يصغرها "ربائبكم التي في حجوركم". وهذا يزيد تأكيد ما قلناه. وبهذا يمكن تفسير كره أكثر البنات لأمهاتهم بالرغم من كل الحب والحنان الذي يفيضونه عليهم. فهي لا ترى من أمها إلا منافسة، مع أنها تراها الراعية الحامية في شؤون أخرى من شؤون المعيشة.

فنلاحظ أن الخوف من انقطاع المعيشة هو سبب كبت الأبناء لكرههم لآبائهم أو البنات لأمهاتهم. وهذا الخوف يكون على أشده في الصغر إذ لا حول ولا قوة للصغار. ولكن ما إن يتنسم الصغار يرح الكبر تبدأ مقاومة الكره المكبوت تضعف وتضعف، ولذلك يبدأ الصبيان والشباب بالعصيان والتمرد. ثم حتى إذا استقلوا معيشياً فعلوا ما يشاؤون وأظهروا ما كانوا يخفون. ولذلك جاء الله بالوصية الثانية "وبالوالدين إحساناً" فيوم يعود الوالدين كالأطفال يحتاجون إلى رعاية أبناءهم، يتذكر الأبناء المنافسة الكريهة والكره والكبت الذي عاشوا فيه أيام الحرمان في الصغر، وبذلك قد

ينفعلوا ويغضبوا ويجاهروا ببغضهم في وجه آباءهم أو أمهاتهم ولذلك قال "ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما" لماذا يفترض الكتاب أن الابن سيقول أف وينهر؟ لماذا لم يفرض أن الابن سيكون محب ومسالم وسيرعى أبويه بلا أي ضغينة؟ هذا لأن الواقع الذي يصفه الكتاب هو واقع من لم يحسن تربية أبناءه. وهذا سبب تعرضه لكل أنواع الكره، ومن أف إلى الانتهار بأنواعه، ولأنه يعلم أن الكره المكبوت كالنار التي يوضع فيها كل يوم المزيد من الوقود حتى يأتي يوم تتفجر كالبراكين، وقد علمنا مقدار كره المنافس عند الأطفال والصبيان. وانظر مثال يوسف إن شئت، هذا يريد سجود الكل له، وهؤلاء يريدون قتله وتشريده. فعندما يوضع هذا الوقود ليل نهار لسنوات، ويكبت في اللاشعور، ماذا تتوقع أن يحدث عندما يكبروا؟ وهل غفر يوسف لإخوانه إلا بعد أن أذلهم ورآهم يائسين متضرعين له يرجون إحسانه؟ وهل رحم إخوة يوسف أبيهم بعد أن رآه يبكي ليل نهار حتى ابيضت عينان من الحزن لسنين بدل أن يعترفوا بفعلتهم ويريحوه؟ الكره المكبوت لا شفاء منه إلا بعد إذلال المكروه.

ولاحظ مثلاً يوسف والعزيز وامرأته، فالعزيز كان نصف أب ليوسف، إذ يوسف لم ينس أبوه الحقيقي. ولذلك قال يوسف عن العزيز "إنه ربي" من التربية، ولم يقل إنه "أبي" بالرغم من أن الأب هو المربي، وذلك لأن العزيز لم يعطي يوسف العلم الرباني كيعقوب ولكن اقتصر على أمور المعيشة "أحسن مثواي". فمن ناحية كان العزيز كالأب ومن ناحية لم يكن إلا رجل غريب. ولذلك كان موقف يوسف من امرأة العزيز متناقض يظهر هذا الأمر بوضوح. فمن ناحية كان كأبيه يريد تقليده وطاعته حتى ينال المعيشة قال أنه لم يجامع امرأة العزيز وعلل ذلك بقوله "إنه ربي أحسن مثواي" فهو يخشى العقوبة إن ظلم. ولكن من الناحية الأخرى التي لا يكون العزيز إلا رجل غريب ينافسه على المرأة قال الكتاب "لقد همّت به وهمّ بها" فلم يبالي بشيء، وهمّ بها، ولكن ما الذي منعه من الإكمال؟ "لولا أن رءا برهان ربّه" أي خشية العقوبة من العزيز لما رأى أنه آت ولذلك فرّ هارباً أفلم يكن يستطيع الهروب من قبل؟

ولذلك بقي كره العزيز من هذه الناحية في يوسف، أضف إلى ذلك أنه ألقاه في السجن، ولذلك لينتقم منه طلب من الملك أن يجعله هو العزيز. من كل مناصب الحكومة اختار أن يكون في نفس منصب أبيه الثاني، فهل هناك أوضح دلالة على ما نقول من هذا؟ ولذلك أيضاً لم يرض بأن يخرج من السجن إلا بعد أن ينذلّ كل من سبب في دخوله السجن.

ففي مثال يوسف، لم يكن يعقوب يشكل منافس له، وذلك كان يحبه ويعمل كل شيء لكي يرفعه إلى أعلى المقامات "ورفع أبويه على العرش"، ولكن العزيز الذي يشكل أبوه الثاني كان منافس له على أمه الثانية امرأة العزيز التي رعته واعتنت به، وأيضاً لذلك كان العزيز سبب لخوف يوسف من العقوبة. ولذلك تخلص منه وحلّ محلّه. ولاحظ أن امرأة العزيز، التي كانت أم يوسف الثانية، لم تبال بشرعة تحريم جماع الأم لأبناءها، ولكن لم يمنعها إلا الخوف من زوجها. ولذلك ارتعدت لما رأته عند الباب، فلولا الزوج لما اهتمت أم بشرعة التحريم هذه التي تمنعها من التمتع بأبناءها. فالأب كان يرى من ابنه منافس له على حب زوجته ولذلك ألقى العزيز يوسف في السجن، وكره

الآباء لأبناءهم، وكره الأمهات لبناتهم الصغار الجميلات كانا سبب منافسة لبعضهم بعضاً، وكثير من الكره سببه هذا الأمر في السابق.

لولا أن الغاية من نزولنا هي "الوصول إلى العرش في هذه الحياة" لما كان لكل هذه التشريعات أي معنى. كل الكتاب والقوانين محض هراء وكلام فارغ لولا أن هذه هي الغاية التي يجب أن يسعى إليها كل الناس. ولولا هذه الغاية لأصبح كل الحرام حلالاً.

نرجع إلى التحليل. فالأم كانت ترى ابنها هو حبها الوحيد. ولما منعها سيدها وزوجها أن تحب ابنها جنسياً لأنه أرادها كلها لنفسه بدون منافس، اقتصرت الأمهات على حب الرعاية المتفانية. فهل يوجد عشق حقيقي في هذا العالم مثل عشق الأم لأبناءها؟ تفعل لهم كل شيء، تبيع نفسها لتطعمهم، تجوع نفسها لتريحهم، تسهر عليهم، تقاتل من أجلهم. العشق بين الرجل والمرأة العزباء كله مستمد من عشق الأم الأصيل التام لابنها. ولذلك حتى اليوم تسمع الرجل يقول "أريد أن أتزوج امرأة مثل أمي". فتفاني الأم في ابنها، وتعلق الابن بأمه هو العشق الأصلي الوحيد في هذا العالم. وكل حب واهتمام آخر في كل نواحي الحياة هو من شرارات هذا العشق. ولذلك كانت الآية الكبرى في القرآن ليست أب وابنه، أو أخ وأخيه، ولكن أم وابنها، مريم والمسيح "وجعلناها وابنها آية للعالمين". والأم في الحقيقة لا تهتم إلا بابنها، مطلقاً. ولذلك ما إن فارقت موسى أمه حتى أصبح "فؤاد أم موسى فارغاً". فارغ تماماً فوراً. هل تفهم هذا الكلام؟ فور غيابه عن ناظريها حتى أصبح فؤادها فارغ تماماً، من كل شيء. فليس عند الأم شيء إلا ابنها. وهذا هو العشق. وكل الأمهات الممسوخات هم نتيجة الأسياد وقوانينهم التي يجب أن ينفذوها تحت طائلة العقوبة.

فإذن، الأم لا تعشق إلا ابنها، ولكن الزوج منع هذا العشق وهدد بالعذاب، وذلك لأنه أرادها لنفسه. فأصبح الابن يكره الأب لاستحواذه على الأم، وتمرد عليه. وهكذا هي الدورة الإنسانية.

ومن هنا نفهم تفسير الظاهرة المشهورة، ظاهرة كره الأمهات لزوجات أبناءهم. لأن الأم ترى هذه المرأة كمنافسة لها على حب ابنها، وتغضب ولو لاشعورياً من هذه العادات الاجتماعية ولا تراعي أدب ولا شريعة. لأن هذه الأعراف فرقت بينها وبين عشيقها. ولذلك لا تسمع عن ظاهرة كره الآباء لزوجات أبناءهم، لماذا؟ لو كانت مسألة خروج الابن من البيت هي التي تجلب الكره لوجب على الأب أيضاً أن يكره كالأم، بل لو كان سبب الكره هو أن الأم تعبت في تربية ابنها وجاءت هذه الفتاة وأخذته منها لوجب على الأب كذلك أن يكرهها، بل أكثر من الأم لأنه هو الذي عمل ليل نهار ليوفر لابنه ما يحتاجه. فلا يوجد تفسير لهذه الظاهرة المشهورة في كل مكان إلا الفرضيات التي فصلناها قبل قليل. بل ما نراه والمشهور هو أن الأب عادة لا يبالي بمن تكون زوجة الابن، ويرضى غالباً بأي امرأة يرضاها ابنه، لماذا؟ لأن الأب كما عرفنا يرى أبناءه منافسين له على حب زوجته واهتمامها. فهو يرى في زوجة ابنه مخلصاً له ولذلك يغلب على العلاقة بين زوجة الابن وأبيه أن تكون حسنة جداً.

تأخذ النظرية قوتها من عدد الظواهر التي تفسرها. وكما ترى فهذه النظريات التي خرجنا بها بالتحليل أظهرت مقدرة عظيمة على التفسير والوقوف على البراهين.

حسناً، لنكمل. والآن نفهم سبب بداية آية التحريم بقوله "ولا تنكحوا ما نكح آباءكم من النساء". لأن هذا هو مطلوب الابن الأول. فهذه القاعدة التحريمية هي القاعدة التي قام عليها نظام التحريم كله. ولذلك جعلها مستقلة في البداية. ولاحظ أنه قال بعدها "حرمت عليكم أمهاتكم" بالرغم من أن الأم هي مشمولة بكلمة "ما نكح آباءكم من النساء". ليؤكد على هذه الحقيقة التي هي القاعدة لما سيأتي ولتصف طبيعة عقلية الطفل وما يتحول إليه لاحقاً عند زوال الكبت الذي سببه الخوف من العقوبة وخشية انقطاع المعيشة.

زوجات النبي سماهم الكتاب "أمهات المؤمنين"، ولكن لم يقل على محمد أنه أبو المؤمنين، بل أكد على أنه "ما كان محمد أبا أحد من رجالكم". فكيف تكون زوجته أم وهو الزوج ولا يكون أب؟ لأن زوجاته هم الذين يأخذون العلم منه ويعطونه للناس. ولذلك قال الكتاب لزوجات النبي "واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة". ولكن محمد ليس هو الذي يبتكر العلم من عنده ويعطيه ليكون كالأب الذي يقذف المني في الأم ليولد الابن أي الأفكار. ولذلك قال "ولكن رسول الله وخاتم النبيين". فمحمد من حيث الباطن رسول الله، ومن حيث الظاهر أب المؤمنين. لأنه هو الذي يتلو ظاهرياً آيات الله "رسولاً من الله يتلو صحفاً مطهرة". أما القاذف الحقيقي فهو الله "بل نقذف بالحق على الباطل". ولكون محمد أب المؤمنين من حيث الظاهرة، وهو الذي "يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم" وهذه هي الأبوة الحقيقية، ولكن في قوله "وما كان محمد أبا أحد من رجالكم" يذكر بالفرق بين الاعتبارين، الاعتبار الباطن محمد ليس أب لأن القرآن من قذف الله. ومن حيث الظاهر محمد أب لأنه هو الذي تلا الكتاب على المؤمنين، ولذلك أصبح داخلاً في قوله "ولا تنكحوا ما نكح آباءكم من النساء" ودخلت زوجاته في قوله "حرمت عليكم أمهاتكم". لنفس السبب الذي قلنا وهو لرعاية منفعة التعارف التي هي وسيلة إلى الغاية من الحياة "الوصول إلى العرش" أو "إقامة الصلوة".

ولقد فصل الكتاب في مسألة زوجات النبي لكي لا يقع الناس في الاقتتال بينهم على من سينكح زوجاهم أبوهم. وبذلك ينقلب مجتمع المؤمنين إلى ساحة قتال ومنافسة. إذ كل منهم يرى في محمد "أسوة حسنة" كالأب. وبذلك ترجع نفس العقدة. عقدة تقليد الأب. فيتنافس كل الأبناء على حب الأم، ولذلك جاءَ الأمر من الأب الأعلى بوجوب الكف عن هذا إذ لن ينتفع به أحد وسيدمر المجتمع وكذلك سيكره المؤمنين محمد الذي يرونه منافساً لهم. وبالتالي سوف يقتلوه ويطمسوا الكتاب الذي جاءَ به. ولكن "كفى الله المؤمنين القتال".

والآن نفهم علاقة كل ذلك بقوله "يهديكم سنن الذين من قبلكم" لأنه لولا اعتقاد الناس بهذه المحرمات لما تطورت المجتمعات. فالذين من قبلنا بمجملهم حافظوا على هذه المحرمات ولذلك ترقوا ووصلت حلقة التطور إلينا، فإذا أردنا أن نستمر فعلينا الأخذ بها. فعدم التقيد بالمحرمات سيؤدي إلى الحسد والحقد والمؤامرات والدسائس المستمرة، الحروب وكل شيء يمكن أن ينتج بعد ذلك.

فيجب أن يختار الناس بين التطور في وسائل المعيشة وحياة المجتمع، وبين التصرف بناء على هواهم وما يشتهون. ومن يدري، لعل المجتمع إذا وصل إلى طوره الأعلى من التقدم حيث الآلات ستعمل أكثر عمل الناس وتوفر المعيشة للكل ويفهم الناس الغاية من الحياة، فلعله عندها ستزول كل هذه المحرمات، كما أن محرمة السرقة ستزول عندما لا يوجد حاجة إلى السرقة أصلاً. لعل الكبت الاجتماعي هو مرحلة فرضها التخلف وصعوبة المعيشة. وما إن يزول السبب يزول الأثر. ندع ذلك للمستقبل ليحكم فيه.

(٣)ما هو هدف الشهوة الجنسية؟ يقول "فما استمتعت به منهن".

يظهر للوهلة الأولى أن هدف الشهوة هو مجرد الاستمتاع. ونختزل بذلك كل ما وراء هذه الشهوة. وعادة نضع الجوع للطعام والجوع للجنس في مرتبة واحدة من حيث النوع، فنقول "كما أن الجسم يحتاج إلى طعام كذلك يحتاج إلى الجنس" وهذا اعتقاد سائد، فهل هذا صحيح هكذا على إطلاقه؟ تعالوا نرى.

الجسم يحتاج إلى الطعام كل يوم، أو كل فترة معينة وإلا يموت، وكلما زاد الإنسان في إضعاف شهيته، كالذين يمارسون الصوم مثلاً باستمرار، أو الذين يتبعون حمية، أو الذين في السجون، تضعف الشهية وتقل قوتها حتى بعد توفر الطعام. وذلك لأسباب كثيرة لعل أبرزها هو أن المعدة تصغر عندما تعتاد على كميات قليلة من الطعام. وبعد ذلك لو أكل الإنسان كثير فإنه لا يشعر بلذة بل بانقباض وتقزز في باطنه. فترك الطعام يؤدي إلى إضعاف الشهية للطعام. أما من ناحية الجنس، فإنه كلما توفر هذا النوع من الاستمتاع فيظهر أن الاشتياق إليه واشتهاءه يزداد. بعكس اشتهاء الطعام. وهذا فرق كبير بين كلا الأمرين.

فلو كانت المتعة الجنسية مرتبطة فقط بالجسم كالطعام، فكيف نفسر ازدياد اشتهاءها كلما ندرت وأجدبت؟

لا يوجد إنسان يستطيع أن يترك الطعام ويبقى حياً، ولكن يوجد من الناس من يتركون الجنس تماماً، سواء بإرادتهم كالرهبان والذين يخصون أنفسهم أو العجائز، أو بغير إرادتهم كالذين تفرض عليهم ظروف تمنعهم من الجنس كالسجن الحديدي والسجن الاجتماعي كالفقر.

فلو كانت المتعة الجنسية مرتبطة بالجسم فقط، فكيف نفسر ترك الناس لهذه المتعة بإرادتهم؟

فإذن يظهر أن الشهوة الجنسية متعلقة بالعقل وأفكاره أكثر مما هي متعلقة بالجسم ورغباته.

ويزداد وضوح هذه الحقيقة إذا نظرنا إلى الشواذ والمنحرفين، أي الذين يسميهم من هم ليسوا مثلهم بذلك، أو الذين يدعون أنهم ليسوا مثلهم. الشواذ هم الذين يجدون المتعة في من هم مثلهم،

كالمرأة والمرأة أو الرجل والرجل. والمنحرفون هم الذين يجدون المتعة في أمور كضرب الشريك الجنسي أو جلده أو التعرض للضرب وما أشبه ذلك.

فلو كانت المتعة الجنسية هي تفريغ سوائل فقط، لاكتفى الإنسان بنفسه فقط ولاستطاع أن يفرغ هذه السوائل من جسمه أو جسمها بأيديهم وما أشبه. ولو كانت شهوة الرجل هي فقط في الدخول بالمرأة فكيف نجد رجال ولعلهم من الأقوياء والأذكياء ومع ذلك فهم لا يجدون لذة في المرأة مطلقاً، ولا يجدونها إلا في الرجال أو الذكور وكذلك لو كانت شهوة المرأة هي في دخول الذكر فكيف نجد الكثير من النساء من لا يجدون أي لذة في الذكور ويتطايرون فرحاً بملامسة نساء مثلهم. ثم إذا نظرنا إلى الذكور الذين يحولون أنفسهم إلى نساء، والنساء الذين يتشبهون بالرجال، فلا يوجد ما نراه جسمياً من أن متعة الذكر بالدخول في الأنثى، وإن متعة الأنثى منحصرة في دخول الذكر إليها.

وكذلك إذا نظرنا إلى المغريات، كالمرأة العارية التي تثير الرجال، والرجل الوسيم الذي يثير النساء. وكذلك إلى الذين لا يتمتعون إلا إذا تعرضوا للضرب والإهانة والجلد والجرح من الذكور والإناث. كل هؤلاء يخالفون فكرة تعلق المتعة الجنسية حصراً بالجسم. لأنه من حيث الجسم يجب أن تنحصر لذة الذكر بالدخول بالأنثى ولذة الأنثى بأن يدخل الذكر بها. بل أكثر من ذلك، لو كان الأمر متعلق بإنزال السوائل فقط لما احتاج الذكور والإناث إلا إلى أيديهم وأمور حولهم من الجمادات ليسلوا أنفسهم وكفى.

كل هذه الظواهر وغيرها كالتقبيل واللمس والنظر والتعلق بجسم المرأة ككل خاصة الثدي، كل هذه الظواهر المتعلقة بالشهوة الجنسية تثبت بشكل قاطع أن الشهوة الجنسية ليست في الجسم ولكن في العقل. وهذا يزيد من تأكيد القاعدة الراسخة التي كررناها كثيراً لأهميتها وهي أن "الجسم ميت بنفسه ولكن الفكر هو الذي يحييه".

وبناء على ذلك: لن نستطيع أن نفهم الشهوة الجنسية وشؤونها وظواهرها المختلفة إلا إذا فهمنا أسبابها في العقل اللاشعوري والشعوري. وللأفكار اللاشعورية الأولوية.

تعالوا نرجع إذاً إلى بداية الحياة في الجسم. تبدأ الحياة داخل بطن الأم. ثم الخروج من الفرج. ثم إمساك جسم الطفل. ثم احتضان الطفل. ثم الرضاعة من الثدي. ثم الانقطاع عن الثدي. ثم الاحتلام. إلى هنا تبدأ حياة الناضج. بهذه المراحل السبعة هي أساس الأفكار اللاشعورية للإنسان. ومعلوم بحسب القاعدة أن الفكرة كلما كانت أقدم كلما كانت أوسخ. وعلى ذلك ستكون أقوى الأفكار اللاشعورية هي التي تولدت من حياة الإنسان داخل جسم أمه. ثم باقي المراحل بالتدرج.

ويوجد وسيلة يستعملها كل الناس لتحقيق رغباتهم وأفكارهم، وهي الاسقاط. أي نقل الفكرة من العقل إلى جسم خارجي وجعل هذا الجسم رمزاً يعبر عن هذه الفكرة المجردة، وبذلك تجعل المسقط يعامل الجسم وكأنه هو هو نفس الفكرة.

ولعل حبنا وكرهنا لأكثر الأشياء أو حتى كلها هو استقاط ونقل. فمثلاً رمز ديني معين-كالصليب الخشبي-قد يكون مكروهاً من المؤمنين بمحمد، لماذا، هو مجرد خشبة؟ لأنه يرمز إلى أفكار معينة، وهذه الأفكار المجردة هي عدونا. وكذلك قد يكره الإنسان امرأة أو يحب امرأة، وتموت هذه المرأة، فيجد امرأة تشبهها ولاشعورياً يكرهها أو يحبها. وما يقال كثيراً عندما يدخل إنسان إلى بيت مثلاً "إني لا أشعر بارتياح في هذا البيت" هو إسقاط ونقل لا غير في أكثر الأحيان عندما لا يعرف الإنسان سبب هذا الشعور. فقد تسأله "لماذا لا تشعر بالارتياح في هذا البيت؟" قد يقول "لا أعلم، ولكني أشعر بذلك". وهذا معنى الأفكار اللاشعورية، أي التي لا يعلمها هو حالياً بوعي. ولكنها موجودة فيه وتؤثر فيه. ولذلك تولد له الشعور أو المشاعر المختلفة. فهذا الذي نقول عنه كثيراً "لا أعلم ولكني أشعر كذا"، "لا أعلم ولكن أرى أنه كذا" هذا اللا أعلم هو الأفكار اللاشعورية.

فإذا عرفنا مراحل نمو الأفكار الأولية، ووسيلة الإسقاط والنقل، تبين لنا تفسير الكثير من مظاهر تلبية الشهوة الجنسية. فأستطيع أن أقول بكل ثقة أنه لا يوجد ظاهرة جنسية حرة إلا وهي إسقاط على ذاكرة.

إسقاط على ذاكرة. هذا هو الأصل. وأما الرغبة في التناسل، أو مجرد الاستمتاع، أو كسب المال وكل ما عدا ذلك مما يظن الناس أنه أصل الشهوة الجنسية وسبب وجودها هو مجرد فروع. فالأعمال الجنسية هي في الأصل رغبة في إعادة تلمس ذاكرة قديمة. والعمل على إعادة خلق ذكريات قديمة هو من الشهوة بمكان في الحياة الإنسانية حتى إننا لا نحتاج أن نشرح ونبرهن عليها. وتكفي المتاحف والصور والإيمان بقصص الخلق والأساطير التي تذكر حال الإنسان وحال الحياة قبل أن يخلق الإنسان، وبناء الأضرحة والتماثيل للمشاهير القدماء والمحدثين، والتعلق بالأفكار القديمة والآباء، والكثير الكثير الذي يؤكد يؤكد حب الإنسان لمعرفة الماضي الأول. أليس أكبر أسئلة الناس هو "من خلق العالم وكيف ولماذا؟".

فإذن نخلص بقوة إلى أن: أصل الشهوة الجنسية هو الرغبة في إعادة تلمس الذكريات.

وبناء على ذلك، لا يوجد ظاهرة متعلقة بالجنس إلا ولها تأويل يرهبها إلى أصل قديم. وأستطيع أن أزيد على ذلك وأقول أن كل الظواهر الجنسية، سواء التي نسميها سوية أو شاذة أو منحرفة. متعلقة بعلاقة المخلوقات بالخالق وبذكرى نزولنا من عالم السماء إلى عالم الجسم.

وبما أن تأويل كل ظاهرة على حدة سيخرج هذا التحليل عن الحد الذي (نعينه) له، فلنأخذ ظاهر شاذة جداً أو منحرفة جداً لنثبت بها نظريتنا ونرى مدى قوة تفسيرها. دعونا نأخذ مثال ذكر حول

نفسه بالعمليات الطبية إلى أنثى، وأصبح يستمع بأن يجامعه الرجال من خلقه، وكذلك يجب أن يضربه الرجل ويؤذيه. أظن أن هذا هو قمة الشذوذ والمرض والانحراف على حد تسميتنا، وبالطبع هو يرى نفسه في قمة السلامة والعقلانية وما نحن إلا مغفلين عنده وعند أمثاله. المهم، ما هو تأويل هذه الظاهرة، تأويلها الأعمق المتعلق بالخلق وذكرى النزول. والطبع لا نستطيع أن نعرف بدقة تأويلها بالنسبة لأفكار هذا الشاذ اللاشعورية لأننا نحتاج إلى تحليله هو شخصياً وهذا أمر آخر. ولكني قد رسمت للمحللين الفكرة العامة عن المراحل والاسقاط ولعملوا عملهم. أما من النظرة الكبرى، أي التأويل الأعمق فحتى صاحب الظاهرة نفسه قد لا يعلم هذا التأويل الذي هو في الحقيقة السبب الأول لفعله. فلو كان العقل شعور ولاشعور، وكان اللاشعور كالبحر بالنسبة لقطرة الشعور، فإن التأويل الأعمق يغوص إلى لاشعور اللاشعور.

من المعلوم أن الخلق كله بما فيه يعتبر أنثى بالنسبة للخالق الأعلى الذي هو الذكر الوحيد لأنه هو المعطي الوحيد لكل الخلق. "كلا نمدّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك. وما كان عطاء ربك محظورا". و"لا قوة إلا بالله". وعالم السماء هو حيث كنا قلوب مجردة عن الأجسام. قلوب بأجساد فقط. وكل قلوبنا كانت للخالق ولا نعرف أحداً غيره. ولم نكن نعطي أي أحد بعد، بل كنا مستقبلين فقط منه. كمثل الزوجة المخلصة لزوجها. ولكن بعد أن نزلنا إلى الأرض ولبسنا الأجسام، أصبحت الأجسام تحتاج إلى أن تأخذ من هذا العالم الأرضي المادي. وبذلك أصبحنا كالزوجة التي تجامع زوجها ولكن تأخذ الطعام من رجل آخر. وبالتدريج تحول أكثر الناس حتى عن أخذ أفكارهم من الخالق الأعلى، وأصبحت أفكارهم من الأرض أيضاً. أي لا يعرفون إلا هذا الجسم وشؤونه وأحكامه. وبذلك أصبحوا كالزوجة الخائنة التي ترفض سرير زوجها، وتأخذ متعتها وطعامها من رجال آخرين.

فإذن كنا زوجات مخلصات، وبعد أن نزلنا أو بنزولنا تحولنا إلى زوجات زانيات مشركات خائنات. ومن هنا تنشأ التوبة. وهي أن نرجع إلى زوجات مخلصات. وهنا أفترق أهل العلم عن أهل الجسم. أهل العلم يعرفون أن "الرجوع إلى زوجات مخلصات" معناه الأخذ بكتاب الله وطاعة أمره في كل الأمور. وبذلك تصبح أجسامنا محكومة بشرع الله، ومتعتنا بالله. وهذا هو الإخلاص الحق. ولكن الذين لا يفهمون هذا، ولا تظنه سهل الفهم، يعمدون إلى الجسم ليطبقوا عليه التوبة. ومنا هنا يخرج هؤلاء الشواذ المنحرفين.

فانظر إلى فعلهم هل هو إلا تمثيل دقيق لهذه لهذه الحقيقة، حقيقة التوبة التي ذكرناها، هم ذكور حولوا أنفسهم إلى إناث. أي رجعوا إلى حالتهم الأصلية قبل النزول. ثم أصبحوا يحبون مجامعة الذكر لهم، وهذا تمثيل حالتنا في السماء عندما كان نور الخالق ينزل في قلوبنا مباشرة. ثم منهم من يحب أن يضربه الرجال وهذا بسبب الخيانة التي ارتكبوها. ألا ترى الآن في الحياة الطبيعية أن الزوجة التي تؤذي زوجها وتتوب إليه ترجع وهي تبكي وتسمح له بضربها قليلاً أو كثيراً، أو هي نفسها تؤذي نفسها بالتبكيت والكلام السيء والبكاء الحار بسبب خيانتها له. فعملها هذا هو نوع من التكفير عن الذنب. فكأن الرجل إذا نظر إلى آلامها سيشفق عليها

ويرحمها ويغفر لها. وهذا الشاذ المريض المنحرف يمثل بحبه لأن يضربه الرجل هذا الأمر. فهو نوع من التكفير عن الخيانة.

وهكذا باختصار مفيد يظهر التأويل المعاني العميقة لهذا العمل المقزز الذي لا يريد الناس حتى أن ينظروا إليه من فظاعته وبشاعته. وهذا من مكنون سر "فأينما تولوا فثم وجه الله" فوجه الله الحق موجود وحاضر في كل مكان وحال، فإذا وليت وجهك شطرهم فبمنطوق الآية الكريمة "فثم وجه الله" آيضاً. وهكذا في كل أمر.

وكل ظاهرة أخرى أيا كانت تنبع في أصلها من هذا الأصل. علاقة القلب بالخالق وذكرى النزول. ثم الأفكار اللاشعورية الجنينية والطفلية. ثم التجارب والأفكار الاجتماعية والشخصية. ومن الأحسن لو سمينا كل واحدة من هذه الثلاثة باسم مختصر. فلنسم الأولى "ذكرى النزول". والثانية "ذكرى الطفولة" والثالثة "ذكرى التجربة".

يمكن أن نعرف تأويل الظاهرة بإرجاعها إلى هذه الذكريات الثلاثة. أما "ذكرى النزول" فلا نحتاج إلى تحليل حياة صاحب الظاهرة، ولكن نحتاج أن نعرف ما هي الظاهرة كما فعلنا قبل قليل. وأما "ذكرى الطفولة" و"ذكرى التجربة" فنحتاج لمعرفتهما إلى تحليل الشخص وسماع كلامه شخصياً< ويكفي هنا أننا عرفنا ما عرفنا من أصل الشهوة الجنسية وطريقة تلبية الإنسان لشهوته بمختلف المظاهر.

ولاحظ أن "ذكرى التجربة" هي من الشعور، لأن الشخص يستطيع أن يحدثنا عن تجاربه وحياته وحياة من حوله بوعي. وأما "ذكرى الطفولة" فهي من اللاشعور، لأن الشخص غالب لا يستطيع تذكر حوادث الطفولة ولذلك نأخذ كثير منها من تحليل أحلام الشخص وغير ذلك. وأما "ذكرى النزول" فهي من لاشعور واللاشعور. لأن هذا الشاذ (الممزق) نفسه لو أخبرناه برأينا في سبب فعله لما يفعله فلعله سيضحك في وجهنا ويسخر منا ويظننا نمزح أو مجانين. "وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون".

ويعرف الشعور بالاستماع، واللاشعور بالتحليل، ولاشعور اللاشعور بالتأويل. فهدف الشهوة هو التذكر.

....

(تأويل الأحلام المرعبة "الكوابيس")

١-علمنا أن الأحلام هو عمل نفسي يهدف لتحقيق رغبة، أي رغبة، وغالباً ما تكون هذه الرغبة مما لم يستطع الإنسان أن يحققها بالأفعال أو بالكلام أو بالدعاء، فيلجأ إلى الأحلام. وينبني على ذلك أنه لا يمكن لأحد أن يرى في حلمه إلا ما يريده. وهذه قاعدة مطلقة. ولكن يعترض بعض المفكرين ويقولون: وجود الكوابيس دليل على أن الحلم لا يكون دائماً لتحقيق رغبة، فمن البديهي أنه لا يوجد إنسان سليم يريد أن ينهش لحمه ثلاثة أسود ويستيقظ وهو يتعرق ويكاد قلبه ينفجر من الخوف. وبالرغم من أن هذا الاعتراض يحوي قوة ظاهرة، إلا أنه عند التحقيق لا يصمد. ومع لذك هو باب جيد للكشف عن زاوية أخرى من زوايا وخبايا النفس.

٢-من قال أن الناس لا تحب أن ترى أمور مرعبة ومخيفة؟ ألا ترى إلى الناس الذين يذهبون إلى السينما ليشاهدوا أفلام الرعب. بل المكاسب التي تجنيها أفلام الرعب قد تجاوز مكاسب الأنواع الأخرى من الأفلام في بعض الأحيان. وهاهم أناس سليمين يذهبون طوعاً ليشاهدوا الرعب والخوف، بل يذهبون لكي يرتعبوا ويخافوا. بل إذا لم يزلزل قلوبهم ويجعلهم يصرخون فإنهم يعتبرونه فيلم سخيف وتافه، ولعلهم يلعنون المخرج.

وكذلك نرى أناس يحبون المغامرات الخطيرة، والسفر بين الغابات والوحوش، وإلقاء أنفسهم من الطائرات والغوص بين الحيتان في أعماق البحار المظلمة، وغير ذلك من الأعمال "المخيفة". وهؤلاء أيضاً يذهبون طوعاً، وينفقون أموال طائلة في بعض الأحيان لكي يشعروا بالخوف والرعب الشديد وكأنهم يريدون أن يتذوقوا أقرب شعور قبل الموت.

فإذن يمكننا أن نستنتج بقوة أن النفس تريد أن تشعر بالخوف والرعب كما تريد أن تشعر بالاطمئنان والفرحة. فكون بعض الأحلام "مرعبة" لا يضعف من كون الأحلام تحقيق للرغبات.

٣-ولكن لماذا نرى أحياناً أحلاماً مرعبة؟ نعم هي تحقيق لرغبة أو رغبات، ونعم لن نستطيع أن نحدد قاعدة مطلقة تفسر كل أنواع الأحلام المرعبة، إذ لهذا نحتاج أن نحلل نفسية كل حالم. فما نريده هو أن نضع بعض المفاتيح التي يمكن أن نستعين بها لفهم الأحلام المرعبة بصورة عامة. ولنقوم بهذا سأقصّ حلمين رآهما شخص أعرفه أكثر ما يمكن أن يُعرف عن نفس.

الأول هو هذا "رأيت أنني مع حبيبتي القديمة في سيارة والشرطة تلاحقنا وقد أمسكت بنا". باختصار مفيد، وهذا شاب يسكن في بلد يمنع مثل هذه العلاقات. والآن ظاهراً قد يستعمل هذا الحلم على أنه من الأحلام التي تضعف نظريتنا عن الأحلام. إذ استيقظ الشاب وقلبه يكاد ينخلع من الخوف ولعل شيء من البكاء قد أصابه. ولكن ما إن نعرف الحقائق التي سأذكرها الآن حتى يظهر الحق.

أما الشاب فهو شاب جميل أبيض، ودخول مثل هذا إلى السجن يعني في الغالب أنه سيتعرض للتحرش الجنسي وقد كان هذا مصدر قلق له في حياته عامة. وأما المرأة فهي امرأة في نحو

الثلاثين من العمر، ولها أبناء صغار، وهي منفصلة عن زوجها، والذي يعمل في سلك الشرطة والمخابرات خصوصاً. والشاب كان في علاقة رائعة مع المرأة، وقد كانت هي تعشقه لحد العبادة إذ رأت فيه كل ما كانت تتمناه في زوج. وأما الشاب ففي يوم معين قرر أن ينفصل عنها وقد فعل ذلك بطريقة وقحة حتى يسهل عليه كرهها له وبالتالي يسهل عليها الانفصال. ولاحقاً عندما سألت الشاب لماذا أراد أن ينفصل عنها قال لي "لأني أخشى أن يعرف زوجها السابق عنا، فيأخذ منها أبناءها ويدمر حياتها. وقد كان السائق ينظر إليّ بريبة كلما أنزلها عند بيتي فخشيت أن يخبر الزوج ويقوم هذا بإرسال شرطة لملاحقتنا ثم القبض علينا ثم ستنفتح علينا أبواب جهنم." ولكن بقي نادماً على انفصاله عنها لأنها كانت تشبع له كل رغباته وكانا في أمتع ما تكون العلاقة بين اثنين. ثم بعد فترة من جلده لنفسه على جبنه، بعد مدة من التحسر رأى هذا الحلم. فكان كأنه رأى نبوءته تتحقق في الواقع. ولم يتحسر ويجلد نفسه بعد ذلك أبداً على تركها. "والحمد لله على توفيقه".

فهذا الحلم كان يحقق رغبة سافرة بطريقة واضحة لا تحريف فيها. فهو قد رأى نفس ما كان يريد أن يكون صحيحاً وبذلك ارتاح من تأنيب النفس، وشعر بالكبر إذ نبوءته تحققت فهو حقاً ذو "نظرة ثاقبة" ! فالرعب هنا كان وسيلة تبرير لعمل سابق أو لاحق يريد عمله ولكنه يريد الموافقة عليه من "الواقع" الذي سيخلقه هو بالطبع.

الثاني هو هذا "رأيت أن الخادمة أدخلت لصوص إلى بيتنا وأرادوا قتلنا" باختصار مفيد.

من يريد أن يدخل إلى بيته لصوص ويقتلوه هو وأهله ؟ فهذا أيضاً قد يؤخذ على أنه خروج عن القاعدة المطلقة التي قررناها وهي أن الأحلام تحقيق لرغبات. اصبر قليلاً واسمع التحليل.

هذا الشاب يحيا حياة هادئة. ويقضي أكثر وقته في القراءة والدراسة والتأمل. ولا يملك من المال ما يجعله يسرف ويتابع شهوات الدنيا كالأثرياء. وقبل هذا الحلم، كان بدأ يملّ من حياته قليلاً، وبدأ ينسى نعمة الراحة والهدوء الذي يحيا فيه. وكذلك الخادمة التي رآها هي من أحسن الخادمات اللاتي عملوا عنده، هادئة وتعمل كثيراً وتطلب قليلاً وتصلي بخشوع. فعندما قمنا بالتحليل ظهر أنه أراد أن يرى حياته في حالة سيئة جداً لكي يقدر حياته الواقعية أكثر وبالتالي يفرح بها. فعندما رأى اللصوص السفاكين في حلم وراء الخادمة الخائنة، ثم استيقظ وراء بيته سليما والخادمة لطيفة هادئة قال "الحمد لله على هذه الحياة الجميلة، واستغفر الله على نسياني هذه لهذه النعمة" وما شابه ذلك. بالرغم من أنه عندما استيقظ كان قلبه شديد الاضطراب من الخوف والرعب مما رأى وعاش في حلمه حتى إنه اضطر إلى القيام بعمليات تأملية تنفسية وذكر الله كثيراً حتى يهدأ قلبه.

فالرعب في هذا الحلم كان وسيلة للمقارنة بين ما هو واقع وما هو أسوأ من الواقع. فيشعر بالفرحة من جمال الواقع. كالذي كسرت رجله فاكتئب، فقام أبوه وأخذه إلى المستشفى وأراه

رجال مشلولين بالكلية فقارن إصابته بإصابتهم فقال "الحمد لله على النعمة التي أحيا فيها". فهي مقارنة تنتج فرحة.

ويوجد حلم ثالث من الضروري أن نذكره ونحلله. وهي أحلام مرعبة جداً ولا تكون من باب "تبرير عمل سابق" ولا "مقارنة لانتاج فرحة". وهي أحلام "التكفير عن الخطايا". فقد يعمل إنسان خطايا، أو ما يرى هو أنه خطايا، وهو يخشى ولو لاشعورياً من عقاب الله. ولكنه يعذب نفسه حتى يكون عذابه سبب لشعور الله بالشفقة عليه وبالتالي يغفر له. فكأنه بحلمه هذا يقول "عندما يرى الله أني أتعذب فإنه سيرحمني، إذ الله أرحم من أن يعذب عبده في الدنيا والآخرة بذنب واحد" فكأنه خلق على نفسه العذاب حتى ينجدو غداً من العقاب. ويوجد الكثير من الذين لا يبالون في حياتهم الواقعية بأمر الله والآخرة، ومع ذلك نرى عندهم أحلام تفسيرها هذه الفرضية بدقة، والسر هو كأنهم يقولون "لو ذهبنا إلى الآخرة فسننجوا من العقاب إذ نحن نتعذب اليوم بذنوبنا".

ونوع رابع هو الحلم المرعب الذي يجعل الحالم "يشعر بالأهمية". ولعل هذا النوع يكثر عند المنعزلين نسبياً والمتوحدين. كهذا الحلم "رأيت أن رؤساء العالم اجتمعوا لكي يقرروا كيف سيقتلوني لكي لا أنشر أفكاري العظيمة التي ستغير العالم وتسقطهم من على عروشهم" أو "رأيت أن جماهير الناس تلاحقني وتريد القبض علي وتعذيبي". وما شابه. وكذلك الرعب الناتج من رؤية الجن والأرواح والأشباح والكائنات الغريبة والخرافية. وكملاحظة عامة، نرى أن الإنسان كلما ازدادت عزلته كلما ازداد ظهور "الأرواح" في حياته. فإما أن عزلته وهدوءه جعلاه يشعر بوجود الأرواح، وإما أنه خلق الأرواح حتى يسلوه في وحدته. وإني أميل إلى الثاني قليلاً. فالرغبة في الكبر تعمل هنا بقوة، إذ عندما يرفض الناس أن يجالسوك لسبب أو لآخر، أو ترفض أنت اجتماعاتهم لسبب أو لآخر، فإن هذا يجرح كبرياءك. ولذلك تقوم النفس بخلق "كائنات أعلى" من الناس التافهين. وهؤلاء هم أصحابي الجدد. فقد استبدلت الذي هو خير بالذي هو أدنى.

وكذلك هنا، فعندما يتآمر الناس على شخص فهذا يعني أنهم يرونه مصدر تهديد قوي. وكذلك عندما يتآمر "العظماء" على شخص فهذا يعني أنه "شديد العظمة" مثلهم، بل مثلهم مجتمعين. ومن باب أولى أنه عندما يرى "كائنات عليا غيبية" تتآمر عليه أو تسعى لقتله، فهذا يعني أنه شديد الأهمية والعظمة، ولعله يظن لاشعورياً أنه المسيح المنتظر الذي تسعى الشياطين إلى قتله حتى لا يغمر العالم بفيض نوره. فهذه الأحلام المرعبة كلما ازدادت شراسته وقوة الوحوش الذين فيها كلما ازدادت فرحة الإنسان بها. إذ هذا يعني عنده أنه أقوى وأشرس منها أو في مرتبتها أو أقل منها بقليل. وهذا الشعور بالكبر هو ما يرغبه الحالم من هذه الأحلام المرعبة. أي "الشعور بالأهمية".

٤-فهذه إذن أربعة مفاتيح لعلها تستطيع أن تفسر أكثر الأحلام المرعبة التي يراها الناس:
تبرير لعمل سابق أو لاحق. مقارنة تنتج الفرحة أو التعاسة أحياناً. التكفير عن الخطايا. الشعور بالأهمية.

٥-وإذا نظرنا إلى هذه المفاتيح الأربعة فيمكن أن نرى جوهر النفس، رك، ظاهر بقوة. فالمقارنة والتكفير يظهر أنهما لجلب الراحة في الغالب. والتبرير والأهمية لجلب الكبر في الغالب.

فهذه هذه المفاتيح الأربعة وتأكد منها بنفسك.

....

(تأويل الأذكار والتخيلات)

١-ما هي الأذكار والذكريات؟ أقصد بالأذكار مثل الأوراد الدينية، وبالذكريات إعادة استحضار حوادث وقعت في المخيلة، أو تصور خيالات جديدة سواء تعدل حوادث وقعت أو تتنبأ بحوادث قادمة أو يرغب صاحبها بأن تقع. كل هذا دعونا نضعه تحت تسمية "أذكار". وأول ما نستنبطه من هذه الظاهرة هو أنها لا تقع إلا عندما يكون الشخص غير راضٍ عن الواقع كما هو بالكلية. فالتخيل دليل على رغبة في واقع غير "الواقع" الفعلي الحالي. أيٍ باختصار "الآن". فالتخيل ثورة على الواقع بطريقة من الطرق.

ونلاحظ أيضاً أن الإنسان عامة لا يحب أن يبقى فارغاً. فهو لابد أن يشغل نفسه بشيء. أي شيء. وحتى الفلسفات التي يدعو أصحابها فيها إلى "التأمل الفارغ" أو "السكون التام" أو "توقف سيل الأفكار" وما شابه، أي باختصار تدعو إلى "الرضا بالفراغ"، هذه المذاهب على التحقيق إنما تدعو لذلك لأنها ترغب في إعطاء الناس أفكار جديدة، تريد أن تملأهم بأفكار جديدة، ولكنها صدمت لما وجدت عقول الناس ممتلئة بأفكار لا يرضون عنها، فكخطوة أولى يدعون الناس إلى التخلي عن كل شيء. وبعد ذلك يبدأون بملأ الناس بما يشاؤون. فحتى أئمة الفراغ لا يرضون بالفراغ بحد ذاته ولذاته. ولكن كوسيلة إلى غاية أبعد.

فتساؤلنا هو: لماذا لا يحب الإنسان أن يكون فارغاً؟ حتى إن كلمة: هذا إنسان فارغ، هي قدح كبير في كثير إن لم يكن كل الثقافات. فما تأويل ذلك؟

٢-ونستطيع أن نستنبط كذلك أن أصل النفس هو الفراغ. والامتلاء والانشغال عرض. وهذه حقيقة شديدة الأهمية وعظيمة فعلاً. وينبني عليها كل شيء. وتفسّر الكثير من أسرار النفس.

أصل النفس فراغ. هذا مثل العالم الآفاقي، الأصل فيه فراغ الظلام. والنور عرض عليه. فيوجد رابط قوي جداً بين خوف الإنسان من الفراغ النفسي وخوفهم من الظلام الخارجي. ولذلك نرى أن المتأمل الروحاني يجب الجلوس في الظلام ويحب الليل. وهو في نفس الوقت أشد الناس ارتياحاً بالفراغ النفسي. فلعلنا إذا استطعنا أن نفهم سر خوف الإنسان من الظلام الخارجي نستطيع أن نفهم تبعاً لذلك سبب خوفه من الفراغ النفسي. وهذا يظهر أن كره أكثر الناس لتغيير نفوسهم نابع في الحقيقة من خوفهم من الظلام بطريقة لاشعورية. وبما أن سبب خوف كل شخص من الظلام يختلف إذ هو أمر نسبي، فلذلك لا ننشغل به هنا. ونكتفي بالإشارة.

فالذي يستطيع أن يرضا بالظلام الخارجي الآفاقي يستطيع أو يكون أقرب إلى الرضا بالفراغ الداخلي النفسي. والعكس صحيح.

وإذا نظرنا إلى سبب خوف الناس عامة من الظلام الآفاقي سنرى أنه الخطر. إذ الظلام يخبئ المجهول. والمجهول قد يكون مضراً ومؤذياً. والإنسان لا قوة له على شيء لا يراه. فدرءاً للخطر

نفضل أن نرى بالنور. ولعل حوادث وقعت للإنسان حين كان طفلاً وقبل ذلك أو بعده ولدت فيه الخوف من الظلام. ثم مع مرور الوقت وبالتغذية المستمرة لهذا الخوف يبدأ ينعكس على الواقع النفسي، فيبدأ يكره الشخص التأمل الباطني وكل تغيير، ثم وصولاً إلى النتيجة الكبرى وهي الاشمئزاز من الفراغ وعدم الانشغال. حتى إن أكثر الناس تفضل أن تشغل أنفسها بالاكتئاب على أن تظل فارغة في سكون.

وهنا يأتي دور الأذكار. فهي وسيلة مستمرة للانشغال النفسي والتي لا تحتاج إلى أي شيء خارجي. فلا يحتاج إلا لقلبه. فيذكر الله أو أي شيء، أو يستعيد ذكريات، أو يخلق خيالات. أو يحلم بالمستقبل، وهكذا بكل ما يمكن أن يبقي نفسه مشغولة بشيء. فهو يريد أن يرى. يريد النور. يريد النهار ويكره الليل.

وكما عرفنا فإن الأصل هو الفراغ والامتلاء عرض. والعرض أثر يحتاج إلى سبب ليظهره. والأذكار هي أسباب تخلق الآثار في النفس. فمثلاً، يغذي الروحاني كلمة "الله" بكل صفات العظمة التي يستطيع أن يتخيلها. وكلما يذكر هذه الكلمة تنصب في نفسه المعاني التي ملأ بها هذا الاسم، وبالتالي يشعر بالراحة والكبر. وهكذا يكون ذكره للاسم كمن يضغط الزر على جهاز ليجعله ينتج. وهكذا في كل الذكريات والتخيلات آلية العمل نفسها من حيث الجوهر.

ومن الطرق المشهورة التي استعملها الناس لكي يرضوا بالفراغ هو أنهم ربطوه بفكرة نورانية مسلية. وهو أنهم لما رأوا الفراغ مطلق لامتناهي قالوا "الله عظيم مطلق لامتناهي". ولذلك أصبح الروحاني إذا تخلى عن كل الأفكار، ورجع إلى حالته الأصلية وهي الفراغ النفسي، نظر، فإذا هو أمام ذات لامتناهية في الكبر، فعندها يقول أنه "رأى الله" أو "الله تجلّى له". والأجمل من ذلك هو ربط الفراغ النفسي بالعشق. فيقول أن الله هو العشق اللامتناهي، وحيث إن أصله هو الفراغ. والفراغ ملازم له متحد به. فإذن الله معشوقي وهو متحد بي. وهكذا يصبح يستمتع بالفراغ النفسي بدل الخوف منه. ولاحظ كيف أن الربط بين الفراغ تم بينه وبين مفاهيم تجلب الطمأنينة والأمن التسلية، مثل الله الرحم العظيم المؤمن، والرب القادر على كل شيء، والمعشوق الذي في الحياة الآفاقية يموت أو يذهب ولكن الروحاني يجعله ملازم له، وأي شيء أجمل من ملازمة العاشق لمعشوقه. أليس كذلك !

٣-فمن حيث الراحة يظهر أن كره الفراغ يرجع إلى الخوف من الأذى بصورة عامة، وقد وضع فينا الاعتقاد بأن الفارغ سيصيبه أمر يؤذيه. ولهذا أسباب كثيرة تختلف من شخص لآخر. فنقوم بملأ أنفسنا حتى نطمئن أنفسنا بأننا نعمل وبالتالي لن نصاب بهذا الأذى.

وأما من حيث الكبر، فيظهر أننا متأثرين بالفكرة التي تجعل الكمال هو الامتلاء. وبالتالي لن يكون الفراغ طعن في الكبرياء. وبالتالي الألم. ولذلك ترى الذين يمجدون الفراغ يجعلونه عظيماً وكاملاً. وبناء على ذلك يرضون به ويرتاحون إليه. فحسب ما يوجد فيك ستعامل الأشياء. فانظر هل الفراغ عندك كاملاً أو ناقص. أي هل تعتبره من الكمال أو من النقص؟ والأفضل الأسلم أن

تراه من الكمال ومن النقص ولكن باعتبارات مختلفة. إذ لو اخترت أحدهما ستكون في ألم دائماً. إذ لو رأيته من الكمال فإن أي انشغال لك عنه سيسبب لكل الألم. وإن رأيت من النقص فإن كل فراغ لك وعدم انشغال سيخلق فيك الألم.

إني أرى الفراغ كمالاً ونقصاً. كمالاً لأنه الأصل والجوهر، ولأن الفراغ هو أول طريق الامتلاء، ولأنه اللانهاية في العظمة. ومن النقص لأن أمور العلم والمعيشة تحتاج إلى انشغال وإلا جاءنا الألم من طريق آخر. فاعمل على أن ترضا بالحالين إن استطعت واجتهد في سبيل ذلك وحلل نفسك بعمق وتأمل طويلاً. ولا بأس بربط أفكار جميلة مسلية بالفراغ. ولكن بشرط أن ترى ذلك.

٤-ويوجد سبب آخر عميق يجعلنا نخاف من التفرغ العقلي. وهو أننا نخشى أن يظهر الملكوت والأمور التي نعمل على تناسيها سواء ما حدث في الماضي أو ما نخشى أن يحدث في المستقبل. وبالتالي تكون الأذكار مثل الجدران التي تحجب وتسد كل المنافذ اللاشعورية. إذ لو تفرغنا لبدأ يظهر فينا كل ما هو مكبوت. وهذا ما لا نريده. فنسلي أنفسنا أو نشغل أنفسنا بالأفكار بمختلف أنواعها حتى تكون حاجزاً، مثل العساكر الذين يضعهم الأمير على باب قصره حتى لا يهجم عليه الناس ويقتلونه أو ينهبونه ويذلونه. فالتفكير بهذا الاعتبار هو من أكبر وسائل الكبت ومقاومة ظهور ما لا نرغب في ظهوره.

ومن هنا نرى أن كل المفكرين العظماء حقاً، والذين يرضون بالفراغ ويعيشون به، ترى نظرهم للأمور النفسية والحياة عميق إلى حد ما. وترى نظرتهم لأنفسهم وكأنهم يتحدثون ويصفون شخصاً يرونه أمامهم. وذلك لأن تأملاتهم المستمرة، والتي تسد باب الأفكار الجديدة، وتجعلهم يسكنون في ليل اللاشعور، هذه الحالات تبدأ تولد أو قل تحرر الأفكار المكبوتة بدرجة أو بأخرى، فيبدأ يراها أمامه كما يرى النائم الأحلام، فيصل إلى جوهر نفسه، ويغوص في أعماق بعيدة جداً. ومن هنا شعورهم العميق بالحياة. إذ لا يعرف ريح الحياة من لا يتصل بعمق نفسه على الدوام.

ولعلنا لا نبالغ إذا وضعنا قاعدة نفسية تقول: أكثر الناس ذكراً وتفكيراً هم أكثرهم كبتاً وتدميراً. وكذلك الذي لا يفكر يدل على أنه يكبت في كثير من الأحيان، إذ يخشى أن يخرج تفكيره ما كان يكبته. وهكذا كلما تعمقنا في النفس نرى أن المكبوت يلعب دوراً كبيراً ورئيسياً في أغلب الحالات، بل لعله في كل الحالات، ونرى أن تحرير المكبوت والاعتراف بوجوده هو أول طريق الصحة النفسية. فالمكبوت كالابن الذي يعمل على أن يلفت انتباه أبيه وأمه، وكلما أعرضوا عنه، كلما غاص في المشاكل وخلق لهم المتاعب حتى يضطروا إلى النظر إليه والاعتراف بوجوده. ولن يهدأ هذا الابن العبقري حتى يحصل على هذا الاعتراف. وإذا حصل عليه هدأ وعاد إلى الأدب. واعلم أن ابنك العبقري هذا قد يخلق لك من المصائب ما يجعلك تقضي كل حياتك مفلساً ومذلولاً وملعوناً. فاعمل على الاعتراف به فوراً إن أردت السلام لنفسك.

٥-وأما التخيلات. فيظهر أنها سبب سعادة الإنسان وأكبر أسباب تعاسته. إذ إنه يملك أن يشعر بأنه الخالق الذي يفعل ما يريد. ولكنه إذا نظر إلى واقعه بعد ذلك بأن لم يرَ ما تخيله شعور بنوع من الإحباط. ولكن بدون الخيال لما استطاع الناس أن يتقدموا شبراً في الحياة. لكانوا مثل بقية الحيوانات على حالها. وهكذا نرى كما نرى كثيراً في هذه الحياة أن الشيء الواحد سبب لسعادة وتعاسة في آن واحد. ولكني لم أرى شيء أجلب للتعاسة من وجود القدرة على التخيل عند الإنسان. لعل هذه هي لعنة الإنسانية يستطيع أن يتخيل ما يشاء في لحظات، ولكنه في أكثر الأحيان لا يستطيع أن يحقق تخيلاته، أو يستطيع أن يحق جزءاً منها بعد شقاء طويل ولمدة قصيرة وبمنغصات كثيرة. إني لأعجب من قوة نوعنا نحن الناس. لو كان عدد المنتحرين كل سنة يساوي عشر الإنسانية لما كان لنا أن نتعجب. إذ القدرة على التخيل مبرر كافي للانتحار. ولكن مع ما نرى من صمود الناس، فهذا ما يفسره قوة الناس، أو أنهم لا يتخيلون بقوة. وإذا نظرنا إلى الذين يتخيلون بقوة لوجدنا أكثرهم يدخلون تحت بند العظماء في الناس. الخيال قوة تنسف الجبال وتدمر الإنسان وتبنيه كل ذلك في آن. فانظر كيف تستعمل خيالك.

الخيال يخلق الآمال. فالمتخيل يكون غير راض عن الواقع بدرجة ما. وبتخيله يعطي نفسه الأمل فكأنه يقول لنفسه "إذا كان هذا يمكن أن يتحقق هنا فهو ولاشك يمكن أن يتحقق هناك". وهذه قوة دافعة عظيمة. ولا يمكن لأحد أن يسعى إلى شيء إلا إذا تخيل هذا الشيء من قبل بدرجة ما. وقد يذهب بعض الناس إلى أبعد من مجرد إعطاء الأمل فيقررون أن الخيال حقيقة بحد ذاته. فإذا عشت في خيالك فأنت في الحقيقة. ويؤيد هذا ظاهرة مثل الاحتلام. فها هو الرجل يرى في مخيلته أنه يجامع ملكة جمال العالم ويستشعر لذة ويفرغ شحنته. فقد تبلغ قوة التخيل في الشخص مبلغاً يجعله يشعر باللذة الواقعية لكل ما يتخيله. ولعامله كأنه واقع فعلاً. فيبدأ ينزوي من العالم الخارجي القاسي الغبي، وينعم في عالم الخاص بكل ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وهم فيها خالدون. ولاشك أن هذه مرتبة نفسية جيدة لمن يحسن استعمالها ويحكمها ولا يجعلها تحكمه ويغلب على الظن أنه سيجعل عقله اللاشعوري يحكمه، إذ بذلك يكون قد جعل عقله الداخلي وعالم تخيلاته يوازي العالم الخارجي الذي يحكمه "الله" أو القوة الخفية. وبالتالي تزداد لذته مما يراه. ومن وصل إلى هذه الدرجة يستطيع أن يودع حياته الاجتماعية إلى الأبد إلا من شذ وندر وقليل ماهم.

إني لأحسب أن الذي وضع القدرة على التخيل في الإنسان أراد أن يعذبه. ومن يدري لعلنا نحن الذين اخترنا نأخذ الخيال وعذبنا أنفسنا بأنفسنا. ولكن على كل حال إذا أحسنا استعماله فقد نفرح به بدل أن نتعذب. وهذا باب جديد للجهاد الذي يظهر أنه لا ينتهي حتى يموت الإنسان. ومن يدري لعلنا نحتاج أن نجاهد بعد الموت أيضاً. وأتمنى أن يكون عندنا أوراق وأقلام حتى نستطيع أن نحلل أنفسنا بعد الموت أيضاً !

٦-فإذن نحن أمام الخوف من الظلام الخارجي وَ الخوف من ظهور المكبوت، وهذا وذاك يؤديان إلى الخوف من الفراغ النفسي الذي هو الأصل. والذي نعمل على تلافيه عن طريق الانشغال العقلي بالأفكار والمشاعر بأنواعها.

ويظهر أن الخوف من ظهور المكبوت يسبق الخوف من الظلام الخارجي، خاصة الغير مبرر. نعم كل إنسان قد يخاف من ظهور كلب مسعور له أو مجرم وما شابه هذا طبيعي. ولكن نقصد الخوف أو كره الظلام، بمعنى كره المكوث مستيقظاً في غرفة مظلمة مثلاً. فهل تحب أو ترضى أن تبقى مستيقظاً في غرفة مظلمة وحدك؟ بالإجابة عن هذا السؤال إجابة فعلية يمكن أن ترى زاوية مهمة جداً من باطن نفسك.

هذه أفكار عن هذه المسألة وأكمل أنت الباقي...

....

(عن السلسلة اللاشعورية)

١-سأذكر القصة التي وقعت لي شخصياً والتي جعلتني أقدر فعلاً قيمة هذه السلسلة اللاشعورية. ثم سنرى ماذا يمكن أن ينبني على ذلك.

لقد كنت إلى قبل كتابة هذا المثال كنت كلما أرى أو أسمع شيء عن الشيوعيين وإخوانهم وبلداتهم مثل الصين وروسيا وألمانيا، كنت أشعر بانقباض في قلبي وألم واشمئزاز. وكنت أفسّر ذلك تفسيراً ساذجاً وأقول: "إن الله يوجّه قلبي ويجعلني أحب وأكره، فهو يعلم أن الشيوعيين سيئين ولذلك جعلني أكرههم. ولكن العجيب في الأمر أني لا أعلم شيئاً عن الأفكار الشيوعية أصلاً. ولما وصل إلى يدي شيء من كتب الشيوعيين وجدت أن الكثير من أفكارهم عظيم وراقي. وبالرغم من ذلك كنت لا أزال أشعر بنقص شعور الألم الذي كنت أشعره دائماً كلما ذكر أمامي شيء عن هؤلاء.

فأصبح عقلي يميل إلى الشيوعيين ومشاعري تنفر منهم. فما سر ذلك؟

وفي يوم كنت أتأمل في نفسي حول هذا الموضوع، ظهر لي موقف حصل لي عندما كنت في المرحلة المتوسطة، أي كان عمري نحو ١٤-١٦ سنة. وإني أرى الموقف بوضوح شديد وكأنه حصل بالأمس. وهو إني دخلت إلى أحد الفصول الدراسية في مدرستنا، وكان الأستاذ شيخ مصري يزعم أنه متدين بالدين الإسلامي وشديد التعصب له. وقرعت الباب وفتحته، ثم سألت الطلاب شيء، فبرز أحدهم، وكانوا كلهم أصغر مني سناً، وقال لي أمر لم يعجبني، فرددت عليه وقلت: اسكت يا شيوعي. ولا أعلم لماذا قلت ذلك. ولكن يظهر أني شاهدت فيلماً أو سمعت أحداً يذكر شيوعي على أنها قدح. ولكني في ذلك الوقت كنت لا أعرف أي شيء فعلي عن الشيوعية. وهكذا كالصبي رددت أي كلام أسمعه. فلما سمع هذا الشيخ ما قلته، وهو ولاشك ممن يعتقدون أن "شيوعي" تساوي "ملحد"، فنهرني، وغضب، وأهانني أمام الطلاب الأصغر مني سنا وقد كنت محل احترام عندهم في كل المدرسة، وجبرني أن أقبّل رأسه ليسامحني وإلا فإني سأعاقب بشدة. ففعلت كارهاً ما أمرني به. وأذكر إلى يومني هذا أني خرجت من الفصل وعيوني تدمع. ورحت إلى دورة المياه وأنا أبكي من هذه الإهانة التي تلقيتها، والتي كانت بسبب كلمة "شيوعي". وهذا من المواقف القليلة التي تبرز في ذاكرتي عن تلك الفترة بوضوح شديد.

والعجيب في الأمر أني لما تذكرت هذه الحادثة وعلمت ارتباطها بكرهي اللاشعوري لكل ما هو شيوعي، ذهب شعور الاشمئزاز الذي كنت أشعره تجاههم تدريجياً وبسرعة شديدة. ولا أظن أن السبب هو أن الله غير رأيه عن هذه الفرقة وجعل قلبي يسامحهم !

٢-ماذا نستنبط من هذا؟ أول وأهم ما نراه هو وجود سلسلة لاشعورية هي السبب في كل ما نراه ونشعره. حتى لو لم تعرف بعقل واعي أن هذا الشعور هو من ذاك الموقف، أو هذا الشعور من تلك الفكرة أو الأفكار. الوعي بها وعدم الوعي بها لا علاقة له بوجودها وتأثيرها.

وعلى ذلك، يجب أن نتعمق أكثر في كل الأفكار التي تطرأ لنا عندما نرى شيء، أو كل المشاعر التي نحسها في موقف معين. ونتتبع الأسباب لنرى جذورها. وعندها نتحرر. وكل ما يقال عن "إلهام القلب" و "الشعور الغير مفسّر" أو "ربي جعلني أحس" هو في الغالب إن لم يكن دائماً يستند إلى السلسلة اللاشعورية هذه. ولنؤكد هذه النقطة أكثر إذ هي شديدة الأهمية سأذكر قصة أخرى حدثت معي ليلة كتابتي لهذا المقال.

كنت على علاقة طويلة نسبياً مع فتاة في عمري. وكنا على وشك الزواج إلا أن أبي في اللحظة الأخيرة رأى أنه من الأحسن أن لا نستمر. ثم سافرت عند أمي في سوريا، وأردت أن أفسخ العلاقة بيننا. وقد كانت هذه الفتاة تريد الزواج مني بقوة ولن تستطيع حسب قولها أن نستمر في علاقتنا إن لم نتزوج لأنها في عمر يزداد إقبال الخاطبين إليها وأهلها يضغطون عليها. فالمهم، جعلت أمي تكلمها لتفهمها كل ذلك وأني لن أستطيع أن أتزوج إلا بعد سنوات طويلة لأكمل دراساتي. وهكذا في تلك الأيام انفصلنا. وكانت هي تعتقد أن أمي هي سبب تركي لها. ثم مرت سنتين على هذه الحادثة، ورجعنا نكلم بعضنا البعض. وعرفت هي أني أنوي الزواج قريباً. وجاءَت في أحد الأيام عندي وهي في كامل زينتها وقد كنا جماعة من الأصدقاء. فذهبت إلى غرفتي لتضع أشياءها هناك ثم لتنزل، ولكن ما إن نزلت حتى تحول كل جوها إلى شيء أشبه بجهنم. صمت واكتئاب وتوتر. فيض من المشاعر السلبية. واحترت أنا في سر ذلك. فبدأت أحاول وأحاول. وأسألها وهي تنكر وتقول أن سبب ذلك هو "استيقظت اليوم في مزاج سيء" أو "ربي يوجّه قلبي" وما شابه من أعذار. ولكن كل القرائن تدل على أن كل هذه الأعذار الواهية. ثم بعد أن حصل ما حصل وطردتها من البيت بفعل منها وآخر مني، تذكرت أمر شديد الأهمية. وهو أني قد علقت في غرفتي صورة لأمي. وهي جالسة في خيمة بدوية وتضحك. وهذه الصورة هي التي أشعلت السلسلة فيها وملأتها بكل مشاعر الألم والاحباط. حيث هي تعتقد بقوة أن أمي هي سبب تركي لها. ثم هي كانت تشعر دائماً بشيء من الدونية لكونها من أصول بدوية خاصة حولي وحول أصحابنا وكانت تعمل على أن تخفي ذلك بشتى الطرق والمزاح وما شابه.

فإذن الأفكار في القلب متصلة مع بعضها البعض مثل شبكة العنكبوت. كل فكرة تؤدي إلى أخرى. أو قل مثل السلسلة، من حلقة إلى أخرى. وفي أغلب الأحيان لا يشعر الشخص بوجود هذه السلسلة. أو حتى لو شعر فغالب ما يشعر فقط بآخر بضع حلقات منها. وعدد الذين يعرفون الحلقات الأولى الجذرية وراء أعمالهم وأفكارهم ومشاعرهم أندر من الكبريت الأحمر.

وسبب هذه الندرة أن أكثر الناس لا يريدون استرجاع المواقف المؤلمة والتي تسكن في بدايات السلسلة اللاشعورية. فمثلاً في قصتي مع الشيوعية، من المؤلم استذكار هذا الموقف المهين. من المؤلم جداً. ولكن يظهر أن مع كثرة ممارسة التأمل والتجرد يصبح الإنسان متبلد الإحساس تجاه أمور الماضي. ويراها كأشياء منفصلة عنه. وهي في الحقيقة منفصلة عنه. إذ هو اليوم ليس هو ذاك الشخص إلا بالاسم الحجري الذي وضع على كل واحد. فنعمل على كبت هذه الذكريات. ونسعى لقتلها عن طريق نسيانها. وكأن النفس تعمل بحسب القانون القائل "أميتوا الباطل بإماتة

ذكره". ولكن هنا يتحول ليصبح "أميتوا المؤلم بإماتة ذكره". ولاشك أن هذا قانون الضعفاء البله. إذ إن "المؤلم" لن يموت ولكنه سيسعى ليل نهار ليدمرك من الداخل وهم لا يشعرون.

وحتى المشاعر الجميلة يوجد ورائها سلسلة لاشعورية. وحتى هذه لا يرغب أكثرنا في أن يعرفها. وأكاد أقول "كلنا" لولا حذر العلم. ولهذا أسباب لعل أهمها هو أننا إذا عرفنا جذور فرحتنا فإنها على الأغلب ستضعف. ونحن نحب أن ننسب لفرحتنا أسباب عالية حتى لو كانت وهمية حتى تعزز من هذه الفرحة وتجعلها أعظم في (بيوتنا).

فالكبت ممارس على المواقف المؤلمة والمفرحة على حد سواء. إلا أنه يضاعف جهده على المواقف المؤلمة. إذ هذه تجرح جوهر النفس وتطعن كبرياؤه.

ثانياً نستنبط أن التحرر هو الملاحظة. كل ما عليك لتتحرر من سيطرة سلسلة معينة عليك هو أن تعرفها بحق وعمق ثم تنظر إليها. فقط لاحظ وجودها وأثرها عليك. وتدريجياً ستضعف ثم تزول. وإذا لم تزول فهذا يعني أنك لم تدرك جذور السلسلة كلها بعد. لقد أغفلت حلقات مهمة. وستفعل ذلك لاشعورياً. وستوهم نفسك بأنك متحرر وتسعى إلى معرفة الحق. ولكنك ستخبىء أمور. ولذلك لن تفلح في التحرر. وإذا حصل هذا منعك فعلياً أن تتساءل: لماذا لا أريد التحرر؟ فإن التحرر ليس دائماً شيء جيد. فالتحرر قد يكون سيئاً لبعض الناس في بعض الحالات، نعم، هذا إنسان تعيس من هذه الناحية، ولكن دركة الكفار في جهنم خير من دركة المنافقين.

ويحق لنا أن نشبه سيطرة السلسلة اللاشعورية بالسحر. فالسحر هو أن تتوهم شيء غير الحقيقة. وهذا عين ما تفعله السلسلة اللاشعورية. إذ يكون السبب الحقيقي الذي دفعك إلى أمر هو موقف ما ولكن تقوم أنت تحت تأثير السحر بنسبته إلى أمور أخرى. وللأسف تعتقد أنها هذه الأمور هذه الأمور الأخرى هي عين الحق.

وأما كيفية فك هذا السحر. فالجواب هو هذا: فك السحر هو بفهمه. افهم السحر وهذا الفهم هو الذي سيتولى تحريرك من سيطرته. وحتى تبدأ تفهم كف عن نسبة الأشياء إلى "العقل والمنطق" أو "الله أمرنا بها" وما شابه من أعذار جاهلية. فحتى المجانين يعتقدون أنهم يعملون بحكم "العقل والمنطق"، وهذا المنطق المزعوم يمكن أن يؤيد أي شيء ويعارض أي شيء فهو مجرد وسيلة. وأما "الله أمرنا به" أولاً ما أدراك بذلك؟ هل كل ما تشعر به في قلبك هو من أمر الله؟ لا أريد أن أخوض كثيراً في هذه الفكرة الطفولية. ولكن أقول لعل الشياطين هي التي أوحت لك إذ الله يقول أن الشياطين يوحون لأولياءهم. ثم هل أنت نبي؟ ممكن. ولكن هذا القول يساوي أن نقول أن الجائع شعر بالجوع لأن الله أمره أن يشعر بالجوع. هل ترى مقدار تفاهة هذا القول. تعليق الأمور على إرادة الله والتكهن هذا الذي يحب المكبوتين أن يمارسوه يومياً هو من أحسن وسائل الكبت وأقواها. فهذا لا يكفي بظلم نفسه بالكبت ولكن يذهب إلى أبعد من ذلك ويريد أن ينسب هذا إلى الله جل وعلا. "وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون". إذا وجدت

نفسك تنسب مشاعرك وأفكارك إلى الله فاعلم يقيناً أنك تكبت وتخفي أمر شديد الأهمية فاسعى إلى معرفته لعلك ترتقي.

وتستطيع أن تأخذ أي فكرة من حياتك أو أي عمل أو أي شعور، ثم تبدأ في تتبع السلسلة اللاشعورية. وبعد فترة من ممارسة هذا النوع من التأمل العميق ستبدأ ترى تلاقي السلاسل مع بعضها البعض. وستراها تشبه الشبكة. وإذا وصلت إلى هذه الدرجة فالباقي كله هين. فهنيئاً لك فقد أصبحت من العارفين. "فطوبى لهم وحسن مئاب".

....

(عن الشخصيات الثلاثة)

١- لكل إنسان، وعلى الأقل في فترة من فترات حياته، على الأقل شخصيتان. شخصية تحكمها قيم المجتمع وشخصية تحكمها قيم تجاربه ورغباته الشخصية. وإلى أن يموت الرنسان ستظل له هذه الشخصيتين، ولكن الفرق بين الناس هو في درجة قوة كل واحدة منهما، وبحسب هذه الدرجة سيكون حاله في الحياة على العموم. ومن الناس من يخلق في نفسه شخصية ثالثة، وهي شخصية الوحي. وهذا عندما يختار لنفسه دين معين أو مذهب معين في أي فروع من فروع الحياة. وغالباً ما يكون هذا المذهب من صنع شخص آخر ويخالف قيم المجتمع. وبذلك تكون فيه ثلاث شخصيات: الأولى وهي الشخصية الاجتماعية، والثانية وهي الشخصية الأهوائية أي التي تنتج الهوى الشخصي، والثالثة وهي الشخصية الدينية بالمعنى الواسع للدين.

وهذا التسلسل واقعي وحقيقي بكل معنى الكلمة. لأن الإنسان في بداية تكوينه ينشأ في مجتمع معين ويتقمص قيمه بدون أي مقاومة. ثم يكبر ويبدأ يكون لنفسه قيم معينة بناء على تجربته في الحياة في هذا الوقت. ثم يبلغ عقله درجة معينة تجعله يرى أنه يجب عليه أن يكون على دين ما بالمعنى العام الذي يشكل كل طريقة من طرق الحياة حتى لو كانت "لادينية".

والتحليل يظهر أن الشخصية الثانية دائماً تتأثر بالشخصية الأولى بدرجة أو بأخرى. والثالثة كذلك تتأثر بالثانية والأولى. إما تأثر اقتباس وإما تأثر ردة فعل. وكمثال بسيط، الاقتباس هو كأن يكون للشخص أب كريم فيرفض أن يكون الله إلا كريماً. وردة الفعل كأن يكون له أب حقير تخلّى عنه عندما كان صغيراً فيكبر ويجعل الله معه حيثما كان. وعلى هذا القياس نستطيع أن نفسر كل القيم التي تحويها أي شخصية. وهذا كما قلت مجرد مثال بسيط والواقع يتعقد أحياناً ولا يكون بمثل هذه السهولة.

فمن حيث الأصل، كل شخصية تحمل قيم معينة. قد تتصل ببعضها البعض وقد تتصارع وتنفصل. وهنا تبدأ الصحة والمرض. فعندما تكون رغبات إحدى الشخصيات تتصارع مع الأخرى، هذه تقول "نريد كذا" وهذه تقول "لا، لا نريده" فهذه بدايات المرض والألم النفسي والقلق والاضطراب. وكلما ازداد عدد القيم المتصارعة كلما ازدادت قوة المرض. وكلما ازدادت قوة القيم التي تحملها إحدى الشخصيات كلما ازدادت قوة الشخصية، وبالتالي تغلب الشخصية الأضعف.

فمثلاً، إذا فرضنا أن الأولى تحوي ١٠ قيم قوتها ١٠٠ط. والثانية تحوي ١٥ قيمة قوتها ١٥٠ط. والثالثة تحوي ٣٠ قيمة قوتها ٧٠ط. فهذا الإنسان إذا نظرنا إليه سنرى أنه يعتقد برأيه الشخصي ولا يهتم كثيراً بالمجتمع ولا الدين بحسب النسبة بين قوة شخصيته الثانية والأولى والثالثة. ومن هذا المثل البسيط نستطيع أن نتنبأ بباطن كل إنسان. فإذا وجدنا إنسان يقدم رأي المجتمع على رأيه الشخصي، أو يقدم رأي الدين على رأي المجتمع، وهكذا، فهذه أدلة قاطعة على باطنه وقوة كل جانب من جوانب نفسيته.

وكما علمنا من تحليل النفس والهيكل، فإن الإنسان يختار قيمه كلها بناء على ثلاثة معايير: الأكبر، وإمكانية التحقق، والأريح. ويختلف الناس في أي هذه المعايير يقدمون على الآخر. ولكن كل قيمة عند أي إنسان يجب أن تكون محكومة بهذه المعايير الثلاثة، وعى الإنسان ذلك أم لم يعييه. وجرب بنفسك إن شئت أو جرب الآخرين وانظر.

فالظاهر أن الأمور النفسية شديدة التعقيد والتداخل والعمق. ولن يستطيع أحد إن أراد أن يشرح أمور النفس إلا أن يذكر أمور عامة وتعميمات نظرية. ولكن عند تحليل كل نفسية على حدة فإن هذه الأمور تتبين أكثر. ففي كل بحوثنا إنما نضع الأمور المشتركة، ورؤوس أقلام يستطيع العالم النفسي أن يأخذها ويطبقها على نفسه وغيره بعد بذلك بتوسع. فابق هذا في ذاكرتك عندما تدرس أي من كتبنا.

٢-فما هي أسوأ حالة للنفس وما هي أحسن حالة؟ الأسوأ عندما تتعارض هذه الشخصيات الثلاثة، كأن تقول له الأولى "اذهب للشرق" والثانية "اذهب للغرب" والثالثة "قف مكانك". وكلما ازدادت حدة التعارض عن طريق ازدياد عدد القيم المتعارضة كلما ازداد الأمر سوءاً. والأحسن هو العكس عندما تتوافق هذه الشخصيات الثلاثة تماماً. هذا نظرياً. وأما واقعياً فلو اتفقت له أن كان عدد أكثر القيم متوافق فهذا في نعيم كبير.

وما هي الطريقة للوصول إلى هذه الحالة الصحية الراقية؟ يجب أن توضع الأولوية لشخصية من الشخصيات الثلاثة على الاثنتين الأخريات وتكون لها السلطة العليا برضا النفس. ولا يمكن أن توضع هذه السلطة للمجتمع، لأن المجتمع إنما هو من أفراد. وواضع القيم سيكون عد قليل من الأفراد الذين يملكون النفوذ بحسب القوة والمال. وبالتالي سيكون البقية خاضعين وليس راضين، وهذا سيولد المعارضة لقيم المجتمع والتي هي في الحقيقة قيم تعبر عن رغبة السلطة الحاكمة في مختلف مظاهرها. وكذلك لا يمكن أن توضع للرغبات الشخصية لكل فرد لأن كل فرد سيرى عكس صاحبه وسيخلق هذا التضارب وبعده التقاتل عاجلاً أم آجلاً، بوجه أم بآخر. فالحل الوحيد أن تعطى هذه السلطة للوحي. وبالرغم من أن هذا سيولد خلافات كثيرة مثل صدق الوحي، وكيفية تفسيره واختلاف الطوائف، بالرغم من ذلك فإن الحل الوحيد هو أن تجعل صلاحية وضع القيم للوحي. فأسلم الناس نفوساً هم من يعتقدون حقاً وصدقاً بوحي ويجعلونه الحكم الأكبر بينهم. هذا المصدر أيضاً سبب للخلاف كما هو واقع، ولكن كما قلنا أن هذا هو أحسن حل في المستطاع. وما لا يُدَرك كله لا يُترَك جُلُّه.

ومما سبق نستطيع أن نستنبط أمرين في غاية الأهمية: أولاً إن كل نفس في هذا العالم ستعاني من آلام وكبت وعذاب لامحالة. لأن الضرورة ستخلق تعارض بين رغبات المجتمع والفرد والوحي أو القانون الأعلى. وحتى الملك الطاغية المطلق يعاني من آلام الكبت والعذاب النفسي. وأبسط أسباب ذلك أنه يضطر أن يمثل على الناس ليل نهار ويخفي نفسيته الحقيقية. فحتى هذا يكبت فما بالك بمن سواه. فالحياة هنا عذاب لامحالة. والفرق بين الناس في درجة قوة هذا العذاب.

وأيضاً بحسب نوع المخدرات التي يتعاطونها لتسكين الألم. فواقعياً، أقصا ما يمكن أن يطمح له إنسان هو أن يسالم المجتمع ويجعل لنفسه أفكار روحية معينة تكون كالخمر لتسكن له آلام الكبت والتعارض. وعليه أن يعي أنه يكبت ويتألم وسبب هذا التألم، فإن هذا كفيل بتخفيف حدة الألم.

ثانياً، إن الأمة الوحيدة على وجه الأرض التي يمكن أن تبني مجتمع يكون أفراده يعتمدون على الوحي فقط هي أمة القرءان. ولكن بشرط أن ترجع إلى القرءان وحده، وحرق كل كتب المذاهب الأخرى أو جعلها تراث مجرد لا حكم له بحد ذاته. وكنت أريد أن أضيف إلى هؤلاء العبرانيين أصحاب التوراة، ولكن هؤلاء يعتقدون بأمور تضعف من قيمة كتابهم، ليس كلهم ولكن أكثرهم، وهم على كل حال قليلون جداً وفيهم من الشوائب ما فيهم. والأمة الوحيدة التي يعتقد أكثر بل لعل كل أفرادها اعتقاداً عميقاً جازماً بقدسية كتابهم وأنه حرف حرف من عند القوة العليا، الله، هي أمة القرءان. والقرءآن كتاب شديد العظمة إلى حد لا يبلغه إلا الله والعارفين باسمه. والقرءان بذلك يكون حقاً كما وصف نفسه "شفاء لما في الصدور". ولكن هل يستطيع العرب أن يكتشفوا ما في أنفسهم ويحللوه ويتحرروا من الكبت، ثم يرجعوا إلى القرءان وحده في كل أمورهم النفسية والاجتماعية؟ ندع المستقبل يجب عن هذا السؤال. والأمر ليس بسيط كما يتصوره السذج. فاختيار القيم النفسية ليس مثل سهولة اختيار نوع العشاء الذي تريده اليوم. للأمر جذور بعيدة وعميقة. وهذه الحقيقة هي التي تجعلني أرجح أن مثل هذا الاختيار، أي اختيار الرجوع إلى القرءان وحده، لن يستطيع أن يقوم بها إلا قلة قليلة جداً لا يُحسب لها حساب. والقرءان نفسه ينبيء بهذا "وما ءامن معه إلا قليل"، "وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين".

ولذلك إذا أردنا النظرة الواقعية الحقيقية والتي ستثبت الأيام صدقها على الدوام هي أن كل من سيحيا في هذا العالم فهو في عذاب لا ينقطع، إلا إن كان ممن يتعاطون المخدرات، الفكرية أو الجسمانية، فهذا قد يخف عذابه قليلاً وإلى حين. إذ معلوم أن للمخدرات آثارها السيئة بحد ذاتها عاجلاً أم آجلاً.

وأما إن كنت تقول لي: فماذا أفعل؟ سأقول: إما أن تقتل نفسك، وإما أن تشتري بيت ملك، وتأخذ من المجتمع ما تحتاجه بقدر الضرورة وتعطيه كذلك، ثم تجد لك زوج تحبها وتحبك، وتتأمل في بيتك وتفرح بما عندك ولا ترغب في شيء فوق ذلك. وإن خرجت على هذا قيد شعرة فاعلم أنك ستتألم. فأنت وما اخترت.

....

(عن حراس الشعور)

[توجد رسمة بيدي على يسار الصفحة، فيها نصف دائرة إلى الأعلى واسمها "عقل ظاهر"، ثم نصف دائرة أكبر منها اسمها "عقل باطن"، ثم خطّ مستقيم يصل بين النصفين ويخترقهما اسمه "الحراس: ر، ك، إمكان تحقق" وعنوانه "جسر العبور". وفي النصف الأعلى الخط المستقيم له رأس واحد، لكن الخط يتفرع رأسه إلى رؤوس كثيرة في النصف الأدنى].

١-كل شيء موجود في العقل الباطن، اللاشعور. ولكن لا يسمح لكل شيء بالعبور إلى مساحة العقل الظاهر، الشعور. يوجد حرس على باب اللاشعور. على الأقل ثلاثة حراس: الأول هو الكبر، هذا يتأكد من أن هذا الشيء الذي يريد العبور سيحقق الكبر للنفس. والثاني هو الراحة وهذا يتأكد من أن هذا الشيء هو الأريح للنفس. والثالث هو إمكانية التحقق، وهذا يتأكد أن هذا الشيء يمكن أن يتحقق في الواقع.

وفي الحالة المثالية يعمل هؤلاء الثلاثة بكامل قواهم. ولكن في الواقع يختلف عملهم، بل حتى حياتهم ووجودهم من نفس لأخرى. هم موجودين فعلاً في كل نفس مثل وجود القلب والأنف والملية في كل جسم. ولكن عملهم ومنهجهم يختلف من نفس لأخرى.

وإذا فرضنا موت هؤلاء الحراس الثلاثة فإن الإنسان سينغمر بطوفان من الأفكار والرغبات مما لا قبل لأحد به. وما العبقرية والشهوات الجامحة إلا نفحات من هذا الطوفان، أو قل قطرات. وعلى فرض موتهم فإن الإنسان سيقدم على قتل نفسه بعد بضعة أيام أو حتى ساعات على أكثر تقدير، إذ سيصاب بخيبات واكتئابات شديدة من كل الرغبات التي ستغمره، وكل الخيالات التي ستفيض عليه، وكل الآمال التي ستجعله يحلق، ثم سيرى أنه لا يملك ما يجعله يحقق كل ذلك، لاعتبارات محدودية الجسم وقيود المجتمع، وعندها يغلب على الظن أنه سيقتل نفسه. ولذلك فوجود الحراس ضروري لتوازن الحياة، وقبل ذلك بقاءها. لاشك أنه بقاء على حساب السعادة ولكنه بقاء على أية حال.

لنضرب مثلاً يوضح العلاقة بين العقل الباطن والظاهر والجسم والحواس. تصور هذا: غرفة انتظار فيها كل من يريدون مقابلة الملك. وغرفة الملك الذي هو شديد الحساسية ويتأثر بكل مسألة تعرض عليه ويأخذها بنظرة شخصية ولا يريد لأحد طلب ما استطاع إلى ذلك سبيلا. وحاجب الملك أو سكرتيره الخاص الذي يعرف مشاعر الملك وحساسيته فلا يعرض عليه إلا المسائل التي يراها مناسبة ولن تجرح مشاعره. ولكن في بعض الأحيان يتسلل أحد المنتظرين إلى غرفة الملك، أو يصرخ من الخارج، أو يستغل فترة نوم الحاجب ليقفز ويدخل إلى الملك.

هؤلاء المنتظرين هم كل الأفكار والرغبات اللاشعورية المكبوتة إرادياً والمكبوتة لاإرادياً، لأي سبب كان، فهذا لا يهم. والحاجب يمثل الحراس الثلاثة. والملك يمثل العقل الظاهر. والتسلل يمثل خروج الأفكار اللاشعورية بصورة أخطاء أو نسيان أو هفوات أو أعمال في السر. والصراخ يرمز إلى

الأعراض المرضية نفسية أو جسمانية التي يكون جذرها فكرة مكبوتة تريد الظهور. ونوم الحاجب هو ما يظهر في الأحلام.

هذا. وفي غير ذلك من مواقف يوجد طرق يستغلها الإنسان لكي يسكت هؤلاء الحراس ويعبر. مثل تناول المخدرات، سواء كانت مخدرات فكرية، كالعقائد والروحانيات، أو كانت مخدرات جسمانية مما هو معروف للكل. هذه تعمل على تخدير الحراس وجعلهم يهلوسون حتى تمر الفكرة المكبوتة إلى الشعور وثم الواقع. مثل الذي يرغب في الرقص مثلاً، ولكن الكبر يقول له "إن هذا يذهب بهيبتك" ولكنه يتناول الخمر فتراه يقوم ويرقص كالمجنون. أو كالذي عنده ميول جنسية شاذة غريبة يريد إظهارها، ولكنه يخدع نفسه وينكر ذلك، ثم تراه يقدم على تناول مخدر، ثم تراه يذهب ويمارس ما يشاء. حتى إذا انكشف يقول "والله لا أدري، لقد كنت تحت تأثير المسكر" وبالطبع المغفلين من الناس يقولون له "نعم، نعم، أنت كنت سكران مرفوع عنك القلم". أوَ يظن هؤلاء أن هذه الرغبة من أين جاءته، من عالم الجن ؟ لقد كانت فيه مكبوتة، وحارسها شديد. والمخدر أعطاه مخرج، كالمخرج القانوني للمجرم، حتى يتعذر به عندما يقدم على فعل "ينقص من هيبته أو دينه" في نظر نفسه ونظر الناس.

وكذلك العقائد والأديان. فمثلاً وكنا اطلعت اليوم على قصة في دين الإسلام في نسخة الأحاديث السنّية تبين هذه النقطة بجلاء. يقال أن الصحابة أصابوا سبي في إحدى المعارك، وكن نساء متزوجات. فيزعم الراوي أنهم تحرجوا من مجامعتهم لكونهم متزوجات. فذهبوا إلى الرسول عليه السلام فنزلت آية "والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم" فيقول الراوي "فاستحللناهن". وهذه من الأمثلة الجميلة حقاً. فهذا الراوي يريد أن يقنعنا بأنهم لم تكن لديهم رغبة في ممارسة الجنس مع السبايا بحجة أنهن متزوجات. ولعله محق إذ هذا من آثار المروءة والخلق الحسن. على الأقل عند العرب. أو أكثرهم. ولكن لما "نزلت" آية، ذهب هذا الحرج وراحوا يضاجعون نساء متزوجات ! ولعلهم رأوا ذلك من النصر المبين. أيا كان. فهؤلاء أرادوا أن يجامعونهن ولكن أرادوا مبرر "الوحي" حتى يغلب قيم "المجتمع" التي تنكر ذلك، أما على المستوى "الشخصي" فالإنسان يريد أن يحقق رغباته ولو سيدمر كل العالم. ولا يمنع الإنسان إلا قوة المجتمع أو قوة العقيدة في نفسه أي قوة الله. فإذا لم يخش المجتمع أو كانت قيم المجتمع توافق رغبته، وإذا أعطاه الوحي الضوء الأخضر، فعندها لا مروءة ولا يحزنون. وهذا الراوي وأصحابه إذا رجعوا إلى بيوتهم ووجدوا زوجاتهم مع رجال آخرين فأغلب الظن أنه سيسعى لإقامة الحد على هذا الرجل الذي لا يستحي من الزنا بامرأة متزوجة ! لعنه الله من عديم المروءة ! وهذا هو حال كل الناس إذا توفرت لهم نفس الشروط.

وهذا هو السر وراء جموح الأثرياء والأمراء في شهواتهم بلا رقيب ولا حسيب. لأنهم لا يخشون المجتمع إذ هم حكامه. ولا يخشون مخالفة الوحي لأن شيوخ الوحي عبيد لهم يحللون لهم ما يشاؤون. هذا إن كانوا يعتقدون في الوحي أصلاً. فمنهج الحراس عند هؤلاء مغاير تماماً لمنهج حراس العوام والمتوسطين. خاصة أن هؤلاء العوام والمتوسطين كثيراً ما يكون الوحي متسلط عليهم. وليس الوحي بصيغته النفسية ولكن بصيغة الشيوخ وخرافاتهم وعبثهم فيه كما تهوى

أنفسهم وأنفس أربابهم من الأمراء والأثرياء. فمثلاً لو سأل أحد العوام فقيهاً من هؤلاء: يا سيدي الشيخ إني أشتهي أن أمارس الجنس مع صبي صغير وهو راض فهو يجوز؟ فإن هذا سيلقى تقريعاً شديداً من الفقيه الرباني الذي يتقي الله وعذاب الآخرة أجارنا الله منها. ولكن نفس هذا الفقيه إذا قال له السلطان أو الثري الذي يغدق عليه الأموال ليفتي له بما يشاء فإنه سيقول على أغلب الظن: إن الله أجاز لكل إنسان أن يفعل ما يشاء في نفسه إذ هو يملكها بحسب قول موسى "رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي" فأثبت لنفسه ملك نفسه، فله أن يتصرف بها كما يشاء، وأثبت أنه يملك نفس أخيه لأن أخيه رضي بأن يسلمه نفسه. وبناء على هذا فإنك إن وجدت صبياً يرضى بأن يسلمك نفسه فلا بأس عليك وعليه. ولكن رفقاً به. وبارك الله في ليلتكما. والله أعلم.

٢-وباعتبار آخر يوجد ثلاث حراس. حارس قيم المجتمع. وحارس القيم الشخصية. وحارس قيم الوحي. وكلما أراد الإنسان شيء قام له هؤلاء الثلاثة إما بالموافقة فيعبر، وإما بالمخالفة فعليه أن يقنعهم أو يخدرهم أو يقتلهم. ولكل قيمة حارس. والجدال قتال. وعادة ما يكون أقوى الحراس هم حراس الوحي. ولذلك كلما تعمق الإنسان في شؤون الوحي، كلما استطاع أن يحوره أو يحرفه كما يشاء. مع اعتقاده الجازم أنه على صراط مستقيم. وهذا عمل فقهاء الأثرياء. إذ يدفع لهم الأثرياء حتى يتفرغوا للتبحر في المعارف الدينية حتى يستطيعوا أن يحللوا لهم ما يشاؤون. وأما قيم المجتمع فهين أمرها، إذ يمكن أن يسعى الإنسان في السر، أو إذا كان من أصحاب النفوذ فلا يبالي. ولكن عند أغلبية الناس، بل عند أكثر الناس مطلقاً فإن قيم المجتمع هي الأقوى. إذ كم من وحي تحرف لصالح خشية الناس وأقوالهم. وأما القيم الشخصية فكما أنك أنت الذي خلقتها فتستطيع في أي وقت أن تغيرها أو تلغيها بالكامل أو توقف عمليها لمدة ثم ترجعها.

فإذن يظهر أن حراس قيم المجتمع هم الأقوى في نهاية المطاف، وينافسهم في القوة أحياناً حراس قيم الوحي، ويأتي في نهاية السلم حراس القيم الشخصية، فهؤلاء هم أعز أصحاب الأفكار المكبوتة، ولو كان الأمر لهم لسمحوا لكل المنتظرين أن يقابلوا الملك. ولذلك يسعى المجتمع والوحي غالباً إلى قتل "الأنانية" و "الآراء الشخصية" في الإنسان. إذ هو أعدى أعداءهم. وكلهم يهدده بالخزي والعار وجهنم وبئس المصير إذا رجع إلى رغباته الشخصية التي تمليها طبيعته التي خلقه الله عليها. المجتمع والوحي يعملون على قتل النفس. وتحويلها إلى طينة ليعجنها أرباب المجتمع والدين كما يشاؤون. ولعل هذا هو سر "خلق الإنسان من طين" عند أهل الأديان. هم يريدونه طينة فبدل أن يواجهوه بذلك جعلوا أصله طينة حتى يصير عملهم أسهل. حقاً إنهم عباقرة ! وحقاً يستحقوا التقدير ! ولكن ماذا سيحصل إلى عرف أكثر الناس ذلك ؟ أغلب الظن أنهم سيشنقون آخر نظام اجتماعي بأمعاء آخر شيخ !

اجعل بيتك مملكتك. وافعل ما تشاء فيه. هذا هو أسلم طريق للحياة على الأرض. وذلك لأسباب أذكرها هنا :
أما القيم الشخصية فكما قلنا أنك تستطيع أن تغيرها لأنك ربها. وأما قيم الوحي فإذا عارضت لك رغبة فيمكنك أن تسكتها بالعلم بشؤون الوحي بعمق أو تقول "إن الله خلقن وهذا من آثار

خلقه. والله قد أحسن كل شيء خلقه". وأما قيم المجتمع فطالما أنك لا تؤذي أحداً، فيمكنك أن تفعل ما تشاء ولا تبالي بأحد. ثم على الناس أن يسعوا إلى إصدار قانون يحمي حق كل إنسان أن يفعل في بيته ما يشاء على الإطلاق، حتى إذا أراد أن يدعوا الناس إلى ذلك. فللناس حرية اختيار الاتيان من عدمه. ولا شأن لأحد بالتدخّل. وهذا في الحقيقة واقع إلى حد ما، خاصة في الدول التي تحترم نفسية الإنسان. ولكن أقول ذلك خاصة للعرب الذين انمحقت نفسيتهم في جهنم الكبت والغباء الصرف. اعمل للمجتمع لكي تأخذ معيشتك ثم لا تبالي بأحد، فما أكثر الناس ولو حرصت بسامعين أو منتفعين. فلا تذهب نفسك عليهم حسرات. فلعمرك إنهم في سكرتهم يعمهون.

٣-فعليك إن أردت الراحة والرقي أن تعي وجود الحراس فيك. ثم تتحرر من سلطتهم عليك. وتستبدلهم بحراس آخرين أذكى وأحسن وأحب لك من القدماء الذين يغلب أنك لم تختارهم بل هم من مخلفات المجتمع فيك منذ الصغر والملاحظات اللاشعورية للحوادث حتى يومك هذا.

وإياك أن تحسب أن شعورك بالألم ناتج من "حقيقة مطلقة" أو أي شيء من هذه الخرافات التي وضعها فيك الذين يريدون استعبادك لهواهم. افعل ما تشاء ولا تؤذ أحداً رغماً عنه. والسلام.

....

(تأويل الذي لا يتكلم وكأنه أخرس)

١-يمر علينا أناس معروفين بالصمت. وحتى إذا تكلموا فجوابهم قصير وبارد وبصوت منخفض وأحياناً لا تكاد تسمعه. وبالطبع لا أقصد المفكّر المتعمق أو الروحاني المتأله، لأن هؤلاء صمتهم طويل ولكن كلامهم عميق وإذا أراد أن ينطلق في الحديث فتراه كالمطر الغزير. فكلامهم متناسب مع صمتهم. لا نقصد هؤلاء. ولكن أناس صامتين وحتى إذا تكلموا فيميلون إلى العمومية والسطحية، والغباء في كثير من الأحيان. أظن أن الفكرة قد وصلت لك أيها السامع العزيز.

٢-وتساؤلي هو: ما هو السبب وراء صمتهم هذا؟ تعالوا ننظر.

ما الغاية من وراء الصمت؟ هو عدم كشف ما يدور في باطن النفس. فهو مثل دخول غرفة وإغلاق بابها. الصمت هو إغلاق الباب أو الستائر حتى لا يرى أحد ما يدور في الغرفة. فالصمت نوع من العزلة. وبذلك نستنبط أن الصامت يخفي أسراراً في باطنه. وهذه الأسرار ليست لاشعورية، ولكن الجزء الأكبر منها شعوري يعي حضوره. فكل الناس تحوي أسراراً في باطنها لا ترغب أن يطلع عليها أحد. ولكن الفرق أن هذا الذي نسميه الصامت يعي حضور هذه الأسرار، فهي لم تنكبت كلها في اللاشعور. فمن شدة قوتها فإنه لم يستطع أن يغلبها ويخفيها في اللاشعور، ويمارس عليها أنواع العمليات النفسية التي تغطي وتحول هذا المكبوت، وتجعل حتى الإنسان الكابت نفسه لا يعي وجودها في نفسه. الصامت ليس مجرد كابت، بل يبتعد عن الكابت بمراحل. فهو بصمته يكبت ليل نهار. ولكن يوجد دوافع أخرى تبقي الأمر الذي يزعجه حاضراً في وعيه. ثم بعد فترة يعتاد حياة الصمت. فتتحول إلى طبيعة له. فتسري عليها الأحكام النفسية للطبيعة.

وراء كل صمت سر. كلما ازداد الصمت كلما دل ذلك على فداحة هذا السر، على الأقل بالنسبة للصامت. فالصامت ليس حليم ولا عبقري ولا متأله. لكنه يخاف. يخاف أن يعلن ولو بالخطأ عن ما في نفسه. لعلها على الأغلب ذكرى، فتأثير الذكريات قوي جداً على النفس بشكل عام. فالخوف والصمت وجهان لعملة واحدة.

ونلاحظ كذلك أن الخجل يغلب على الصامت. وقد نسميه الجبن بدل الخجل. ولعل الخجل والجبن أيضاً وجهان لعملة واحدة. فالجبن من نتائج الخوف ولذلك لا نفرده بالنظر. وما يسترعي اهتمامنا هو الخجل. وجود الخجل دليل على أن السر وراء الصمت فيه شيء أو هو شيء يخدش الحياء، أي فيه شيء جنسي.

ولو كان الصامت هو الذي ارتكب الفعل الجنسي هذا فأغلب الظن أنه لن يخجل وتتولد عنده هذه الحالة، بل العكس لشعر بقوة ولتولدت فيه مشاعر الجرأة. ولكن وجود عامل الخوف والخجل دليل على أن الصامت قد مورس عليه فعل جنسي ما. فعل يذله وكما يقال "يكسر عينه". وحيث إنه ذكرى فإنه لا يستطيع أن يغير ما وقع فعلاً، وفي وسط حيرته هذه التي لا مخرج منها إلا بإقرار الواقع والمضي في الحياة والتحرر من الذاكرة التي هي مجرد حفظ لصور في العقل، ولكن

الصامت لم يفعل هذا لأسباب تختلف من شخص لآخر. فهو يرى أن هذه الذكرى يمكن أن تظهر على فلتات لسانه إذا رفع سور الرقابة الذي يفرضه على نفسه خشية من هروب الذكرى وخروجها إلى الناس، وحيث إن مراقبة كل كلمة وردة فعل هو أمر صعب جداً جداً، فإن أسهل طريقة هي ضرب حاجز الصمت دائماً. وبالتالي يرتاح من مراقبة نفسه بتلك الطريقة الشاقة المستحيلة.

ولذلك سنرى أن كل ما من شأنه أن يحرر الأفكار سيكون مرفوضاً من قبل الصامت. فتغلب عليه البلادة والبرودة. لأن هذه هي أحسن طريقة لحراسة الذكريات من الظهور.

فكقاعدة عامة يمكن أن نقرر بأن الصامت هو شخص مورس عليه فعل جنسي يراه المجتمع مذلاً ومخزياً. والعكس أيضاً صحيح في بعض الأحيان وجود الشخص الذي لا يتوقف عن الكلام ولا يسمع لأحد بأن ينهي كلامه ويقاطع كثيراً. فهذا لا يرغب أن "يدخل فيه" شيء. ولذلك لا يستمع للآخرين. وهذا الفعل تحويل للرغبة الأصلية والتي هي "دخول شيء" فيه من قبل. أي أنه قد مورس عليه فعل جنسي، بإرادته أو ضد إرادته، من قبل. وهو الآن نادم على فعلته تلك إلى حد ما. وقد أخذ على نفسه عهداً بأن لا يسمح لشيء أن "يدخل فيه".

فكلا الصامت والمهذار قد مورس عليهم فعل جنسي لم يستطيعوا التعايش معه. أي لم يستطيعوا تقبل ذلك كواقع ولم يروا إمكانية تغيير حياتهم ويعتبرون الماضي جزء لا ينفصل عن ذاتهم، فإذا أرادوا أن ينفصلوا عنه شعروا وكأنهم يقتلون جزءاً منهم كأن يبتروا عضواً من أعضائهم. وهذا أمر مكروه. ولذلك يختاروا أن يستروه، أي يستروا هذا العضو القبيح، كالسمين الذي يغطي بطنه بالملابس حتى إذا كان في البحر. الصامت يستر سره بالصمت الطويل، والمهذار يستر سره بالكلام الكثير.

وأقول "فعل جنسي" لأن أي فعل آخر يمكن أن يكون في الغالب أمر يجوز البوح به. فمثلاً الذي يسرق من أهله عندما كان صغيراً يمكن أن يكبر ويحكي هذا على سبيل التندر والضحك. ولكن الذي يتم اغتصابه عندما كان صغيراً لن يتندر بذلك أبداً ! نعم قد يكون السر غير جنسي. ولكن أنا أقرر هنا القاعدة العامة. فكفرضية بداءية نقول أن الصامت والمهذار يستر فعل جنسي وغالباً يكون قد مورس عليه. ثم نحلل وندرس كل حالة على حدى. العالم النفسي لا يمكن أن يقبل عقله صخور ثابتة لا تتغير بشكل عام، خاصة في ما يتعلق بعلم الأسباب.

....

(أقوى علاقة)

الأب يتبرأ من ابنه، والابن يتبرأ من أبيه. العلاقة الوحيدة في هذا العالم هي بين الأم وابنها. فإذا جاءت بأكثر من ابن فإن حب الصراع والقتال سيكون في الأبناء إذ كل واحد يريد أمه لنفسه. فإذا يئسوا من ذلك يئسوا من العالم. واليائس يفعل أي شيء.

يولد الإنسان مغموراً في عالم الجسم. ولذلك تتشكل رغباته بناء على عالم الجسم. ويعشق أمه لأنها المكان الذي جاء به، فرغبته في العودة في داخلها تستهويه. لأنه بعد أن قرر النزول بسبب طغيانه على الله تمنى أن يكون لم يتخذ هذا القرار. وللأسف الباب فيه مدخل إلى الدنيا بدون مخرج للعودة. وبما أنه لا يستطيع أن يدخل كل جسمه في بطن أمه، فإنه ينظر في ما يمكن إدخاله. وهو ذكره. ومن هنا تنشأ الرغبة في نكاح الأم وأيضاً رغبة الرجل في ذكر كبير. لأنه يريد أن يصل إلى الرحم حيث تكوّن جسمه، وأيضاً يريد أن يعذب الفرج الذي تسبب في عذابه في الجسم، وكأنه يعتقد بأنه إذا اتصل بمحل النزول سيصعد. وأيضاً يريد الانتقام من أمه. ولما يكتشف لاحقاً بأن الأم مجرد حامل والملقح هو الأب يبدأ بكره الأب. ومن باب ابق عدوك قريب جداً منك فإنه يقوم بتقليده، ويعمل على الحفاظ على رضاه. الحفاظ على رضا الأب ! يا لها من فكرة غبية غير واقعية. أترى إبراهيم كان يسعى ليرضى أبيه لما أنزل عليه الشهب الصاعقة الحارقة كما في سورة مريم. أترى إبراهيم كان يسعى لرضا أبيه لما قال له "أف لكم ولما تعبدون من دون الله". أترى إبراهيم كان يسعى لرضا أبيه لما اعتزل أبيه وقومه. فكرة غبية اخترعها الآباء ليسيطروا على الأبناء ويستعبدوهم.

أصلاً، الأب الذي ينجب هو أب حاقد. يحقد على النفوس التي ما زالت في السماء، إذ هو قد طرد منها لطغيانه على الله، فيقوم انتقاماً بالسعي للإنجاب، أي تكوين أجسام لتملأها النفوس. وماذا يكون السبب غير هذا؟ أترى العالم الأرضي جنة نعيم حتى يسعى لجلب الأبناء لها. الوالد أول حاقد. ومن فرط حقده يقوم بأمرين: يمنع اتصال ابنه بأمه حتى يظل الابن في حيرة من أمره طول عمره. ويسعى للتكاثر في الأولاد حتى يتقاتل الأولاد وتنشأ الحروب في الأرض. ومن فرط خشية الأبناء من الأب والشرايع الاجتماعية الآبائية يقوم بانكار شهوته تجاه أمه، والتي هي شهوة ليست من أصل بهيمي كما يعتقد المغفلون، ولكن شهوة من أصل روحاني، وجذرها الندم على الطغيان على الله. وتحقيق هذه الشهوة سيدع قلب الابن تجاه الله حيث إنه يكون قد اعتبر تمكنه من الوصول إلى رحم أمه دليلاً على قبول توبته. ولما منع الآباء الأبناء من هذا العمل، لأنهم هم بدورهم تدفعهم آباءهم فعملهم انتقامي، ظهرت الأديان لتزعم أنه يوجد طريق آخر إذا سلكه الإنسان يكون عمله دليل على أن الله قد قبل توبته. بعض الأديان تم اختراعها من رجال مكبوتين لاشعورياً، وأخرى من رجال يعرفون وجود هذا الكبت في الناس فقاموا بالعزف على الوتر الحساس. ألا يستدعي انتباهك أنه لا يوجد دين ابتكرته أو "جاءت به" امرأة؟ حتى القرءان يقول "وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم". لا يمكن لرجل تحرر من كبت شهوته تجاه أمه أن يأتي بدين أو يقبل بدين. بل أكثر من هذا: يجب أن يكون لم يمر بمرحلة الكبت أصلاً. فلو كبت ولو

لبضع أيام فإن العقدة ستنشأ. وبالتالي سيخاف من انقطاع الآلام عنه، وعندها سيلجأ إلى تحويل الأم والاتصال بها إلى عمل آخر، سميه صلاة، سميه دراسة، سميه ما شئت.

لماذا قبلت المرأة أن ينكحها الرجل لتأتي بولد ؟ لأن الرجل لم يكن سيطعمها إلا إذا فتحت له فرجها. إذ الرجل كما هو معروف هو الذي يصيد ويحمي ويعيل. فكل النساء عاهرات في أصل تكوينهن. والجميل في الأمر أن هذه الظاهرة لا زالت مستمرة إلى يومنا هذا. فكما نرى الرجل الأكثر مالاً، والأكثر قوة جسمانياً، هؤلاء هم الذين يحظون بكل الفروج التي يشاؤونها. "سنريهم ءاياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق". فالمرأة عاهرة جوهرياً.

فالوالد فاسد حاقد، والوالدة أنانية عاهرة، والابن هو النتاج العفن. هذه الحقيقة هي أهم وأكبر وأصدق حقيقة على الأرض. ولذلك لا أحد يرغب في الاقرار بها. من الذي سيقر بالحق، الوالد الفاسد، أم الوالدة العاهرة، أم الابن العفن؟ "قل كل يعمل على شاكلته".

قد تسأل: قد عرفنا سبب حقد الوالد، وسبب عهر الوالدة، ولكن ما سبب عفن الابن؟ عفانته أنه طغى على الله ونزل إلى الأرض. هل هبط آدم لأنه كان عبداً شكوراً أن لأنه عاصياً حقيراً ؟ أظن أن الأمر قد ظهر وهيمن.

إذا كان الوالد لم ينجب إلا ابن واحد فعندها قد يصل الابن إلى أم في فترة غيابه. ولذلك وجد الختان. هو تهديد من الوالد بأنه سيقطع ذكر ابنه. والابن عندما يكبر ويرى أن جزء من ذكره مقطوع يقول في نفسه ولو لاشعورياً "كما أن والدي استطاع أن يقطع هذا الجزء فهو يستطيع أن يقطع الجزء الباقي". وبهذا يبدأ خوف أو كما يسمّيه الأغبياء "احترام" الابن للأب. وحتى تسمية الابن، وجعله يتكلم لغة معينة، ويعتقد أمور معينة حتى لو كانت الالحاد، باختصار كل نوع من أنواع فرض قرار على الابن وهو صغير عاجز هو مظهر من مظاهر الختان. فالجوهر واحد. وهو أن يشعر الابن بأنه ضعيف ومستكين أمام أبيه. وعندما يعتاد الابن على هذا الأمر، خاصة وإن الكثير من السنين يقضيها في الطفولة وشبابه الصبياني وهو تحت الحكم المطلق للوالد أو الأب.

فكيف يتخلص الأب من هذه الندية بينه وبين ابنه؟ أحسن وسيلة هي أن يخلق لابنه أناس ينشغل بمعاداتهم عن معاداته. ومن هنا جاءت فكرة التكاثر في الأولاد. ومن هنا جاءت العادة التي تعظم الرجل كلما ازداد عدد أبناءه. فهذه تعتبر فحولية عظيمة، بالرغم من أن الحيوان المنوي الواحد يحوي ملايين الأبناء، فلا يوجد أي عظمة شخصية في جسمه أو كيان الأب. فهذا يدل أن السبب غير ذلك. وهو ما قلناه.

فالغاية من التكاثر في الأولاد وهي نفس غاية الحكومات القائلة "فرق تسد". و"اخلق عدو لعدوك تنجو منه، بل قد تجعله يضطر إلى التحالف معك" وهذا هو ما يحصل عندما ترى الأبناء يحبون الأب ويلتفون حوله. بالرغم من أنه لا يوجد الكثير من الأسباب التي تبرر ذلك، بل بالعكس قد

توجد الكثير من الأسباب الظاهرة التي تجعلهم يكرهونه. ومع ذلك نراهم يحبونه. ما السر؟ هو ما قلناه. كلهم يحاول أن يتحالف مع الأب ليهزم أخوه. وهكذا ترى الأب فرحان بالتفاف أبنائه حوله. ثم يعمل على السلام بينهم قدر استطاعته.

ومعلوم أن الرغبة إذا لم تجد اشباعاً بعد فترة معينة فانها تنتكس. وتتحول إلى رغبة أخرى. ويصبح الشخص نفسه ينكر أنه كان يحوي الرغبة الأولى في يوم من الأيام. أي قراءة هذه القاعدة جيداً لأنها تنطبق عليك. كل ابن كان يرغب في أمه. ولعله بل من المؤكد أنه حلم بها وأنه قد جامعها وقد تحققت رغبته فيها. ولكن مع الكبت والتخويف والتحويل ومرور الزمن يقوم بحجب هذه الرغبة برغبة أخرى. وبذلك ينسى وجود الرغبة الأولى الأصلية. والنتيجة أنه عندما يقرأ مثل هذا الكلام يزعم أنه كله خاطىء وخارج من عقل مريض نفسي. والملاحظ أن ردة الفعل إنما تكون غاضبة أو سخرية زائدة يصاحبها تزلزل في قلب السامع. وهذا وحده دليل على أنه لاشعورياً يوجد أمر يحاول أمر يخفيه. لو جاءنا أحد وقال "٥+٥=٧٢" لن يغضب ولن تسخر منه بحدة. ولن تتزلزل قلوبنا ونتهرب من سما ع رأيه. لا. ولكن قد تعرض عنه بالكلية ونعتبره كلام سخيف بالمرة يجب أن لا نضيع وقتنا بالالتفات إليه أصلاً. فلو كان الكلام الذي قلناه سخيف وباطل قطعاً فلماذا التشنج والتوتر والهروب واحمرار الوجه والغضب ومنع شر مثل هذه الأفكار التي لا تفعل أكثر من أن تذكر الناس بالواقع. واقع أفعالهم تناقض مزاعم ألسنتهم. واللاشعور يظهر في الأفعال أوضح مما يظهر في الألسنة وأسرع.

وأما الأمهات فيتملكهم الندم والشعور بالذنب من أول يوم حياتهم البائسة. تشعر أنها عاهرة يجب أن تبيع جسمها للدافع الأكبر. وهذا يجعلها تشعر بالنقص والدونية عن الرجل. ثم إذا جاَء وقت فتح فرجها لكي يلقح الذكرفيها حيوانه الانتقامي، بعد ذلك تبدأ تشعر بالذنب كونها تسببت في عذاب هذا المسكين. وتشعر بالندم مثل الندم الذي يشعر به الإنسان بعد أن يقتل إنساناً في فورة غضبه ثم يهدأ. كذلك هذه المرأة خافت على جسمها من الموت، فأرادت الطعام والأمن، ماذا تفعل؟ في فورة الخوف هذه، وبعد تراكم الخوف وكبته، تقوم بالعمل المخزي. ولذلك تشعر بالاكتئاب بعد الولادة. ولذلك نسبة الأمراض النفسية تزيد عند النساء. ومن بعد ذلك يتملكها الشعور بالذنب الذي تسعى أن تكفر طول حياتهاعن طريق حب أبناءها وتربيتهم.

والطبع هذا ليس السيناريو الوحيد. فنوع آخر من النساء تفتح فرجها للرجل ثم بعد أن تنجب تلقي الابن عند المزبلة ! وهذه الظاهرة المنتشرة بصورها المختلفة تدل أن "حب الأم لابنها ليس شيء "مقدس" أو "طبيعي" كما يزعم البعض. لو كان طبيعي لوجدنا كل أم تتعلق بابنها. هل سمعتم أو رأيتم قطة تترك أبناءها في مزبلة وتذهب؟ هذا معنى طبيعي. وأما مقدس فندعه لأصحاب العقول "المقدسة" ليقتاتوا عليه. المستهترة لا تبالي بأبناءها ويغلب عليها عدم الاهتمام بفكرة "الشعور بالذنب". فهذه الأم عاهرة من الطراز الرفيع. وأما الأم التي تهتم بأبناءها فعاهرة من الطراز المحترم. وقد تكون المسكينة تحت ضغط ضرورة المعيشة والأمن فلم تجد بدا من رفع ساقيها للطاغية ليخصبها. وإذا حللنا بدقة سيرة أي امرأة من الطراز المحترم سنرى الكثير الكثير من العلامات التي تدل على أن استهتارها مكبوت. فهو يشرق ويغرب كل حين وحين.

فالعاهرة المحترمة هي عاهرة رفيعة كابتة. ومعلوم أن كل كبت سينفجر عاجلاً أو آجلاً. وسيتطاير منه الشرر اليوم أو غداً، هنا أو هناك.

وأما الابن العفن، فيقضي حياته في محاربة والده، أو محاربة إخوته. وإذ نظرت إلى أي إنسان على وجه الأرض سترى أنه يخضع لهذه القاعدة لا محالة. وبالطبع تحتاج أن تحلل كل تاريخه في كل أيامه في كل أفكاره وأعماله. وحيث إن هذا متعذر، كل ما عندك لتعرض مصداقية هذا الأمر هو نفسك. انظر في نفسك. وسترى هذا واضحاً. واعلم أن كل منافسة مع أي إنسان هي من "محاربة الإخوة"، وكل منافسة في الأديان، والاحاد ضمنياً، هي من "محاربة الوالد". والتحويل والنقل والتكثيف يلعبون دوراً كبيراً هنا. فيحول محاربة والده الطبيعي إلى محاربة والده السماوي، أو أستاذه في الجامعة، وكل أنواع السلطة مهما تشكلت. ومحاربة الإخوة هي كل منافسة يسعى فيها للتغلب على الناس أيا كانت هذه المنافسة، فكري أو جسماني وأي شيء.

يحارب والده لأنه يحجبه عن أمه. أو انتقاماً منه على (خلقه) ويحارب إخوته ليفوز باهتمام أمه، أو كونهم معه في درجة واحدة. ومعلوم أن نفس الإنسان هي من نفس الله الواحد القهار الذي لا يرضى بوجود غيره. ولذلك إذا لم ير الأبناء أمهم فقط، وتربوا مع رجال فقط، فيوجد احتمال أكبر ليكونوا مسالمين لبعضهم البعض. ولكن إذا وجدت امرأة انشحذت الذكور وبدأت الحرب.

فما هو الأسلم في كل هذا الأمر؟ أن لا ينجب أحد. حتى ينقضي النسل من الأرض. ولو كان ولابد فيجب أن تنجب المرأة ذكراً واحداً فقط. وتجعله عشيقها الوحيد ويختفي الأب تماماً من الصورة بل ولا يعرف من هو أصلاً حتى لا يغار منه ويسعى لقتله وهذا يولد العنف.

هل هذا الحل ممكناً؟ إذا لم يقم به الناس طوعاً، فسيدمر الناس بعضهم بعضاً كرهاً. "فذكّر إنما أنت مذكّر. لست عليهم بمصيطر". والحمد لله.

....

(الشهوة الجنسية عند الأطفال)

١-يقول الكتاب "يأيها الذين ءامنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها. فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا" وَيقول "واللائي يئسن من المحيض من نساءكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن. وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملن. ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا". وَيقول "فما استمتعم به منهن فأتوهن أجورهن فريضة". ويقول "خلق الزوجين الذكر والأنثى".

٢-نلاحظ أنه يقول على "اللائي لم يحضن" وهي الفتاة التي لم تبلغ سن الحيض، وهذا يشمل عمر الفتاة منذ ولادتها إلى أن تبدأ تحيض، وبالمعدل يمكن أن نقول من سن يوم إلى سن التاسعة مثلاً. هذه الفتاة يحكم لها الكتاب بأنها عليها أن تعتد ثلاثة أشهر. ومعلوم أن العدة لا تكون إلا على الزوجة التي دخل عليها زوجها، "من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها" وهذا يعني أن الكتاب يجيز نكاح الفتاة من يوم ولادتها إلى أن تموت. وهذا أمر عجيب. وما يهمني هنا هو الفترة التي لا تبلغ بها الفتاة سن المحيض. وهي الفترة التي اعتاد الناس أن الفتاة لا تملك أي مؤهلات للنكاح. فتعالوا نكمل.

الآن وصلنا إلى أن الفتاة يجوز أن تنكح قبل بلوغها المحيض. وبما أن الله لا يحكم إلا بما ينفع الناس، والامداد بحسب الاستعداد، فهذا يعني أن الفتاة تملك الاستعداد النفسي للمتعة الجنسية "فما استمتعم به منهن". وبما أنها لا تستطيع أن تحمل في هذه الفترة، فهذا يعني أن الشهوة والنكاح لم يخلقا أو يوجدا فقط للتناسل، بل إن الأولوية هي للاستمتاع بالشهوة والتواصل. فالتواصل قبل وأهم من التناسل.

ولا يوجد أي دليل أو عقبة تقف أمام أن نستنبط أن الذكر يحوي أيضاً الاستعداد النفسي للمتعة الجنسية منذ ولادته، "خلق الزوجين الذكر والأنثى". فبما أن العضو الجنسي متواجد فعمل العضو ومهمته التي صنع لأجلها أيضاً متواجدة. فرؤيتنا للأعضاء الجنسية عند الذكر والأنثى دليل بحد ذاته على وجود الاستعداد الجنسي في الذكر والأنثى، مثل ما إن وجود الكلية دليل على عملها، ووجود الكبد دليل على عمله. فالعضو لا ينفصل عن عمله. فالشهوة حاضرة في العضو دائماً. نعم، كما أن عمل الكلية يقوى مع كبر الجسم، كذلك عمل الذكر والفرج يكبر مع كبر الجسم. فبساطة الشهوة لا يعني انعدامها بالكلية. وبالطبع أن نحكم على الشهوة بالبساطة هو أمر نسبي لا يعرف إلا بالمقارنة مع شهوة أعقد منها. فأن ننفي وجود الشهوة بسبب بساطتها عند الأطفال هو مثل أن ننفي عمل قلوبهم لأنها بسيطة مقارنة بعمل بطل العالم في رفع الأثقال. هذا حكم غير موضوعي وواقعي أبداً.

ونلاحظ أن الكتاب يعبر عن العمل الجنسي بكلمتين "نكاح" و "لمس". وكلا المعنيين يدل على الجمع بين شيئين واتصالهما برقة ببعضهما البعض. فالعنف الجنسي خلل نفسي. الأصل الأسلم هو "اللمس". الرقة والتواصل، وعكس الرقة واللمس، أي العنف والجبر والسرعة كل هذه

تدل على كبت مسبق واسقاطات وانتقامات وغضب يريد أن يخرج، أو طاقة مختزنة تريد أن تخرج بأسرع وقت ممكن.

واللمس لا ينحصر فقط في الأعضاء السفلى، بل يشكل كل درجات الجسم. فهو جمع كل ما بين الذكر والأنثى على كل المستويات. وكلما ازدادت عدد المناطق الملموسة كلما دل ذلك على جمع أكبر، وبالتالي نكاح أسلح وأرقى وأمتع. ولكن مع ذلك فإن قلب الشهوة الجنسية هو العضو نفسه. أي الذكر والفرج زائد البظر.

أما كون الذكر هو قلب الشهوة عند الذكر فهذا ظاهر لا يحتاج إلى بحث. ولكن أتساءل: أيهما أولى عند الفتاة البظر الخارجي أم الفرج الداخلي؟ أم هما متصلين ولا أولوية لأحدهما على الآخر؟ هذا يحتاج لفتاة أن تجيب عنه حيث إني لا أملك فرجاً ولا بظراً كما هو معلوم، ولكن بما أني لا أجد حولي من الفتيات الآن من يمكن أن تجيبني بصدق وصراحة لحد الوقاحة عن هذا التساؤل، فسأحاول أن أبحث بنفسي وبحسب خبرتي إلى الآن. وإني أميل إلى أن الأصل في شهوة الأنثى هو البظر. وذلك لأسباب عدة: أولاً، لأننا عرفنا أن الشهوة تواصل بحسب الأولوية، والفرج معمول لأنه محل أو مدخل التناسل. وبالتالي أهميته ثانوية. ثانياً، لأن البظر من الفرج مثل رأس الذكر من القضيب، ومعلوم أن رأس الذكر هو المحل الأول للشهوة في العضو الذكري ككل، فبالقياس يكون البظر هو رأس الشهوة عند الأنثى. وثالثاً، وجود السحاقيات اللائي يحببن لمس بظر بعضهن البعض مداعبته، وكون هذا مجلبة لشهوة كبيرة، يدل على أن المرأة قد تستغني إلى حد ما عن إدخال ذكر في فرجها. فقد تكتفي إلى حد ما بوجود امرأة معها تداعب لها بظرها وتلمسه بلطف. ورابعاً، لأن الأصل في استمناء المرأة هو مداعبة البظر، وليس بادخال أشياء في فرجها. فإذا أخذنا هذه الأربعة قرائن بعضها رلى بعض نكون قد أقمنا نظرية جيدة إلى حد ما تجعل الاقرار بأن البظر هو أصل الشهوة عند المرأة أمر مقبول إلى حد ما. نعم إذا فصلنا كل سبب أو قرينة على حدى قد نراها ضعيفة نسبياً، ولكن جمع الأربعة إلى بعضهم البعض يجعل لنا قاعدة حسنة لنقوم عليها.

وبما أن ختن الذكر يؤدي إلى اضعاف الحساسية في الذكر، مما يجعل الذكر لا يستمتع بلمس عضو المرأة إلا إذا أدخل قضيبه في فرجها، أضف إلى ذلك أنه تغيير لخلقة الله، وهو أمر مرفوض في الكتاب، والختن أي قطع اللحم من الذكر غير مذكور ولا مرة في كل كتاب الله، فهذا الأمر القبيح المبتدع شوه الذكور إلى حد كبير وأضعف حساسية الذكر، فإذن يجب أن نمنع هؤلاء الجزارين من بتر ذكور أبناءنا. نعم للأسف نحن بترنا وانتهى الأمر، والعتب على آباءنا السفهاء. ولكن وقع ما وقع، فعلينا أن نمنع وقوعه في المستقبل إن أردنا أسلم الطرق إلى الصحة والرقي. وأما ختن الأنثى فأسوأ بمئة مرة، وأرى أن يجلد الخائن ألف سوط على يده الآثمة. ولعل قطع يده أمر حسن.

ففي الحالة السليمة الربانية، حيث الذكر كامل مرهف الاحساس، والبظر كامل مرهف الاحساس، عندها نستطيع أن نقدر كلمة "لمس" حق قدرها. فحتى الأطفال إذا أرادوا أن تمتعوا

مع بعضهم البعض لن يحتاجوا أن يقوموا بالادخال الكامل، بالرغم من أن هذا أمر سليم ولا بأس فيه، ولكن وجود الأعضاء كاملة سيجعل العلاقة أسهل وأجمل وأرقى وأمتع.

فإذن نخلص إلى هذا: "١/من يوم الولادة وكل ذكر وأنثى تكون عنده الشهوة الجنسية للاستمتاع والتواصل. ٢/ويجب أن تبقى أعضاءهما غير مقطوعة بأي درجة من الدرجات، بل تبقى سليمة كما خلقها الذي أحسن كل شيء خلقه. ٣/ويجب أن يترك الناس منذ صغرهم أن يستمتعوا جنسياً كما يرون بدون أي قيد أو كبت. بل من الأسلم لو نظم الآباء لكل ذكر أنثى، ولكل أنثى ذكر، أي يزوجونهم، ليس بالمعنى التقليدي، ولكن بطريقة تسمح لهم بالتلاقي والاستمتاع مع بعضهم البعض بدون أي رقابة أو كبت أو تهديد من أي نوع طالما أن العمل سليم".

هذه هي الحالة النفسية السليمة، أو الأسلم للناس. وبما أننا قد فرغنا من ذلك، نريد الآن أن نذكر ماذا سيحصل إذا خالفنا أي شيء من الأمور التي خلصنا لها سابقاً. فتعالوا ننظر.

....

(تأويل نحت الذكور الصغيرة للعظماء)

١-لقد استرعى انتباهي شيء غريب عندما كنت أنظر في التماثيل الحجرية والصور التي كان ينحتها الرسامون للآلهة والعظماء والملائكة الكبار، وهذا الشيء هو أنهم كانوا يجعلون لهم ذكور صغيرة إلى حد كأنهم يريدون أن يجعلون خصيان في بعض الأحيان. فإذا كان المنحوت من المفترض أن يكون كاملاً، بدليل أيضاً أنهم يجعلون لهم جسم صغير وجميل في أكثر الأحيان. فلماذا إذا وصلوا إلى الذكر جعلوه صغيراً؟ تعالوا لننظر.

٢-أولاً، هل الكمال أن يكون الذكر كبيراً أم متوسطاً أم صغيراً؟ وبأي معيار سنقيس الكمال؟ بما أننا نبحث في شخصيات إلهية روحانية، فمعيار الكمال هو هذا: كل ما يوصل إلى درجة روحية أعلى فهو أكمل. فعندما نجد أن الرسام يجعل للآلهة ذكور صغيرة فهذا يعني أنه يرى وجود علاقة قوية بين حجم الذكر والرقي الروحي. فما هذه العلاقة؟

الذكر الصغير يعني أن الرجل لن يمارس الجنس أبداً، أو أنه سيخجل من التعري أمام المرأة حتى لا تسخر منه. وعلى كلا الاحتمالين، فالذكر الصغير يدل على قلة أو عدم ممارسة الجنس. وبالتالي، مقدار الطاقة الجنسية، والذي لا يعتمد على حجم الذكر، سيزداد في النفس. ومع الوقت والكبت سيزداد أكثر فأكثر. ونحن نعلم أن الطاقة الجنسية هي من أقوى، أو أقوى الطاقات على الإطلاق،. بل لعلها الطاقة الوحيدة. ونحن نعلم أيضاً أن كل طاقة يجب أن تنفق وتخرج من النفس بعمل. وهذا ضروري وحتمي بغض النظر عن طريقة الاخراج هذه حسنة أم سيئة، منتجة أن مدمرة، خارج النفس أم داخل النفس.

فنستطيع أن نقول بأن العلاقة بين حجم الذكر ومقدار الطاقة النفسية المختزنة هي علاقة عكسية في هذه الحالة. فكلما ازداد الذكر صغراً كلما ازدادت الطاقة بفعل الكبت، اتساعاً وكبراً.

ومن هنا ندرك المصدر الذي يجعل الروحانيين عامة يأتون بأفكار غريبة عجيبة، مدمرة خالقة، عالية وبعيدة عن الواقع الجسماني. فطاقتهم تجد لنفسها مخرجاً بأفعال فكرية معقدة، إذ كلما ازداد الفكر تعقيداً كلما ازدادت حاجته إلى الطاقة، وبأفعال جسمانية صعبة، كالزهد بأشكاله المدمرة للجسم. فكما رأينا، فإن الطاقة الجنسية المختزنة تخلق وتدمر في آن واحد. وأحياناً تتجه طاقة التدمير إلى الخارج، كالحرب والضرب والاستكبار والعنف. فالعنف طاقة جنسية لم تجد لها مخرجاً أرقى، وبذلك تتجمع وتنفجر بالأفعال العنيفة. فالروحاني والطاقة في صف واحد من هذا الاعتبار. ولكن الروحاني يسعى لتفريغ طاقته في نفسه بفكره وخياله. ومن ناحية أخرى، نفهم السر الذي يجعل الروحاني يحب الفتيات الصغيرات. فهو لأنه فرغ من الوصول إلى مقامات خيالية عالية، بل لعله يعتقد أنه وصل إلى أعلى المقامات، ومع ذلك لا يزال حيا على الأرض، ويريد أن يستمتع بجسمه كما يستمتع بقلبه، فعندها يلجأ إلى الفتيرات الصغيرات ذوات الفروج الصغيرة الضيقة حتى يشعر بكبر ذكره عندما يلامسها. إذ الذكر وحجمه هو أمر نسبي. فيوجد من العاهرات من ترى أن ذكر الحمار كالزبيبة من سعة فرجها. والعكس صحيح. ومع وجود

بعض العقد النفسية عند الفتاة الصغيرة وكبت جنسي قوي لها، وكبت اجتماعي يجعلها تنعزل نسبياً، فإن كل هذا سيجعلها ترى الروحاني وذكره الصغير وكأنه حصان أصيل. وبذلك يُرضي غروره ويستمتع.

فهذه من الأمور التي تصيب الروحاني في مقتل. لأن نفسه تتسع بخيالاته الوجودية والنورانية، وبذلك يرضى جوهره الكبريائي، وهو يشعر بجمال الحياة القلبية والخيالية التي يملك أن يفعل فيها ما يشاء، ويغير ما يريد. وإذا به يرجع إلى هذا الجسم ويجد أنه محدود، لا يملك تغييره إلا بقدر معلوم، فيصاب بالاحباط. وهذا الاحباط يولد فيه نزعة تدميرية وغضب ورغبة لاشعورية في الموت وتغيير كل شيء. ولذلك يقول الروحاني أن "الجسم لعنة". لأنه يخرجه من ساحة كبريائه إلى ذلك المحدودية الخارجة عن الإرادة الشخصية. وهذا الكره للجسم ينعكس إلى كره لخالق الجسم. فيقوم بأحد أمرين: إما أن يقول أن خالق الجسم ورب هذا العالم هو الشيطان اللعين. حتى يبرر لنفسه كرهه لخالق عالم الأجسام. وإما أن يقول بأن الله هو الوجود المطلق اللامحدود، وبذلك ينزع عن الله أي صفة شخصية جوهرية كما تصوره فعلاً كتب الأديان. ويحيل الله إلى مفهوم مجرد فلسفي شبيه بالعدم. وهذا انتقاماً من الله لأنه خلق له جسم محدود. هذا على فرض صحة هذه الفكرة بالطبع. فالروحاني ذو الذكر الصغير هو إما يحد الله وينفي عنه أنه رب هذا الجسم وعالم المحدود. وإما أن ينفي ويلحد في أسماء الله حتى يحيله إلى العدم. فالروحاني يكره الله. على عكس ما يظن الواهمون. كلما ازداد الإنسان في الروحانية كلما دل ذلك على كرهه لله. ومن هذا الاعتبار. وهل ابتكار فكرة حياة أخرى إلا انعكاس لكره لهذه الحياة؟ وهل يصح عقلاً أن نكره شيء ونبغضه ومع ذلك نحب صاحبه وخالقه الذي أبدعه؟ هذا كمن يتقيأ من طعام الطباخ ثم مع ذلك يبتسم له ويحمده. هذا نفاق ظاهر. فكرة الحياة وكره الله وجهان لعملة واحدة. واعتقاد بحياة آخرة وكره هذه الحياة أيضاً وجهان لعملة واحدة.

ولعل هذا هو سر العلاقة الذي نبحث عنه. فجعل العظيم بذكر صغير يدل على أن كره هذه الحياة هو طريق العظمة التي هي الاستقلال والبحث عن اللامحدود. فعندما يستيقظ الانسان لواقع محدودية هذه الحياة الجسمانية وخروجها عن سلطان إرادته، فعندها إذا أحسن فإنه سيبحث بدافع كبريائه عن حياة أو حالة غير محدودة، والعظيم هو اللامحدود في أوسع تعريفاته. ومن هنا يقال عن الله "العلي العظيم" لأنه "هو الأول والآخر والظاهر والباطن".

ولأن الذكر هو وسيلة الاتصال بالأنثى. وهذا الاتصال هو الموحد للزوجية، وهذه الوحدة هي سبب الشعور بالاكتمال، إذ الذكر بدون أنثى زوج ناقص، وعندما يكون الذكر صغيراً أو مخصياً يمنعه من الاتصال بالأنثى، فهذا قد يؤدي إلى البحث عن الكمال والاتصال بكائن آخر في بعد غير بعد الجسم. فإما أن هذا البعد الروحاني موجود فعلاً بغض النظر عن خلقنا له، أو أن رغبتنا في وجوده هي التي خلقته، أيا كان، فإن الاستعداد النفسي الباعث على البحث عنه والاتصال به هو كبت جنسي وشعور بالنقص بسبب الجسم.

فلاحظ أن انعدام الوسيلة للشعور بالكمال الزوجي في عالم الجسم يدفع النفس إلى الوصول إلى أو ابتداع عالم آخر حيث تتحقق هذه الرغبة في الاتصال. ومن العجيب أن "الصلاة" هي ركن أساسي في كل دين على وجه الأرض. فهل هذه مصادفة ! ومما يزيد هذا وضوحاً على وضوحه هو أن من الأديان من يصور الملائكة على أنهم إناث، ومنهم من يجعل الإله نفسه أنثى، وأم في بعض الأحيان، ومنهم من يجعل كتابه المقدس أنثى أو امرأة في خيالهم، والحكمة تسمى تسمية الأنثى، والآية تسمى بأنثى، أي الأخت، ومنهم من يجعل في الجنة إناث، وهكذا لعله لا يخلو دين من ذكر الاناث والاتصال بهم على نحو من الأنحاء. ولا أحسب أن هذه الأخرى مصادفة. والأعجب أن كل الأديان جاء بها ذكور. ومن يدري لو كانوا إناث ماذا كانوا سيبتدعون لنا !

قد تنتقد هذه النظرية ويقال : فهل كل روحاني ذكره صغير؟ وهل الروحانيون هم رجال فقط؟ ولماذا تتبع النساء الدين لو كانت الغاية من الدين هي إشباع الشهوة للذكر؟ أقول: هذه النظرية تشرح المسألة من إحدى الزوايا. ولم نقل أن كل روحاني ذكره صغير، بل إن الذكر الصغير بحد ذاته لن يجعل الإنسان يندفع نحو الروحانية، بل قد يدفعه نحو الشذوذ الجنسي وغير ذلك. الأصل أن كره الواقع هو الدافع. والذكر الصغير بحسب هذه النظرية هو من أسباب الاندفاع إلى الروحانية فقط. وضربنا لذلك أمثال وعقلناها.

ونعم ليس كل روحاني رجل. ولكن كم امرأة مبدعة تعرف في العالم وفي تاريخه؟ ادع هذا لك لتجيب عليه. وأما تأويل تعلق النساء بالدين فلهذا مباحث أخرى غير هذا. ولعلنا نبحثه لاحقاً إن شاء الله.

٣-ونظرة أخرى تظهر أن الرسام نفسه كان ذو ذكر صغير. وقام باسقاط ذلك على العظيم الذي يرسمه حتى يجعل الذكر الصغير دليل كمال. بدل ما هو دليل نقص عامة. وهذا كمثل رجل أعور يقوم برسم ملاك أعور، حتى إذا قال له الناس، يا أعور، يرد عليهم: ولكن ألم تسمعوا بأن الملاك الفلاني أعور أيضاً. ومثل هذه الاسقاطات كثيرة وشائعة في الأفكار عامة عند كل الناس، وفي الأديان خاصة. فاذا أراد الناس أن يتحللوا من عيب فيهم ذكروا الذين يعيبونهم بشخص أو كائن عظيم فيه نفس النقص. كمثل ابن جارية يرد على الساخر ويقول: ولكن اسماعيل كان ابن جارية ومنه خرج سيد البشر محمد عليه الصلاة والسلام. وما شابه ذلك من مخارج وحيل.

فمن الناس من يلجأ إلى عظماء يقرّ بهم المجتمع حتى يتخلصوا من عيوبهم. ومن الناس من يمل أن يصنع هذا العظيم كما يشاء، وبالتالي يصفه على هواه وينسب له أي عيب يريد هو شخصياً التبرؤ منه.

فإذا جمعنا النظرية الأولى مع الثانية هذه، سنخرة برؤية واسعة عميقة لهذا الأمر الذي نبحث فيه. فالذكر الصغير واقعة في حياة المبدع، وهي اسقاطه على ابداعه. وهي الدافع إلى البحث عن العظيم اللامحدود.

....

(تأويل الرغبة في الألم)

١- يرى الكثير من الناس أن مبدأ اللذة، الذي هو ضد الألم، هو الذي يحكم حياة الناس، وهو السيد بلا منازع. فكل الحياة النفسية تسعى للحصول على اللذة وتجنب الألم. هذا غير واقعي. فإذا نظرنا في الحياة فعلاً سنرى أن الكثير من الناس، بل لعل أكثر الناس، بل لعل كل الناس تسعى للألم رغبة منها في الحصول على الألم بقصد وبنية مباشرة وليس عن طريق الخطأ. وكعادي لا أحب أن أضرب أمثلة كثيرة ولكني أحسب أن القارئ أو السامع هو من الذين يحبون المعرفة ومراقبة الحياة، فلذلك أفترض فيه معرفة الكثير وأنه تكفيه الاشارة ليتنبه.

وكمثال انظر إلى عدد المدخنين في العالم. ومتعاطي المخدرات القاتلة والمكلفة. والنساء اللاتي يحببن العذاب من الرجال سواء بالمعاملة الفظة أو المجامعة من الدبر. وكمثل بعض الأديان الذين يحبون إقامة مجالس العزاء واللطم والجرح وضرب الجسم بآلات دموية، وكمثل الذين يستمتعون بالضرب وغير ذلك.

لماذا ترغب النفس بالألم؟

٢-الألم تعذيب، والتعذيب يكون للخاطيء. ومن هنا نفهم أن الذي يرغب في الألم يرى نفسه خاطيء ومذنب. ويختلف الناس في سبب حب الألم من هذه النظرة. إذ هذا يكون أخطأ في شيء، ذاك يكون أخطأ في شيء آخر. ولكن مع ذلك، فما الذي خلق الاستعداد الذي سمح له أن يشعر بالرغبة في الألم لأنه أخطأ؟ فالكل يخطيء ولكن ليس الكل يتحول إلى راغب في الألم على نحو واحد. فالذي نبحث عنه هو خالق الاستعداد الأصلي.

إذا رجعنا بالأمر إلى الطفولة حيث يقبل الانسان القيم والتصورات بدون نقد أو مقاومة، وهذا هو سر إرجاع كل شيء إلى الطفولة. فعندها تستطيع أن تتنبأ بوجود أمر خلق الاستعداد في النفس لاستعمال الألم كوسيلة للتكفير عن الخطأ.

وبصورة عامة، نرى أن الناس تنقسم إلى قسمين: منهم من يجلب الألم لجسمه. ومنهم من يجلب الألم لقلبه كالحزن والبكاء. وبما أن الألم القلبي هو بحسب جوهري نفسي لا يطلع عليه الناس، فاذن يميل الذين يؤمنون بإله ينظر إلى قلوبهم إلى التكفير عن خطاياهم بجلب الألم القلبي لأنفسهم. والعكس هم الذين يجلبون الألم لأجسامهم، فهؤلاء يرغبون ولو لاشعورياً أن يرى الناس ألمهم. فنستشف من هذا أن خطيئتهم لها علاقة بالجسم والناس. ويتداخل الأمرين في بعض الناس كذلك.

وحيث إن الشعور بالحياة العقلية لا يبدأ إلا لاحقاً، وفي الطفولة لا يرى الإنسان إلا عالم الأجسام ويتأثر به. فالخطيئة الاجتماعية هي الأولى في الظهور. فالطفل يكون قد فعل أو رغب في أمر محرم معاقب عليه. وبسبب ذلك تولد فيه الخوف من العقاب. ومع تراكم هذا الخوف حتى

الكبر، وبعد أن يشعر أنه خاطىء في صميم وجوده فعندها يرغب في التكفير عن خطيئته القديمة. وبهذا يصبح من الساعين إلى الألم الذي يجلب الشفقة عليهم.

وهذا يظهر أن الرغبة في الألم هي رغبة في جذب الانتباه والشفقة والحنان كذلك. والطفل الذي يرغب في جذب انتباه أمه فإنه يبكي ويصرخ، وعندها تضمه أمه إليها وترضعه. فالرغبة في الألم عودة إلى الطفولة. وهي وسيلة طفولية لكسب الحنان الأمومي. ونحن نعلم أن عودة الذكرى القديمة دليل على عدم تحقق الاشباع منها. وهذه قاعدة عظيمة ينبغي تأملها جيداً. عودة الذكرى القديمة دليل على عدم تحقق الاشباع منها. فلاحظ أنك لا تسترجع كل الذكريات ولكن بعضها فقط. ومن أوقات مختلفة في حياتك. وفجأة تظهر لك صورة موقف معين. أو تفكر في شيء معين. أو تحلم في شخص معين. كل ما يأتي من الماضي هو رغبة لم تتحقق بكاملها بعد. كمثل امرأة تركها زوجها لأنها كانت لا تعامله جيداً، ثم لاحقاً تندم على فعلها وترى أنها كانت مخطئة في حقه، فتبدأ ذكرياتها تلك بمطاردتها والظهور في عقلها كل فترة وفترة. فإذا لم تعش هذه اللحظة بكامل وجودك فإنك ستندم لاحقاً على تقصيرك. كل لحظة في الحياة ترغب في حضورك التام، كمثل المعشوقة ترغب في عاشقها كله. لايمكن أن تتذكر أو تطاردك ذكرى موقف عشته بكامل حضورك. لا يطاردك إلا الناقص. وويل لمن طارده نقص لا يستطيع اكماله ! لاحل أمامه إلا أن يقتله. كيف؟ لا أدري. كن الآن وكفى.

من مصاعب الحياة، أن النفس تعمل بدون أن تحسب حساب الواقع. فهي تحوي الواقع فيها وتعمل على صبغه بلونها وتحرفه كلما شاءت. فهذا الذي يحب الألم لأنه يرغب في شفقة وانتباه الأم قد تكون أمه ماتت، أو أمه غير حاضرة ومع ذلك تبقى النفس تمارس الألم. وفي هذه الحالة التي يفتقد فيها الأصيل يصار إلى البديل. ولعل هذا هو سبب استمراره فهو يرغب في بديل الأم. فهو يرغب في لفت الانتباه والحنان لأنه يريد الاتصال ولمس الآخر بدفء كمثل ما كان يفعل به حينما كان طفلاً.

وهنا ينفتح أمامنا باب يقول: هذا الرجل يرغب أن يتصل بأمه كما كان حينما كان صغيراً وأكثر ولذلك يقوم بممارسة العمل الذي كان يمارسه عندما كان طفلاً لجذب انتباهها. ومن مظاهر تذكر الرجال لأمهاتهم هو أنهم يمصون صدور زوجاتهم ويحبون النوم عليها وإمساكها ويهيجهم منظر صدر المرأة. كل تعلق بصدر المرأة هو بديل لتعلق سابق بصدر الأم المرضعة. فالرجل يرى كل امرأة على أنها بديل لأمه. وعلى هذا الأساس يقيم النساء. مباشرة أو غير مباشرة، حباً وكرهاً. الأم هي معيار الرجل. ولعل هذا هو سر كون الأم في أكثر المجتمعات هي التي تختار الزوجة لابنها. لأن الابن يريد أن ترتبط أمه وزوجه في رباط نفسي واحد. بحيث كلما رأى زوجته استحضر ولوللاشعورياً أمه.

أيكون هذا هو سر كون كلمة "ألم" هي كلمة "أم" ولكن الحرف الأول والأخير مفصولين بحرف حاجز في الوسط! وهذا ما تدل عليه الأبحاث النفسية العميقة. لأن انفصال الابن عن الأم بحاجز المحرمات وغيره هو أول ألم وهو الدافع لحب الألم بكل أشكاله بأحد الاعتبارات. فالابن يسعى

للألم رغبة في الأم. وهذا يفسر العداوة المشهورة بين أم الزوج والزوجة. هذا العداء الشهير الذي طبق الآفاق بصيته. وهذا أيضاً يفسر كره المرأة للرجل المتعلق بأمه بشدة والذي يطيعها في كل أمورها. فالأم ترى الزوجة أيا كانت على أنها سارقة. والزوجة ترى الأم أنها منافسة. والسادق يجب أن تقطع يده والمنافس يجب أن يسجد ليوسف أو يقتل فوراً. وهذا أيضاً يفسّر تعلق الرجل بامرأة أكبر منه. فكم من الرجال الذين يملكون أن يتزوجوا بأي آمرأة تراهم يتعلقون بامرأة كبيرة، ولعلها قبيحة في بعض الأحيان. ويتعجب الناس من ذلك ويحسبون بسذاجتهم أو مكرهم اللاشعوري أن اختيار الرجل مبني على المفاضلة في الجمال. وما هو معيار الجمال أصلاً؟ الرجل الذي يتعلق بامرأة كبيرة هو رجل جيد لأن رغبته ساخرة وعقله اللاشعوري ليس مكبوت بالكلية.

لا يحتاج الذكر أن يحيا سنوات ويرضع من أم حتى يتعلق بها. لقد كان داخلها ومتحداً بها في الأصل. وكل شيء يتفرع عن هذا الأصل الجوهري الذي لا يخلو منه إنسان حي. فحتى الذي لم يرى أمه في حياته، كأن تكون ولدته ثم ماتت فوراً. حتى هذا يكون متعلق جنسياً بها. لأن الجنس، أي العلاقة الجنسية هذ الرغبة في الاتحاد مع الأنثى. والأم هي أول أنثى كان الابن متحداً بها. ولذلك هي أصل كل رغبة جنسية لا أكثر ولا أقل. فإذا أردنا أن نفهم أحسن طريقة لنجاح العلاقة بين الزوجين فيجب أن نفهم بعمق العلاقة بين الجنين وأمه. وكلما كانت الزوجة مثل الأم كلما كان الزوج أحسن. والرجل لا يحتقر امرأة مثل ما يحتقر المرأة التي يكون هو المنفق عليها وحارسها. لأن الأصل أن الأنثى هي التي تطعم الذكر كما في حالة الجسنين وهي التي تحرسه وتدفيه وتحن عليه. ولعل هذا هو سر تسمية الأسد بملك الغابة، لأن اللبوة هي التي تعمل لاعالته وهو لا يتدخل إلا في الضرورة. ماذا تفعل اللبوة؟ تطعم الأسد والأسد يجامعها، حقاً إنه ملك ! وزيادة على ذلك تربي أبناءه. عندما تحولت النساء عن كونهم لبوات تحول الرجال إلى ملاعين. فلا تلوموا إلا أنفسكم وكفوا عن إهانة الرجال والتجريح فيهم. ارجعوا كما كنتم يرجعوا كما كانوا. لا يوجد في هذا الوجود إلا علاقة الأم بالابن. هذا أصل كل شيء. وكل ما سوى ذلك فروع عليه.

فإذن بحسب هذه النظرية، يكون الراغب في الألم يرغب في الحنان الطفولي.

٣-إذا اعتبرنا الألم سبب للموت. فعندها نرى أن الراغب في الألم يملك نزعة انتحارية. كمثل المدخن. تصور أنك رأيت رجل يدخل على مطعم يقول صاحبه "مطبخنا فيه فئران وصراصير وجرذان في الطعام قد يدخل شيء فيه منهم". فهل من الشطط أن نحكم على هذا الرجل أنه يرغب في أكل الفئران والصراصير والجرذان؟ لا. وصاحب المطعم ليس من مصلحته أن يعترف بوجود هذه الأوساخ في طعامه . لذلك علينا أن نصدقه كامل التصديق. وكذلك إذا نظرت إلى علب السجائر ترى أنها تقول "التدخين يقتل" ومع ذلك يدخن الناس. فالمدخن يريد أن يموت بطريقة بطيئة ومؤلمة. وهكذا في كل عمل يؤدي إلى ألم مميت عاجلاً أم آجلاً نستطيع أن نعرف أن الشخص يريد أن يموت. وأما لماذا يريد أن يموت فهذا كالعادة يختلف من شخص لآخر. ولكن إذا رجعنا إلى أصل كل شيء، أي علاقة الأم بالابن، فلو كان ذكراً نستطيع أن نقول أنه لا يتحمل

الحياة بدون الاتصال بأمه. وأما البنت فانها ترغب في أن تكون أم وتتصل بابنها. الأنثى غير الأم تشعر بفراغ في نفسها وهذا الفراغ قاتل، ولذلك تميل النساء إلى الكآبة والغم والهم، إذ الألم وسيلة رائعة لتفريغ الطاقة وشغل النفس. والأنثى الأم التي منعت من الاتصال بابنها كما تشاء وغريزتها الجوهرية يكون عليها احباط مضاعف، لأنها كالجائع الذي وصل إلى الطعام ثم حرم منه، فهو يراه ولا يملك أن يأكل منه. وأما الأم التي لا تلد إلا إناث فتميل إلى الاحباط كذلك، فهي كالجائع الذي أعطي كيس يحسب أن فيه طعام وكلما أخرج قطعة وجدها حجرة. ولعل هذا تفسير النزاع المشهور بين البنت وأمها.

٤-ومن زاوية ثالثة، فإن الألم يجلب شعور بالواقع الحالي. ففي فكرة الفرح واللعب قد ينسى الانسان نفسه وينفصل عن الواقع. ولكن الألم، لأنه "مؤلم"، يعزز الشعور باللحظة الحالية بقوة، وينسى الماضي والمستقبل. فالألم نداء الحاضر. وبهذا يمكن أن نرى أن الراغب في الألم الساعي له يكون يرغب في نسيان الماضي أو إبعاد شبح المستقبل من خياله. فكأن الألم وسيلة للاسترخاء بأحد الاعتبارات. عندما يتألم الجسم يتوقف العقل عن الحساب والتخيل. يتركز كله في اللحظة الحالية. وهذا ما يرغب فيه المتألم. يريد أن يوقف عقله. وهذا يدل على أن عقله منقسم بقوة. والجزء اللاشعوري مسيطر بقوة. فهو لا يجد وسيلة لاسكاته إلا بتعذيب الجسم. ومتى يقوى اللاشعور؟ عندما يقوى الكبت. فيصل إلى مرحلة الانفجار. ويبدأ يجد لنفسه منافذ للظهور. وهذا الظهور يعذب النفس. فيقوم الكابت بتعذيب الجسم كوسيلة لتضليل نفسه عن حقائق اللاشعور. ومع طول ممارسة هذا النوع من العمل، وعندما يرى ثماره الجميلة التي هي اخفاء اللاشعور عن الوعي، يبدأ بحب هذه الأعمال. كمثل ما نحب كل ما ينفعنا في هذه الحياة. ومع الحب تأتي اللذة. ومع طول الممارسة تأتي العادة. وبالتالي يصل إلى طور التلذذ بالألم لنفسه. وبذلك يتحول حبه للألم من وسيلة لاخفاء اللاشعور إلى وسيلة للاستمتاع بحكم العادة. والعادة كما نعلم لها قوانينها الخاصة المنفصلة جزءياً عن سبب نشوؤها. فهي مثل الكائن الذي يتطفل على أمه عندما يكون جديد الولادة، ويرضع منها، حتى يفطم وينفصل عنها، ويحيا حياة مستقلة. ولكن مع ذلك إذا وجد الخطر على حياته فإنه وكخط أخير للدفاع، يلجأ ويلوذ بأمه حتى تحميه. فإذا حاولت أن تقتل عادة، واقتربت من النجاح، فإنها ستوصلك إلى أمها، أي السبب اللاشعوري الذي خلقها أول مرة. وكيف تقتل العادة؟ بأن تكف عن القيام بها. تجبر نفسك على ذلك. ثم تتأمل في ما يظهر فيك من مشاعر وتخيلات وأفكار. وتحلل هذه بعمق. وإذا بنفسك وقد وصلت إلى أم العادة. وبمواجهة الأم تنمحق العادة.

٥-ومن زاوية رابعة، فإن الألم وسيلة سهلة لتفريغ الطاقة الزائدة والعادية. من الأمور الظاهرة أن الانحدار أسهل من الصعود. فلاحظ الفرق بين الجهد المبذول لصعود الجبل ثم الجهد المبذول للسقوط من أعلى الجبل. فالخسارة هي الأصل كما أن الظلام هو الأصل في العالم. والفوز والنور عرض يحتاج إلى جهد لتحقيقه. وكذلك الألم، بمعناه السلبي، يعتبر أسهل من الفر. فالألم سقوط سهل. فالطاقة التي تريد أن تخرج وتتفرغ يمكن لها أن تستحسن الألم كوسيلة سهلة لبلوغ هذه الغاية.

والتساؤل الذي يراودنا هنا هو: ولماذا لا تتحمل النفس وجود طاقة زائدة فيها؟ إن هذه الواقعة، واقعة تفريغ الطاقة النفسية مهما كلف الأمر ومهما كانت الوسيلة، هي واقعة راسخة لا خلاف فيها أبداً، بل ولا يتصور هذا الخلاف أصلاً. ومثال بسيط أذكره حتى نكمل بحثنا هو الأحلام والتخيلات واسترجا ع الذكريات. هل يمكن أن يوجد إنسان حي بدون هذه الأعمال الثلاثة؟ بديهي أنه لا يوجد. وما هذه الأعمال الثلاثة إلا وسيلة من وسائل تفريغ الطاقة في الباطن حيث لا تجد لها منفذاً لتفريغها في الظاهر. نرجع إلى ما كنا فيه. ما الذي يجعل النفس لا تتحمل وجود طاقة زائدة؟

أول ما نستنبطه من هذا هو أن كمية الطاقة التي يمكن أن تختزنها أو تكنزها النفس هي كمية محدودة. وبالتالي النفس في هيكلها أيضاً محدودة. وثانياً، مصدر الطاقة النفسية دائم الامداد والتجدد، ولذلك كلما تفرغت الطاقة جاءت بعدها طاقة أخرى. ويختلف من شخص لآخر المدة التي تحتاجها نفسه لتمتلئ من جديد، ولعل دراسة هذه المسألة بالتحديد هو باب عظيم في علم النفس. ولعلنا نبحثه في موضع آخر إن شاء الله. وبهذا الاعتبار تكون النفس مؤنثة في جوهرها، لأنها تستقبل من الذكر أي المصدر الممد بالطاقة المحركة والمتجددة. ولعل هذا هو سر كون كلمة النفس في العربية كلمة مؤنثة. دلالة على هذه الحقيقة. والحياة هي هذه الحركة المستمرة بين استقبال الطاقة وانفاقها.

وعلى ذلك، إذا عرفنا أن كمية الطاقة المُستقبَلة يعتمد على سعة النفس المتقبلة، فإننا نريد أن نعرف كيف يمكن أن نوسع نفوسنا حتى نأخذ طاقة أكثر. فكمال يمكن تشبيه مصدر الطاقة بالسماء والنفس بالوعاء أو الكأس. وبحسب سعة الوعاء سيمتلئ من الماء. وهذا مبحث آخر ضروري جداً، كيفية توسيع النفس.

فاذن من هذه الزاوية تكون النفس المحبة للألم هي نفس امتلأت بالطاقة المكنوزة إلى حد الانفجار، وتستعمل الألم كوسيلة سهلة لتفريغ هذه الطاقة الزائدة.

٦- ولعلنا نبتعد عن الصواب عندما نحاول أن نفرق بين هذه الزاويا ونجعل كل زاوية هي نظرية بحد ذاتها. بل لعل الأصوب هو أن نجمع هذه النظريات كلها في نظرية واحدة جامعة بحيث تستوعب المسألة من كل جهاتها. نعم قد يكون العامل في شخصية كل محب للألم هو هذا أو ذاك، أو هذا وذاك ولكن هذا أقوى من ذاك. وعلى أية حال، فكما تعودنا في مباحثنا هذه، فاننا نضع الخيوط العامة، وعلى كل محلل أن يستعملها بحسب الحالة التي أمامه.

فإذن، رأينا أن أسباب حب الألم هي هذه: الرغبة في الحنان الأموي، نزعة انتحارية، رغبة في الشعور بالواقع الحالي، تضليل النفس الواعية عن حقائق اللاشعور، ووسيلة لتفريغ الطاقة الزائدة.

....

١- كل نفس ستذوق العذاب، عذاب الكبت والحرمان والاحباط. مجرد وجود النفس في مجتمع يعني أن النفس في عذاب. هذا هو الواقع لا محالة. وعلينا أن نفهم هذا الواقع ونعالجه. وليكن الأمر بيّناً منذ البداية ولا يغرنا أحد بأن يقول أن الحل هو علاج المجتمع. هذا وهم وباطل مضر ولن يتحقق أبداً. والسبب الرئيسي الذي ينفي كون علاج المجتمع أمر ممكن وأنه الحل هو أن المشكلة ليست في المجتمع أصلاً. بمعنى أن مجرد وجود المجتمع، أي مجتمع هو سبب للكبت والحرمان والاحباط، ولا علاقة لنوعية وقيم المجتمع بالمسألة. فوجود عدة نفوس يتوجب عليها التعايش يعني أن كل نفس عليها أن تقوم بتضحية ما في سبيل ارضاء الكل. فكما أنك أناني وترغب في تحقيق رغباتك ولو ذهب كل الناس إلى الجحيم، فكذلك كل الناس ترغب في ذلك مثلك تماماً. فأنت لست مميزاً ولا نفسك بدعا عن بقية النفوس. قد تستطيع أن تحقق جزء كبير أو صغير من رغباتك بدون ايذاء الآخرين، ولكن حتى على فرض أنك لن تؤذي الآخرين، فان تحقيق الرغبات التي تعتمد على رضا الآخرين ليس بمضمون. ومن هنا ستضطر إلى مواجهة الكبت أو الاحباط. اصلاح المجتمع ليس حلاً للعذاب النفسي، لأن المجتمع ليس بعاطل حتى نصلحه. وجود المجتمع هو الأزمة. وحتى افناء المجتمع لن يوصل إلى النعيم النفسي لأننا لن نستطيع أن نحيا وحدنا. وبالتالي نحن مجبورين على العيش في مجتمع بدرجة أو بأخرى. فإذن العذاب النفسي واقع على الكل بدون استثناء فرد.

يوجد أمامنا حلول: إما أن ننتحر ونتخلص من هذه الحياة بالكلية. وإما أن نحيا ونرضى بالعذاب ونترجمه كدواء لابد منه. وإما أن نغوص إلى الجذور النفسية وراء كل رغبة فينا تواجه بسبب المجتمع والحياة بالاحباط وبذلك ندخلها في مساحة الوعي الذي يلغيها من جذرها أو يخفف من أثرها السلبي. فباختصار: إما الانتحار، وإما جهنم، وإما الغوص الباطني. أما خيار الرضا بجهنم فلا أقبله أبداً وهو كل سخيف، وذلك لأننا إذا اخترنا الحياة فالحل الأسلم والأجمل هو اختيار الغوص الباطني. فكعلاج لمسألة العذاب النفسي اقترح أن نختار أحد هذين السبيلين: انتحر أو تعلم. وبعد طول تأمل في هذا، فإني مبدئياً اخترت الغوص. فتعالوا ننظر في الأمر بعمق.

٢- الكبت هو عدم الاعتراف بوجود الرغبة في النفس. فعكس الكبت ليس بالضرورة الفعل ولكن الاعتراف للوعي بوجود الرغبة في اللاوعي. أي اخراج الرغبة من المساحة اللاشعورية إلى المساحة الواعية. فمثلاً، قد ترغب في القيام بفعل جنسي معين، كامرأة تريد أن تمارس الجنس مع امرأة أخرى، ولكن حيث إن مجتمعها يدين هذا العمل فإنها ولو لاشعورياً لن تسمح لمثل هذه الرغبة بأن تظهر في وعيها، ولعلك تراها من أشد النساء كرهاً ومحاربة للسحاق ومن أتقى الناس لله. وهكذا مورس الكبت على هذه الرغبة في السحاق.

ولعلك تتساءل: وما البأس في كبت الرغبة؟ الجواب: كبت الرغبة لا يقتلها، ولكن يجعلها تتحكم وتسيطر عليك بغير حضور وعيك. وهذا أخطر وأسوأ من كونك تعترف بالرغبة واعياً، ثم بعد ذلك

إما أن تبحث عن جذرها النفسي وتعالجه، وإما أن تراقب تأثيرها عليك بوعي وبالتالي تسلم من شرها إلى حد بعيد. الرغبة المكبوتة كالسم الخفي، يقتلك بدون أن تدري. قتل الرغبة لا بأس به عندما يكون بعلاجها من جذورها. ولكن كبتها يضاعف شرها. وكل كبت يولد رغبات أكثر وفي أغلب الأحيان أسوأ من الرغبة الأصلية. كمثل التنين الذي تقطع له رأس فينبت محله ثلاثة رؤوس. وهكذا إلى ثلاثمائة رأس أو يزيدون.

أما الحرمان فهو أن تعترف بالرغبة ولكن لا تملك وسيلة لتحقيقها. وهذا كثير ومشهور. كالذي يرغب في امرأة ولا يملك المال لكي يتزوجها، أو الذي يرغب في شراء شيء ولا يملك المال له، أو الذي يرغب في العزف على آلة موسيقية ولكن يداه مقطوعتان، وهكذا كل رغبة تكون وسيلتها معدومة بالنسبة للراغب. وهذا لا نستطيع أن نقدم له شيء في مجالنا هذا. نحن لا نملك الوسائل. ولعلنا عاجزين مثله عن تحقيق الكثير مما نرغب. ولكن ما أراه شخصياً هو أنني إذا لم أستطع أن أجد وسيلة إلى رغبة فإنني أسعى إلى قتلها حتى حين. وهو الحين الذي أملك فيه الوسيلة فعندها قد أبعثها من جديد. فعندما تعجز كلياً اقتل ملياً. وكما قلت ونبهت كثيراً: قتل الرغبة هو في رؤية جذرها النفسي اللاشعوري.

وأما الاحباط فهو أن تكون لك رغبة وتحققها أو تحقق جزء منها ثم تزول منك أو يمتنع عليك اكمالها. كالذي يرغب في شراء سيارة، فيشتريها، ثم يقع في حادث تتحطم فيه سيارته بالكلية. أو كمثل امرأة ترغب في ابن، فيأتي الابن وبعد سنوات يموت ابنها. وهكذا في كل أمور الدنيا التي تهيج ثم تراه مصفراً ثم يكون حطاما. وهذا التغيير من الأعلى إلى الأسفل هو في جوهر الأمور الجسمانية كلها. كل جسماني آيل إلى زوال. وكل ما هو تحت الشمس سيموت. وحتى الذين يرتفعون في الفرحة عن طريق المخدرات، وحتى على فرض دوام توفرها لهم، فإنهم سيضطرون أن يصلوا إلى حالة النزول وإلا ماتوا من أخذ جرعة زائدة. وبعد النزول ومقارنة الحالة النفسية وقت النزول مع الحالة النفسية وقت الارتفاع فإن هذا بحد ذاته محبط وجالب للتعاسة. هذا بغض النظر عن الاحباط الناتج عن الانقطاع عن المخدر بسبب عدم توفر المال، أو دخول السجن، أو حدوث المرض والخوف، وغير ذلك مما هو معروف ومشاهد. وقد بحثنا في وسائل الفرار من الاحباط عندما تحدثنا عن التأله والغوص وكيفية الحصول على أصل للسعادة والفرحة لا علاقة له بالناس أو المال أو الحواس، أي التأمل الباطني المجرد. فلا نعيده هنا.

فإذن كما رأينا، فالعذاب النفسي محكوم بثلاث أئمة، الكبت والحرمان والاحباط. ورأينا أننا لا نملك فعل شر عند الحرمان لأنه عجز تام. ورأينا أن الاحباط علاجه الأوحد هو جعل التأمل الباطني المجرد، أي التأله. هو أصل الرغبات فينا وبذلك يكون عندنا دائماً سبب للفرحة ومضاد للاحباط. فيبقى علينا هنا أن نعالج الكبت. الكبت الضروري بسبب المجتمع.

٣- بعد النظر رأينا أن الكبت يقوم على دعائم: المراقبة الغيبية. وخشية الظهور في الفلتات. خشية الشعور بانقسام النفس ونجاستها. خشية العقاب الاجتماعي.

ونلاحظ بأن العامل المشترك في كل هذه الدعائم هو "الخشية". الذي لا يخشى لا يكبت. ومن هنا قيل "إن لم تستح فافعل ما شئت" بحسب أحد الاعتبارات. والمجتمع، علماً منه بأنه يملك القدرة على خلق الخشية عن طريق فرض العقاب على المجرم الذي يخالف القانون، وبغرض التحري واللوم على المجرم الذي يخالف القيم الاجتماعية والعادات، فإنه بالرغم من ذلك يعلم أن الناس ستجد لها طرق للقيام بالعمل المجرم، كأن يفعلوه في السر، وبذلك ينجون من العقاب بشكليه القانوني والاجتماعي. فما العمل إذن. كيف نجعلهم يخشون مخالفة القيم حتى في السر؟ الجواب: بابتكار عقيدة الإله أو الآلهة التي تعلم السر وأخفى، وبابتكار عقيدة الحساب يوم القيامة بعد موت الجسم. وهذا ما نسميه "المراقبة الغيبية". فالإيمان بالله واليوم الآخر. بهذا الاعتبار، هو مجرد وسيلة اجتماعية سياسية لفرض الكبت على الناس، خاصة عندما لا تفلح العقوبات القانونية والاجتماعية الأخرى. فالايمان بالله واليوم الآخر مرض نفسي. بل رأس من أهم رؤوس الأمراض النفسية. ولا يمكن لمؤمن أن يكون سليم نفسياً. على الاطلاق ! إلا في حال أنه لا يبالي بإلهه وحسابه، وحتى في هذه الحالة فإنه سيكون متأثر شرر الايمان وسيصل إليه ناره بدرجة أو بأخرى. ومجرد قبول النفس لمثل هذه العقيدة هو دليل بحد ذاته على وجود كبت واستعداد للكبت. ووجود الاستعداد للكبت دليل على وجود أفكار ورغبات يريد الانسان أن يكبتها. فلا أحد يشتري آلات الطبخ إلا لو كان فيه استعداد للطبخ. وكذلك لا أحد يقبل آلية الكبت إلا لو كان يرغب في الكبت. فالمؤمن والمتعاطف مع المؤمنين كلاهما يكبت أو عنده استعداد للكبت. أي فيه أفكار ورغبات محرمة. فأنجس الناس أشدهم بحثهم عن الطهارة. ولولا وجود الرغبات المحرمة لما أفلح الدين في السيطرة على غالبية أهل الأرض.

كما أن كبرياء النفس يمقت وجود طغيان خارجي فكذلك يمقت وجود طغيان نفسي. ولهذا يرفض الناس عامة الاعتراف بوجود المكبوت واللاشعور المسيطر، لأنهم سيستنتجون عندها أن نفوسهم منقسمة، جزء حاكم (اللاشعور) وجزء محكوم (الشعور والوعي والارادة). فنحب أن نحلم ونتوهم بأننا نعلم ونهي كل رغباتنا. وأن أعمالنا توجهها إرادتنا "الحرة"، وأن نفوسنا موحدة فلا حاكم ولا محكوم بل أمة واحدة. ولعل بحث بعض الناس عن مجتمع لا تكون فيه حكومة هو من انعكاسات هذا الوهم والرغبة المستترة بالحفاظ على المكبوتات في كتاب مكنون لا يمسه من في السموات والأرض. النفس عالم كامل. يوجد حكام وحراس وعبيد ومساجين وشياطين وملائكة وآلهة ورب العرش وعمال وجنود وأعداء ومزارع ومدن وسموات وأرض وذكور إناث وأطفال وشبان وعجائز وكل شيء. كل ما في العالم الخارجي موجود في العالم النفسي. ولعل الأدق أن نقول بأن كل ما في العالم الخارجي انعكاس للعالم النفسي. فكل ما تراه فهو أنت. وأنت كل ما تراه. ولكل أمر اعتبار.

للأسف تعودنا أن نعامل شؤون أنفسنا بالحكمة البائسة التي تقول "اميتوا الباطل بإماتة ذكره". ويا ليت الأمر كان بهذه السهولة. ولكن الواقع أنك إذا غفلت عن الباطل فإنه سيأتي إليك وأنت نائم ويقطع رأسك ويسلخ جلدك ثم يصلبك أمام العالمين. التغافل عن الأفكار والرغبات لا يقتلها كمثل التغافل عن الدائنين لن يقتلهم ولن يسدد الدين. بل كل ما في الأمر أنك ستحول هؤلاء

الدائنين إلى دائنين غاضبين، ولو كانوا من أصحاب العصابات والمافيا فإنهم سيكسروا ركبك ويشوهوا وجهك ثم يتركوك في البرد لتنهشك كلاب الشوارع.

الحقيقة تقول عكس ذلك تماما. الحقيقة تقول "اميتوا الرغبة باخراجها إلى الوعي" أو قل "اميتوا الباطل بذكره أو تذكره". الملل من الاقرار بالرغبة يقتلها أسرع بكثير من الهروب من الاقرار بها. الهروب منها يضاعف قوتها. الهروب منها يجعلها تعمل في الخفاء وتسيطر عليك من حيث لا تشعر. ولعل حب الناس أو انجذابهم لنظريات المؤامرة والماسونية هو انعكاس لهذه الحقيقة النفسية. فالماسونية أقوياء يعملون في الخفاء ويدبرون كل شيء ويحكمون كل شيء بدون أن يراهم أحد، "من وراء الستار". الماسونية هي الرغبات اللاشعورية. ومن ملاحظاتي الشخصية وجدت أن كل مؤمن بنظريات المؤامرة هذه هو كابت من الدرجة الأولى في أغلب الأحيان ومن الدرجة الثانية في الباقي. هو يشعر داخله بوجود أشياء قوية تحكمه، ولعل قبسات هذه الرغبات قد تراءت له في خياله وهو يقظ أو في منامه، وحيث إنه يشمئز من نسبة هذه الرغبات والأفكار لنفسه البريئة الطاهرة فإنه يخلق كيان آخر ينسبها له. ومن انعكاسات هذا أنه يريد أن يقنع الناس بوجود كيانات سرية عالمية تحكم كل شيء وتسير الناس، حتى يبرر لنفسه أو يبرئ نفسه من الأفكار التي ظهرت له. ومعلوم أن اللاشعور ليس له مكان ولا يبالي بزمان ولا فرق عنده بين أصيل وبديل، فالطفل الذي يمص اصبعه ينال من الاشباع كما لو كان يمص حلمة ثدي أمه أو قريب من ذلك، فالطفل لا يناقش نفسه عقلياً ويقول "لماذا تمص اصبعك؟ فإنه لن يدر حليب، وهو منفصل عن أمك، فأي فائدة في أن تبدل الاصبع بالثدي؟". هو يقوم بذلك لأن اللاشعور يتجلى في رمزية الأعمال، وينال حظه من الرمز كما ينال حظه من الواقع الأصلي أو قريب من ذلك. فالرموز بدائل للرغبات المكبوتة. ومن هنا وغيره قيل أن الأديان، والتي تعتمد دائماً على الرموز، هي هستيريا طفلية ودليل مرض.

كثيراً ما نسعى إلى تبرئة أنفسنا عن طريق اختلاف الأفكار أو تبني الأفكار. فالاستعداد يسبق الامداد. الفكرة لا تجد لها مكانا في النفس إلا إذا كانت النفس راغبة في هذه الفكرة. وإذا تولدت الفكرة من النفس فهذا أوضح وبرهان أكبر على أنها من تركيب استعدادات نفسية. وهذا ليس كلام سلبي كما يظن البعض، هذا وصف للواقع. فالخلل ليس بوجود استعداد نفسي يدفع إلى قبول أو رفض أو خلق فكرة، الخلل هو عندما نكون مدفوعين برغبة معينة، خاصة لو كانت مكبوتة، لتبني فكرة ثم تزعم لأنفسنا أننا قبلناها حباً في "الحقيقة"، لا يهمنا ما هي الفكرة يهمنا لماذا قبلتها.

ونستطيع، بسهولة أحياناً، أن نرى هل الفكرة مبنية على رغبة نفسية أم حقيقة موضوعية. فمثلاً، اكتشاف أن الشمس لا تدور حول الأرض هو حقيقة موضوعية مبنية على برهان محايد. ولكن رفض الاعتراف بها بدون أي نقد للبرهان الذي كشفها هو رغبة نفسية. وكذلك مثلاً الاعتقاد بحياة بعد موت الجسم ووصف ما هي هذه الحياة وماذا سيحل فيها، هل يوجد أحد ذهب إليها وعاد، بل هل يوجد لدينا دليل حقيقي على ذلك؟ لا يوجد، فالأمر نفسي. وهكذا. كل ما هو غير علمي فهو نفسي وغالباً لاشعوري، وأكاد أقول دائماً نفسي لاشعوري، ولكن اللسان العلمي

يجعلنا نحرص أن لا نعمم مطلقاً إلا في الحالات التي يمكن فيها أن نقوم بهذا التعميم على برهان قريب من اليقين. إلا أن خبرتي إلى الآن لم تظهر لي استثناء واحد على هذه القاعدة، التي اعتبرها واحدة من أهم القواعد في منهجي، كل ما هو غير علمي فهو نفسي لاشعوري. وملاحظاتي اللاحقة وتحليلاتي تضطرني إلى رفع سقف القاعدة وجعلها هكذا: حتى قبول ما هو علمي مرهون بأساس نفسي ولاشعوري. ولعلي أخصص بحث لهذه القاعدة الهامة والكاشفة. إني أعتقد بأنه منذ اكتشاف النار والزراعة لم ولن ولا يمكن للناس أن يكتشفوا أعظم من اللاشعور. هذا ما أراه الآن ومن يدري ماذا يحدث غدا. إلا أني أملك أسباب قوية جداً لهذا الرأي، وكل من يدرس كتاباتي سيفهم هذه الأسباب.

وأما "خشية العقاب الاجتماعي" فهو كبير آلهة الكبت. فالانسان قد يرى أن الله غفور رحيم، وقد لا يبالي أصلاً بشيء اسمه انقسام النفس أو وحدتها الوهمية، فمنذ متى كان الناس يبالون بالعلم أصلاً، وقد يحفظون ألسنتهم حتى لا يزالوا ويفضحوا أنفسهم، بل لعل هذا لم يخطر على بالهم بشدة، إذ كم من الناس يسمع للآخرين أصلاً فضلاً عن التدقيق في زلاتهم وتحليل معانيها اللاشعورية، فهذا يبدو أنه من اهتمام العاطلين والمحللين الذين يأخذون أموال طائلة لعلاج النفوس، هذا إن عالجوا أصلاً. فكل هذه الكوابت الأخرى، بالرغم من أهميتها، إلا أنها لا توازي خشية العقاب الاجتماعي في القوة. فهذا العقاب هو العقاب الحقيقي الذي تذل له رقاب الناس وتخضع له نفوسهم. ولذلك علينا أن ننظر فيه بعمق.

أولاً. يقال عادة وبتسليم مشكوك فيه بأن العقاب الاجتماعي، خاصة غير القانوني، مبني على مصلحة "الحفاظ على الجماعة". فهذا يقتضي بأن الذي يخضع لهذا التهديد يهتم بمصلحة الجماعة. والواقع أن أكثر إن لم يكن كل الناس لا يبالون في سبيل تحقيق مصالحهم لو داسوا على رقاب كل الناس. كمثل المرأة التي عندما بدأت تغرق رفعت ابنها فوق رأسها ولكن عندما استمر المطر بالهطول ووصل إلى أنفها الماء وكاد يقتلها وضعت ابنها تحت قدميها وارتفعت عليه، فلا أحد يرضخ لقيم المجتمع إلا إذا كانت مخالفة لهذه القيم ستجلب عليه عقاباً يضر بمصالحه. فالسؤال الآن: من الذي وضع هذه التهديدات؟ لأننا إذا عرفنا ذلك فإننا سنعرف من هم الذين وضعت هذه العقوبات حماية لمصالحهم بالأصل. والجواب هم أفراد الطبقة الحاكمة. نعم معظم القوانين تنفع الكل. ولكن أصل فكرة القانون لم يخترعها المجرمون ولكن المسيطرون.

ثانياً. لو كان ما يخشاه المجتمع هو "فعل" الجرائم، فلماذا يخشى الناس "بالاعتراف" بالنوازع النفسية المجردة؟ إن المجتمع لا يرغب في الاقرار بالغرائز البشرية، هو لا يقر بوجودها، أو بوجود بعضها. ويوجد فرق كبير بين تجريم ومعاقبة الذي يقتل أبيه، وبين تكذيب غريزة حب قتل الأب للحلول محله، على سبيل المثال أذكر هذا ولا أريد أن أخوض فيه الآن. نعم إذا ارتكب الانسان جريمة في حق غيره بدون موافقة هذا الغير فيستحق عندها العقوبة والقصاص. ولكن هذا أمر مختلف كليا في أمور الفكر ونوازع النفس. المجتمع يستنكر ويكره بل ويطرد ويذل الذين "يتكلمون" أكثر من الذين "يفعلون". الكلام عن الحقائق مجلبة للمهالك. المجتمع إذن لا يرغب في العيش بسلام ومن هذه الرغبة ولد القوانين والأعراف. هذا جزء بسيط وسطحي من الحقيقة،

المجتمع (والذي هو أفراد) مكبوت ويكره نفسه ونائم ومن الرغبة في الاستمرار في النوم ولّد الأعراف والقوانين واستخدم الذل لتهديد أفراده. فالمجتمع كالمريض الذي يكره أو يرى المرضى الذين يذكرونه بمرضه، ويكره الأطباء الذين يرغبون في تشخيصه وعلاجه. يقال أن الإنسان عدو نفسه. بل المجتمع عدو نفسه. الانسان يحب نفسه أكثر من أي شيء. ولكن بسبب عوامل عدة أهمها المكبوتات فإنه ينقسم على نفسه ويجعل الجزء المنافق المالئ للمجتمع يحارب الجزء المرتد الخارج عن القيم الطاهرة. فالأولى أن يقال: الانسان المكبوت يعادي جزء من نفسه بجزء آخر. وللأسف لا يستطيع أن يفني هذا الجزء الآخر. فما العمل؟ نقوم بتحويل هذا الجزء المكروه إلى أشخاص وأفكار من العالم الخارجي، ونوجه عداءنا لهذا أو هؤلاء الأشخاص. فأعداء الانسان هم رغباته المكنونة المرفوضة.

النفس السليمة لا تعادي أحد. ولكن تعادي ما يجعل النفس غير سليمة. وعداوتها لطيفة بالتي هي أحسن وبعلم. لا يوجد عند النفس السليمة من الكبت إلا العلم. وبه تجاهد الخبائث. كمثل الآية القرءانية التي تقول "وجاهدهم به جهاداً كبيراً" لاحظ كلمة "به" أي القرءان أي بالعلم والبرهان. ولا أقصد العلم الرمزي والهروب الخبيث الذي تعودنا أن نسميه "فكراً راقياً". ولكن العلم الحقيقي الذي يغوص إلى أعماق اللاشعور ويكشف الأغطية ويحرق الأقنعة ويسمي الأشياء بأساميها دون تورية أو زينة.

المجتمع مجموعة من المنافقين الذين يكذب بعضهم على بعض ليل نهار، والكل يعلم أنه يكذب، ولاشك أنه يعلم أن الآخر يكذب عليه. ولكن هو يمثل على أنه صادق ويجعل الناس يعتقدون بأنه يصدق أنهم صادقون. هي مسرحية كبيرة حيث نعرف أن كل من على المسرح ممثل ولكن نعامله على أنه شخص حقيقي، وهو يفعل نفس الشيء تجاهنا، ولعل هذا سر انجذاب الناس إلى الأفلام والمسرحيات لأنها أقرب إلى حياتهم من "حياتهم". وأيضاً لأننا نأمل أن نتوقف عن التمثيل ونحيا في الحقيقة كما أن الفيلم ينتهي. فنفوسنا في صرا ع بين رغبات شتى وأفكار شتى، ونادراً ما نحسن التوفيق بينهم. ولعل الحسابات تتم في كل منا وهو لا يدرك ذلك. فما يقوم به الناس فعلاً هو النتيجة النهائية لحسبتهم. كل هذا يتم بلا وعي غالباً مثل الهضم في المعدة.

ومن المعلوم أن الإنسان المتعمق في العلم والتفكير تقل نسبة ارتكابه هو نفسه للجرائم، لأن العلم ثقيل. نعم قد ينظّر ويخلق أفكار تؤذي ببعض الناس إلى ارتكاب الجرائم، ولكن ما أعنيه هو قلة نسبة ارتكابه "هو" للجرائم. خاصة إذا كان متحرراً من المكبوتات بدرجة كبيرة. وبتوافر بعض الظروف المساعدة فإن النسبة تقل وتقل. باختصار فإن انتشار العلم والوعي يقلل نسبة الجرائم.

ولكن ما نشهده هو أن المجتمع ككل يحارب الوعي بكل شراسة. بل ولا يسمح حتى بوجود حرية اختيار النوم. هو يريد أن يجبر الناس على النوم ويقاتل باخلاص كل من يحمل معه جرسا يريد أن يوقظ الناس. وكل فكرة يمكن أن توقظ الناس تجد في وجهها جنود مخلصين لوجه النوم والأحلام. المؤسسات التعليمية والإعلام والعقائد والعادات إذا حللتها وجدتها في الغالب موجهه في سبيل التنويم والغفلة. وهذا كله نريد من تأكيد ما ذكرناه سابقاً من أن المجتمع مكون من

أغلبية منقسمة عندما كانوا في سنهم، انتقاما أو للشعور بالكبرياء. فكل طاغية يرغب في خلق الناس على صورته، حتى إذا نظر إليهم يرى نفسه وبالتالي يرضى عن نفسه كونه ليس القبيح الوحيد في الوجود. كالأعور الذي يخلع عين ابنه حتى لا يتعالى عليه.

ولذلك لن تفلح جهود "المصلحين"، لأن المجتمع لا يريد الاصلاح أصلاً. الاصلاح عنده هو أن تعطيه طعام أكثر بجهد أقل. وما وراء ذلك لا يبالي به لأن فيه شبهة ايقاظ. فكثر التحليل يوقظ الجوهر عاجلاً أم آجلاً. كمثل صندوق يحوي الذهب في آخره والتراب يغطي كل الذهب إلى أعلى الصندوق، فكثرة تفريغ التراب سيوصل إلى الذهب الكامن في الباطن، في أرض الصندوق، عاجلاً أم آجلاً. وهذا من أكبر أسباب كره الناس للتفكير وطول التحليل والتأويل. لأن التفكير هو كشف للغطاء. والنائم يحسب أن يبقى مغطى في الفراش.

وإذا علمنا أن مواجهة المكبوت عذاب شديد في البداية ولكن راحة عظيمة في النهاية. فإننا سنعلم بسهولة سبب رفض الناس للسعي لكشف المكبوت لأنهم في الغالب لن يرغبوا أن يساقوا طواعية إلى هذا العذاب الشديد، وهم أيضاً لا يؤمنون بوجود الراحة العظيمة بعد ذلك. هم يعتقدون أنه عذاب يعقبه خزي وعار. وهم محقون بأحد الاعتبارات. فالطريقة الوحيدة لايقاظ الناس هي ايقاظ كل الناس دفعة واحدة. أو الأكثرية من الناس. فعندما يعترف الكل لن يصبح الأمر مخزي وعار. وإني أرى أن هذا هو يوم القيامة القرءاني. يوم يقوم الناس ويكشف الغطاء فبصرك اليوم حديد. من الناس من يجعل الايمان بالله والآخرة شيء خبيث ومنهم من يجعله شيء جميل. الكلمة واحدة والأنظار مختلفة. الكل يؤمن بالله ولكن لكل واحد تعريفه الخاص لله. والمعيار هو ما يحرر الناس وينفعهم فعلاً.

فهذه أفكار مبدئية عن هذا العامل المهم في مملكة النفس، أي الكبت، فانظر ماذا ترى..وإن سألت: لماذا سميت المقال "ساعة الألوهية" فأقول: اجعل لنفسك في كل يوم ساعة تخير نفسك بكل حرية كل ما ترغب فيه، وتكون فيها كإله لا يسئل عما يفعل، ويفعل ما يريد في عقله.

....

(الأساس النفسي للاقتصاد المجاني)

١- جوهرالنفس هو الراحة والكبر. فإذا جعلنا كل الأشياء الجسمانية مجانية، فعندها لن يستطيع أحد أن يحصل على الكبر عن طريق امتلاكه لأي شيء مادي. حيث إنه لا يوجد هذا التمايز والأسعار التي تفرق بين من يملك أن يشتري وبين من لا يملك. وبناء على ذلك، فسيكتفي الناس من الأمور المادية أن يحصلوا على ما يجلب لهم الراحة أي بحسب حاجتهم الفعلية فقط. وفي هذا أكبر صلاح للمجتمع من حيث التوزيع العادل للانتاج. ولا ننسى أن التوزيع العادل لا يعني أن يحصل كل الناس على حصة متساوية كمياً، ولكن أن يحصل كل إنسان على ما يحتاجه فعلياً. فالرجل يحتاج إلى ٣ تفاحات أما الصبي فتكفيه واحدة. ومن ظلم الرجل أن لا يأخذ إلا تفاحة واحدة إذ حاجة جسمه لا تشبع إلا من ٣. وهذا مجرد مثال.

وجود الأسعار يحوّل الغاية من الشراء، أي يجعل الرغبة في الكبر هي الدافع للشراء وليس الرغبة في الراحة. ولو لاشعورياً. وبذلك يسعى الناس إلى امتلاك أشياء لا يحتاجونها فعلياً، ويسعى الناس لامتلاك أشياء تافهة وسخيفة ومضرة لأجسامهم إذ يدفعهم الكبر وليس الراحة. ويبدأ الناس في الكنز الذي يخرج الدم من جسم الاقتصاد ويجلب الفقر للناس. الفقر الذي يمكن إزالته بسهولة لو لم يكن ثم أسعار. إذ يوجد عندنا أرض وعمال وانتاج، ولكن وجود هذا الرقم الوثني على الانتاج يؤدي إلى بقاءه غير مستهلك من الناس الذين يحتاجونه فعلياً ولكن لا يملكون "النقود".

٢- ومن زاوية أخرى. فإن وجود الأسعار يؤدي إلى المنع من الحصول على الشيء، وكل ممنوع مرغوب. إذ لما يشعر الإنسان أنه لا يستطيع الحصول على شيء فإنه يشعر بالنقص والألم حتى لو لم يكن يحتاج هذا الشيء في أكثر الأحيان. والأهم من ذلك أنه يجلب ألماً عميقاً إذا كان يحتاجه فعلياً. وبالتالي يتولد فيه كره للمجتمع الذي ولد فيه هذا الشعور المؤلم، ولو لاشعورياً، ويبدأ بسبب ذلك بفعل أمور ضارة بالمجتمع من كل النواحي الممكنة. ولعل هذا من أكبر أسباب الجرائم الكبيرة والصغيرة.

٣- فباختصار. الأشياء الجسمانية يجب أن تكون محكومة بالرغبة في الراحة. وهذا هو الواقع الفعلي الأحسن. ولكن عندما نجعل الأشياء مسعرة فإنها تصبح محكومة بالرغبة في الكبر. ولذلك لن تكف الحروب بكل أشكالها داخلياً وخارجياً. وإنما الحل حل واحد، وهو أن تكون كل الأشياء مجانية. وجعل الاقتصاد قائم على الحاجة الفعلية للناس وعلى ما يملكه المجتمع من موارد اقتصادية. وبذلك تصبح الأشياء محكومة بالرغبة في الراحة مرة أخرى. وعاجلاً أم آجلاً سيصل الناس إلى هذا. إما بفهم الكتاب أو بسوط العذاب. والحمد لله.

....

(تأويل الاستمناء)

١- في الظواهر عامة، والظواهر النفسية خاصة، يجب أن تدخل في الظاهرة ثم تنفصل عنها، ثم تلاحظها وهي تحدث حقيقة، وبعد ذلك تستطيع أن تفهمها حق فهمها. وفي الظواهر النفسية يجب أن تراعى عملية الابدال. الابدال هو عندما يتعذر تحقيق الرغبة الأصلية فتسعى النفس إلى ايجاد بدائل لها وتشبع الرغبة الأصلية، إلى حد ما، عن طريق الناشيء من عدم امكان تحقيقها أو احباطها بعد تحقيقها، ونلاحظ اللاشعور وهو يختار ويخلق البدائل. نعم، هذا ليس أمر هين على الاطلاق، بل يحتاج إلى انسان متأمل على الدوام، وانسان لا يخاف من أي سلطة حقيقية أو وهمية، اجتماعية أو الهية بل ولا حتى نفسية شخصية. ملاحظة عمليات النفس بدقة ووعي حقيقي يحتاج إلى انسان ثائر لا يبالي بشيء، وليس له التزال فعلي أو أخلاقي لاتجاه مجتمعه ولا آلهته ولا حتى أمام نفسه. وهذه الثورة النفسية، والتي هي أم الثورات بل أكاد أقول أنها هي وحدها الثورة الحقيقية، هي التي ستحطم كل الحواجز وستذبح كل الحراس المراقبين. وبالتالي ستسمح وتفتح الأبواب للاشعور والتداعي الحر بأن ينطلق صوب الوعي. وهذه هي الملاحظة الحقيقية.

٢- نريد أن نبحث هنا في ظاهرة الاستمناء بصورة عامة، وعند الذكر بصورة خاصة. وأقول الذكر بصورة خاصة لأنني أنا ذكر فسيكون وعيي بالمسألة أعمق وأقرب إلى الواقع مما لو تدخلت بصورة فجة في استمناء الأنثى، وندع المحللات من النساء يتعمقن بهذا الدور. وأيضاً آخذ بعين الاعتبار نظرية التحليل النفسي القائلة بأن الأصل أنه لا يوجد تفريق بين الذكر والأنثى من ناحية القضيب، وأن الأنثى في طفولتها على الأقل تنظر إلى البظر على أنه قضيب. وفعلاً وحتى بعد بلوغ سن الرشد وفوقه فإن النساء يستمدون متعة هائلة من البظر والذي يعامل عند الاستمناء بحالة قريبة من استمناء الرجل. ولذلك نجد في النساء، من لا ينجذبن اطلاقاً إلى الذكور، أي السحاقيات، ويستمتع المرأة بالمرأة عن طريق مداعبة البظر. ولكن كعادة أبحاثنا في هذا الكتاب فإنها موجهة لالقاء نظرة كبرى على المسائل، وإني شخصياً أعتبرها تحليل مبدئي، كمدخل إن شئت إلى عالم الأنفس.

٣-صورة الاستمناء: هي أن يمتع الذكر نفسه بنفسه عن طريق تكرار اللمس والعصر للقضيب. وعادة ما ينظر الرجل إلى ذكره وهو يمارس هذا العمل. ويتخيل مواقف تثيره جنسياً، أو يشاهدها أمامه كصورة أو فيلم أو عرض. وعادة ما يتم هذا العمل في السر، ولذلك يسمّى بالعادة السرية.

حسناً. هذه هي الظاهرة، فتعالوا لنحللها ونرى تأويلها.

٤- (يمتع نفسه بنفسه)، هل الأصل أن يكون الاستمتاع بالغير أم بالنفس؟ من ناحية السلامة والكبرياء قد يقال أن الأصل هو أن يستمتع الانسان بنفسه حتى لا يضطر إلى أن يفتقر لغيره ويتذلل له. وقد يقال أن الأصل هو أن يستمتع بغيره لأن الجنين أول ما يجد الحياة والتكوين

يكون يستمد متعته من أمه سواء في الرحم عن طريق الدفء والحبل السري، أو بعد الخروج عن طريق الرضاعة، ويظهر أن هذا الرأي الثاني هو الأحق. وذلك لأن الرأي الأول يبحث من ناحية نفعية اقتصادية وليس من ناحية نفسية أصلية. فلولا أن النفس وجدت حرماناً بعد غنى لما اضطرت أن تبحث عن طرق أخرى تقيها شر الحرمان. الجنين لم يكن يأخذ في الحسبان وجود أي حرمان. بل دفء وطعام ولذة فقط، متواصلة بكل أريحية. ويظهر أن كل ما قيل عن "الحالة الكاملة" التي كان فيها الانسان قبل أن يظهر على الأرض هي هذه الحالة الجنينية، وهي أصل الكثير إن لم يكن كل تصورات الانسان ورغباته وأفكاره بعد ذلك.

فالأصل هو أن يتصل الإنسان بغيره ويستمتع به، وبسبب الحرمان أو تكرار الاحباط، وكلاهما مع أخوهما الثالث أي الكبت هم السبب في تحويل هذا الأصل وايجاد بدائل للاشباع. وفي حالة المتعة الجنسية يكون الأصل هو الاستمتاع مع الغير وبه، فالاستمناء هو بديل لتلك الرغبة الأصلية التي مورس ضدها القهر. وسأسمي مجموع هذه الاليات الثلاثة التي تمارس ضد الرغبات (الحرمان والاحباط والكبت) تحت مسمى واحد من الآن فصاعداً وهو القهر. والسبب ظاهر، وهو أنه اسم يجمع أو هو العامل المشترك بين هذه الثلاثة، وحتى نختصر الكلام. فإذن الذي يمارس الاستمناء مقهور. وبذلك يكون يمارس الاستمناء كردة فعل. والفعل سيء وردة فعله كذلك سيئة. فالاستمناء محاط بالسلبية. ولذلك لم نرى أو نسمع يوماً عن شخص مارس الاستمناء في إحدى المرات ثم خرج يصيح من الفرحة ويحكي تجربته الرائعة لأصحابه ويباهي بها. الاستمناء مرض متفرع عن مرض ويولد مرض ويحافظ على مرض. وعندما يلاحظ الانسان القهر الذي وقع عليه وولد فيه ردة الفعل هذه فإن كبرياءه قد يغلب ويجعله يتوقف عن الحفاظ على هذا البديل، و[سيسترد] طاقته، والتي غالباً ما تكون مشحونة بالغضب ضد القاهر. وأغلب الظن أنه سيقتله. والمجتمع هو أكبر وأول قاهر، والتحريمات الدينية أو العرفية والعوائق التي توضع في وجه الراغب في التواصل جنسياً مع غيره كالعوائق الاقتصادية، هما وسيلة المجتمع، هما يداه اللتان يقهر بهما الناس. وعندما أقول "مجتمع" ظاهر أن المعني هم الحكومة المؤسسة الدينية والأسرة كذلك، والأسرة غالباً ما تكون خاضعة في أفكارها للحكومة والمؤسسة الدينية، وأحياناً يشرع الأب والأم التحريمات والعوائق من ذاتهم، ولعل هذا بحد ذاته رد فعل على طغيان المجتمع عليهم، فتكون ردة فعلهم طغيان ممارس ضد الأبناء. فالقاهر هو الدين والاقتصاد في الأصل. وإذا كان السبب طبيعي، كأن يخلق الإنسان عاجزاً عن التواصل لأي سبب كان فعندها تكون ردة الفعل ضد الخالق، وقد يميل إلى قتله أي عدم الإيمان به والاستهزاء بعمله والاستخفاف بعظمته.

فإذن القاهر هو الدين والاقتصاد والطبيعة. والقهر يولد غضب وخوف. وحيث إن القاهر لا يمكن قتله. إذ هو ضرورة، فالرغبة الأصلية في قتله تتعذر وبالتالي تظهر الرغبات والأعراض العملية البديلة. وإن كان الأصل هو القهر والغضب والخوف، فما ظنك بالبدائل !

٥- (النظر إلى القضيب) النظر إلى الشيء يكون إما سبب الاعجاب به، أو الرغبة في تغييره، أو احتقاره، أو للتأكد من دوام وجوده. ونستطيع أن نرى هذه الأمور الأربعة متجلية بدرجة أو بأخرى في الاستمناء عامة.

أما الاعجاب به. فكأن المستمني، المقهور كما عرفنا قبل قليل، يقول لنفسه "كيف لا ترغب النساء بك أيها الذكر العظيم الجميل؟ يا الله ! لو تعلم النساء ما يفوتهم بسبب امتناعهم عن مضاجعتي" وهذا التعجب قد يصاحبه من زاوية أخرى الرغبة في التغيير، كأن يكون العضو أكبر أو أصغر أو أعرض أو أكثر عروقاً أو أقل شعراً وما شابه، وها نلحظ نوعية من العقلية السحرية البدائية التي ترى في نفسها قوة خارقة تستطيع أن تغير الأشياء الطبيعية عن طريق النظر فيها والرغبة العميقة وتلاوة التعويذات. وهذه من سمات اللاشعور الذي لا يعرف قوانين الطبيعة الجامدة إلى حد كبير. وثم يصاحب هذه نظرة احتقار، إما سبب عدم كون الذكر كما هو في تصوره للكمال عن هيئة وعمل الذكر، أو كأنه يقول لذكره "لو كان فيك خير لما كنا نستمني وحدنا ولكن لكنا نضاجع من نحب، تعساً لك أيها القبيح!". وبسبب هذه العزلة التي حرمته من الاتصال الجنسي بالآخرين لأي سبب كان، فإنه يخشى أن يتوقف ذكره عن العمل، أو يضعف بصورة كبيرة، وحيث إنه يأمل في تغيير حالة وزوال حالة الضرورة والحرمان، فإنه بالاستمناء يدرب ذكره على العمل إلى أن يأتي اليوم الذي يجب عليه أن يبرز قواه فيه. ومن هذه الأسباب الأربعة، فإن أقوى ما يسترعي انتباهنا هو هذا الأمر الأخير. وذلك لأن الأمور الثلاثة الأولى كلها أمور طبيعية ومبررة إلى حد كبير. فمن الطبيعي أن يعجب الانسان بنفسه أو يرغب في تغير شيء فيها أو يحتقر شيء آخر، وهذا في كل الجسم وكل الأمور عامة. فلا يوجد أمر غريب غير مفهوم هنا. وأما في هذه الرابعة فالأمر ملفت للنظر.

يستمني لأنه "يرغب في التأكد من وجود ذكره". وهل يمكن أن يزول الذكر أصلاً ! قد يصغر ويضعف ويصبح هزيلاً مع كثر الغفلة عنه. هذا طبيعي في كل شؤون الجسم، فأي عضلة لا تستعملها فإنها تصغر وتضعف وتصبح هزيلة. ولكننا لا نرى الناس تنظر إلى عضلات بطنها الهزيلة "لتتأكد من وجودها" ؟! فما هو الشيء أو الفكرة أو الذكرى المرتبطة مع كون الذكر يضعف أو لا يمارس عمله مع النساء، حتى يولد هذا الخوف من فقدان الذكر، أو الهوس بالنظر إليه للتأكد من وجوده ؟!

الحرمان من النساء، صغر الذكر وضعفه، والخوف من فقدان الذكر كليا. ما العلاقة بين هذه الأمور الثلاثة ؟ صغر الذكر وضعفه يذكر بمرحلة الطفولة والصبا. فإذا نظرنا في "عقدة الخصاء" التي يقدمها التحليل النفسي وجدنا الأمر واضحاً. فالرجل يستمني لأنه يتذكر يوم هدده المتسلط بأن يخصيه أو يقطع له ذكره إذا عمل شيء لبعض النساء ممن حوله، المحروم منهن. فالاستمناء ردة فعل على عقدة الخصاء. والمحروم منها ليست بالضرورة الأم، والمتسلط ليس بالضرورة الأب، والتهديد ليس بالضرورة تهديد مباشر وواضح معلن بالخصاء أو القطع. فقد يكون المتسلط هو الأم أو الجد أو الخال أو العم أو الاستاذ لا يهم. والمحروم قد يكون صاحبه أو صاحب أو خادمة أو خالة لا يهم. والتهديد قد يكون مستنبط، فلا يكون الصبي قد عمل

ممنوعاً كان يلعب بلعبة ما حيث كان يفترض أن ينام إذ وقت النوم قد حل، فإذا بالمتسلط يدخل عليه ويراه يلعب فيأخذ اللعبة منه عقاباً له. فيستنبط من هذه التجربة أنه إذا "لعب" بذكره بعد أن حرم عليه فإنه سيؤخذ منه مثلما أخذت منه اللعبة، التي كانت تسليه وتجلب المتعة له.

ولعل هذا الخوف من "الأخذ" هو أساس لكثير من الأفكار والعقائد والأعمال والأعراض اللاحقة. فمثلاً عندما يجعل الانسان لذته وفرحته في كائن "مختفي" كإله وذكره مثلاً فهذا ظاهر أنه انعكاس لهذا الخوف. فنحن نخاف أن "تؤخذ" منا أسباب فرحتنا إذا كانت على الأرض حيث يوجد المتسلطين فنجعل كنزنا في السماء حيث لا يراه أحد ولا يستطيع أن يصل إليه أحد. فالتأله والصلوات بأنواعها المختلفة ردة فعل أو من بدائل وأعراض عقدة الخصاء. وكذلك مثلاً عندما يحب الانسان أن يحاط بالخدم والحشم فهذا قد يكون أيضاً من ردود فعل عقدة الخصاء، إذ عندما يحاط بالناس يشعر بالأمان من أن يأتي أحد و"يأخذ" حياته وأسباب فرحته. فالحياة الدنيا لعب ولهو أليس كذلك ! وكذلك مثلاً خوف أكثر الناس إن لم يكن كلهم من النقاد والمستنيرين. إذ هؤلاء يرغبون في "أخذ" أفكارهم القديمة العزيزة عليهم، ولاتي أصبحت جزءاً منهم، كالعضو تماماً، عضو نفسي. ولعلنا لا نغالي إذا أقررنا بأن مظاهر عقدة الخصاء تشمل كل نواحي الحياة بدرجة أو بأخرى. وأحسب أن العرب القدامى كانوا عباقرة عندما سمعوا الرجل المذكر باسم "الذكر" وهو اسم العضو كذلك، ولم يسموا الأنثى بالهبل أو الفرج أو البظر. فالذكر يعيش حياته حول ذكره. وأما لماذا سموا الأنثى بغير اسم عضوها الجنسي، فلعل هذا من غيرتهم، أو كون المرأة لا ذكر ظاهر لها وبالتالي يكون من التعالي عليها. وهل يوجد أسهل من أن نفاخر بذكورنا من ليس لهم ذكور أصلاً ؟! يقال أن الانسان اجتماعي بطبعه، أقول الانسان مهلوس بطبعه.

٦- (يتخيل أو ينظر إلى مواقف أو أشياء تثيره جنسيا) نتساءل هنا عن العلاقة بين المتعة الجسمانية والحالة الفكرية النفسانية. فمن التحليل والمشاهدات نرى أن للعقل قوة عظيمة في التأثير على الجنس، سواء عند الذكر أو عند الأنثى، ويظهر أنه عند الأنثى أقوى بكثير مما هو عند الذكر. فالذكر قد يضاجع أي امرأة بدون أن يحسب حساب لشيء وبدون أن تكون له أي علاقة حميمية مع هذه المرأة، بل حتى لو كان يكرهها فعلاً. أما المرأة فتفضل بقوة أن تكون لها علاقة من نوع ما مع الذكر قبل مضاجعته. ولذلك المرأة التي تتعرض للاغتصاب لا تستمتع أبداً أو إلى حد كبير. وأما الذكر فهل سمعت يوماً أن امرأة اغتصبت ذكراً وجعلته يجامعها عمداً؟ الغالبية العظمى من الذكور لا تحتاج المرأة أن تغتصبهم، بل تعرض عليهم وسترى طابور من الرجال جاهز لتنفيذ الخدمة المقدسة هذه !

وبالمناسبة أذكر أن أحد الأصدقاء كان يجامع أو بصراحتنا المعهودة، كان ينيك امرأة. وكانت تصرخ "خالد ! خالد ! خالد !" بالرغم من أن اسم هذا الصديق هو "محمد" وهي تعلم ذلك، وخالد هو حبيبها الذي تخلى عنها، فهي تتناك من محمد ولكن تخيل لنفسها أنها تتناك من حبيبها خالد. ولما تعجبت من هذا الموقف سألت محمد: وألم تتألم أنت من كونها تقول اسم رجل غيرك وأنت تنيكها؟ فقال لي رد ذكوري عجيب: إني أنيكها بذَكَري وليس بعقلي ! فلتصرخ خالد أو رمزي أو فتحي لا يهمني طالما أنني أستمتع بجسمي !

وقد كنّا بيّنا في بحث آخر أن أصل ومركز المتعة الجنسية موجود في العقل. فهو أمر نفسي في جوهره، حتى لو تنكر له البعض، فهذا التنكر أيضاً من أمارات ذاك الجوهر النفسي. ولذلك نفهم تخيلات هذه المرأة التي تكرر على نفسها اسم حبيبها حتى تستشعر وجوده، فكأنها تخلقه بهذه الأذكار التي ترددها على نفسها. فإذا بها تشعر وتتلذذ فعلاً بخالد وكأنه موجود فعلاً. فتكرار الشيء على مسامع القلب يجعل هذا الشيء موجوداً ولو كان متوهماً. التكرار يحول الوهم إلى حقيقة، في عالم النفس على الأقل. عالم النفس عالم حر، لا يوجد فيه حقيقة واحدة من حيث الصور. أي شيء يمكن أن يصبح حقيقة إذا استعملنا الوسائل المناسبة. والتكرار من أقوى وسائل زرع الحقيقة في النفس. فإن كان الوهم يتحول إلى حقيقة بالتكرار، فماذا يحدث إذا كررنا الحقيقة نفسها! أحسب أن تكرار الحقيقة، والذي هو، أي التكرار، نوع من التنويم المغناطيسي، لا فائدة منه. لأن الحقيقية هي الحاضر، هي الواقع، فالحقيقة لا تكرر، الحقيقة تلاحظ وتعقل. ويمكن أن ينسى الانسان حقيقة ما، فتذكير بسيط وسريع ينفع العارفين.

وأما صديقنا محمد، الذي لا يبالي من ينيك طالما أنه ينيك، فعمله وفكره هذا مكشوف لعين التحليل رذ هو ذكر، والذكر يريد أن يغلب ويتفوق على باقي الذكور، ومن أساليب المنافسة وأكبرها هو أن ينيك نساء أكثر من باقي الذكور. ولذلك لن تتعجبب إذا عرفت أن صديقنا هذا له مثل معروف يردده دائ ,اً على مسامع أصدقائه، إذ يقول عندما يسأهل أحد "هل أنيك فلانة أم أتركها؟" يرد هذا الفحل "لا توفر شيء". أي ضاجع أي امرأة تقدر أن تضاجعها. وإحدى المرات سأله صديق آخر نفس هذا السؤال فقال له فوراً بتعجب وشيء من الغضب "هل أنت مخصي؟". ومن هذه الملاحظات الثلاثة نستطيع أن نفهم نفسية هذا الذكر المثالي: فحتى لا تنخصي (وهو الخوف القديم كما عرفنا) عليك أن تستعمل ذكرك كثيراً. وإذا أردت أن تكون عظيماً فعليك أن تغلب باقي الذكور عن طريق المنافسة العظمى وهي أن تنيك أكبر عدد من النساء. وحتى في بلاد الغرب يسمون المضاجعة score. أي هدف، مثل فريقين يتنافسا في كرة قدم مثلاً. والأكثر تسجيلاً للأهداف هو الرابح. وعندنا في السعودية يسمى الاستمناء أحياناً "تسجيل أهداف" أو "بلنتيات". أذكر عندما أردت أن أدخل في عالم كمال الأجسام، كنت في نحو السادسة عشر أو أكبر بقليل، ومن أول التعليمات التي قالها لي المدرب: عليك أن لا تلعب بلنتيات. فتعجبت، ما علاقة لعب البلنتيات، كرة القدم، بكمال الأجسام !؟ ثم فسر لي أنه يقصد الاستمناء. رمزية عجيبة ولكن أحسب أننا فهمنا جزءاً كبيراً منها. في الغرب يمارسون الجنس كأساس إذ هو ليس محرم اجتماعي، فجعلوا الأهداف رمز على المضاجعة، أما في بلاد العرب حيث يمارس القهر بكل قوته فإن الرجال قد اكتفوا بتسمية الاستمناء برمز الأهداف والبلنتيات. وكله مأخوذ من اللعب والمنافسة. وهذان تجليان لعقدة الخصاء والكبرياء الجوهري.

ويظهر أثر الأفكار والحالة النفسية على المتعة والحياة الجنسية عندما ننظر في ظاهرة القرف والاشمئزاز والتفضيل. عندما يقرف الانسان من نوعية معينة من الناس فلا يرغب أصلاً بممارسة الجنس معهم. أو يشمئز من ممارسة الجنس في أماكن معينة أو أوقات معينة. أو أن يفضل عمل جنسي على عمل آخر، أو استعمال منطقة من الجسم على منطقة أخرى. هذه الثلاثة (القرف والاشمئزاز والتفضيل) ولنعطهم اسم واحد هو الهوى، هذا الهوى يدل على أن العمليات النفسية

تحكم كليا أو إلى حد كبير جداً الحياة الجنسية. وبالطبع فإننا لا نستطيع أن نعين بدقة العوامل التي خلقت الهوى المعين في فلان دون فلان. إذ هذا يقتضي تحليل فلان وفلان بعمق. ولكن بصورة عامة يمكن أن نرى أن الدين والذكريات الشخصية هما أقوى مؤثر في هوى النفس. فالدين الذي يحرم معاشرة المثلية سترى أهله، ولو ظاهراً، يتقززون من مجرد ذكر هذا العمل الشائن-قبحه الله.

ولكن من ناحية أخرى، الذي لا يعبد هذا الدين فإنه لو كان تحت تأثير دين آخر يعظم الجنسية المثلية ويبشر العاملين بها بجنات تجري من تحتها الأنهار، فلعلهم يذهبون إليها ولو حبواً على الجليد، ولكن الدين ليس إلا مؤثر ثانوي في العالم النفسي. إذ الاستعداد الشخصي، والمبني على التجارب الشخصية، هو الوعاء الذي تصب فيه الأفكار الدينية. فلا أحد يعتقد بدين فعلاً إلا لو كان يرغب في الاعتقاد لأسباب وعقد نفسية تسبق معرفته بهذا الدين أصلاً. فالذكريات والتجارب الشخصية هي أقوى مكون فعلي لمدينة النفس. ومن المشهور مثلاً أن كل رجل يفضل المرأة التي تشبه أمه، وكل فتاة التي يشبه أباها. وهذه ليست قاعدة مطلقة دائماً. ولكن التحليل والمشاهدات يؤيدانها بقوة. وكذلك نرى مثلاً أن شخص تعرض لموقف مؤلم من انسان معين فإنه يكره الطائفة التي نتمي إليها هذه الانسان ومن يشبهه. وهكذا إذا حللنا هوى الانسان سنرى أكثره أو كله يرجع إلى تجارب شخصية ومؤلمة ومفرحة. فلا يوجد شيء اسمه "الجمال". الجمال هو معيار شخصي مبني على التجارب والذكريات والعقد النفسية.

واستمداد المتعة من النظر في الجميل، نظر إلى خيال أو واقع خارجي، هو أمر ملفت للنظر ومثير للتساؤل. فكأن النفس لا تعرف الحدود. أو كأنها تستطيع أن تجعل الحد حداً حينما تشاء وتزيله حينما تشاء. ونرى قوة الخيال في أوجها في الأحلام. وخاصة في ظاهرة الاحتلام. يرى نفسه يضاجع امرأة ويشعر فعلاً وكأنه يضاجعها، ويتأثر جسمه بهذه الحلم الخيالي، وينزل المني فعلاً. فكأن الأصل في الحياة النفسية هو عدم وجود الحدود بين مناطق النفس المختلفة، أي النفس وحدة. ثم لأسباب معينة وضعت الحدود والفروق والحواجز. فالأحلام في عالم الأنفس تغني عن التجربة في عالم الآفاق. فالانسان يعيش تسعة أعشار حياته في عقله، وعشر فقط بجسمه، وحتى هذا العشر متأثر بالعقل الكلي. اللاشعوري والشعوري. ضرورات الجسم وسلطة المتسلطين هي التي أخرجت الوعي من جنة النفس، حيث للانسان ما يشتهي بلا حدود، إلى جهنم المجتمع حيث الأغلال والقيود. النفس مقسمة، أو قل تقسمت، بعد وحدة. وآلامها وأعراضها هي محاولات أصل النفس لتوحيد هذه الانقسامات. لا يوجد فرق بين النفسي والطبيعي إلا لاحقاً. والأحلام أكبر دليل على ذلك حيث تعيش النفس في واقع غير واقع الآفاق ولكن تشعر كأنه هو واقع الآفاق، وفي الأحلام تحقيق الرغبات والقيام بالتسويات ومحاولة لتوحيد الانقسامات. ويظهر أن الرغبة في "توحيد الناس والدول" هو انعكاس لهذه الرغبة النفسية العميقة والقديمة. حياة الناس في عالم الأجسام هو انعكاس لحياتهم في عالم الأنفس. انظر إلى أيهما شئت سترى الآخر. ولا يوجد عمل جسماني إلا وهو انعكاس لعمل نفساني. فأينما تولوا فثم وجه باطن الانسان. نفسك هي أعظم كتاب على الاطلاق، ومكتوب فيها ما في السموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى. تعمق في نفسك ترى كل شيء. وإلا فلا شيء إلا كسراب يحسبه الظمآن ماء.

٧- (الاستمناء عادة سرية). السرية تكون للأشياء التي لا ترغب أن يراها الآخرون. وغالباً خشية منهم أو خجلاً منهم. وقد رأينا أن الاستمناء يدل على الذل والقهر،وهذا يجرح الكبرياء. وأيضاً كونه انعكاس لعقدة الخصاء ولذلك يخشى أن يراه أحد "فيأخذ منه لعبته". مفهوم تماماً لماذا يفضل الانسان أن يستمني سراً. وقد ظهر هذا بفضل التحليل الذي سقناه في هذا البحث. فانظر ماذا ترى...

....

(شرح قاعدة كبرى في التأويل النفسي)

١-القاعدة :-

كل عمل إنما هو عمل نفسي، وإذا لم يكن العمل مبني على علم واقعي فهو ناشيء من عقدة نفسية وغالباً لاشعورية ومكبوتة. فكل ما ليس علمي فهو مرضي.

٢- الشرح :-

نحن نعلم من هيكل النفس أن تصور الكمال والسعي لتحقيقه هو هم وعمل الانسان الوحيد الذي لا يستطيع أن ينفك عنه. لا يستطيع، استحالة، لا يمكن أبداً. فلا يوجد إلا تصور ما للكمال وسعي لجعله واقعاً أي مطابقاً للواقع. وتصور الكمال كما عرفنا يرجع إلى الشعور بالكبرياء والراحة على مستوى القلب والجسم، مع اختلاف الناس في تفاصيل وأولويات ذلك.

وإذا نظرنا في الهيكل سنرى أن "الشعور بالألم" و "التفكير" و "الرغبات" و "الأعمال بصورة عامة" كلها فروع، وهذا مهم جداً فتأمله جيداً. كلها فروع ناتجة من عدم مطابقة تصور الكمال للواقع. وبذلك تكون كل هذه الفروع محكومة ومصبوغة بصبغة تصور الكمال. فلا يمكن أن ينشأ شيء من هذه الفروع إلا وهو يحوي في ظاهره أو باطنه أو كلاهما سعياً نحو تحقيق تصور الكمال في الواقع. فالانسان ليس حراً كما يتخيل أو يخيل للآخرين لغايات ما. كل حركة الانسان محكومة بتصوره للكمال، بسعيه للكبرياء والراحة. ونحن نعلم أن القيمة الكمالية إذا تطابقت مع الواقع فإن هذا يثمر شعوراً بالفرح والرضا، ما لم يعرض ذلك معارض، وهذا التطابق يعني أن الطاقة المتولدة عن التفاوت بين التصور والواقع لن تتولد بعد ذلك. فالطاقة تساوي مقدار الفرق بين التصور والواقع. وكلما ازداد الفرق كلما تولدت طاقة أكثر. وهذا قد ينعكس سلباً على النفس. إذ الطاقة إذا زادت عن حدها ولم تجد مخرجاً سليماً فإنها ستخلق منافذ ضارة إذ الألم يمتص ويستهلك الطاقة أسرع من الفرح والعمل الايجابي.

فهذا معنى أن "كل عمل إنما هو عمل نفسي". أي أن كل ما يصدر من الانسان، كل ما يصدر واعياً أو غير واع، قاصداً أو هازلاً أو مخطأ، في يقظته أو في منام أو بين ذلك، كل ما يصدر على الاطلاق، إنما هو عمل مدفوع بدوافع نفسية، أي بحسب تصور الانسان الشخصي للكمال والذي يراه الأنسب في تحقيق جوهره "رك". وهذا يعني أننا نستطيع من الناحية التحليلية أن ننظر في أي إنسان فنرى جوهره وهيكله. نستطيع أن نحلل ونؤول أي شيء يصدر من الانسان ونتتبع آثاره ونرتقي في أسبابه حتى نكشف به هيكله النفسي كاملاً.

هذا في الحالة الطبيعية المعتدلة. ولكن يوجد علامة كبرى إذا رأيناها في عمل فإنها تكون خير دليل نسترشد به لكي نكتشف عن العقد المرضية المتوارية وراء حجب كثيرة. وهذه العلامة هي "أي عمل ليس علمي". أي العمل المنافي لما يعرفه العلم الواقعي وما تقتضيه الضرورة والفطنة

البسيطة. فمثلاً: من الأمور الضرورية أن ينظر الإنسان أمور معيشته حتى يبقى على قيد الحياة. فإذا وجدنا فرداً يرغب فعلاً في أن يحيا، ويخبرنا بأنه يرغب في المعيشة الكريمة، ومع ذلك نراه يسهر كثيراً، ويعمل قليلاً بل لا يعمل وتراه عاطلاً كسولاً يتبنى أفكاراً ومعتقدات تجعله مرفوض اجتماعياً مما يقلل من فرص حصوله على العمل، بل قد نراه معارضاً للعمل في مؤسسات أو تحت رئيس بحجة أن هذا "استعباد" وفرعنة وما أشبه. الآن، الضرورة الواقعية، والتي يرغب هو فيها أيضاً، تقتضي أموراً معينة، وفي نفس الوقت نراه يعمل بطريقة معاكسة لهذه الضرورة ربما يناسب رغبته الظاهرة. فهذا التناقض أو التضارب يدلنا فوراً على وجود عقدة نفسية. وحيث إن الرجل نفسه يتألم من نقص وسائل المعيشة، يتألم فعلاً ولا يمثل. فإن هذا يدلنا على أنها عقدة مكبوتة أو لا يجد هو فكاكاً منها ويشعر أنها تجبره على أن يبقي عليها.

وكذلك مثلاً عندما نرى إنسان مفكر مجادل متبحر يعتنق أفكاراً خرافية أو على الأقل لا دليل حقيقي عليها. وما أكثر هؤلاء ! لاحظ رؤساء وكبراء الديانات في العالم، أكثرهم من كبار الباحثين والمؤلفين والمعلقين والشارحين والمجادلين. وكلهم يعتقد فعلاً أن دينه هو الحق الذي لا ريب فيه. وكلهم كان على هذه العقيدة وسيموت عليها. والعجيب أنه من الناحية العلمية فإن أكثر معتقداتهم كلهم، إن لم يكن كلها، لا وزن فعلي لها. وأبسط ما يقال فيها أنه لا برهان عليها. وأوسط ما يقال فيها أنها غير متناسقة مع مقتضيات وعقائد وأفكار وأحكام أخرى في الدين نفسه. وأصدق ما يقال فيها أنها خرافة وحاجة نفسية. فإذا أخذنا الأبسط فإن العالم المتبحر يجب أن لا يعتقد بما لا برهان عليه، بل لا يمكن البرهان عليه فعلاً. فضلاً عن أن يعتقد فيه كدين مقدس، وفضلاً عن أن يبني عليه حياته ويدعو الناس إليه على أنه الطريقة المثلى. فمن ناحية العلم فإن هذا العمل غير مفسر ومبرر. فما الحل؟ هو أن نبحث في الحيز النفسي.

الذي يعتقد أن ٥+٥=٧٩٩ يجب أن نبحث عن أبعاده النفسية لنفهمه. ويحق لنا أن ننسب له عقدة نفسية تدفعه إلى هذا الاعتقاد الباطل علمياً ومنفعياً. ولكن إذا اعتقد انسان ودافع عن فكرة أن ٥+٥=١٠ فإن هذا يكون تسليماً بالواقع ومقتضى ذاتي للعقل. نعم، يمكن أن نبحث عن دوافع الشخص النفسية التي جعلته يقبل بهذا الواقع، إذ كما عرفنا فإن كل عمل هو عمل نفسي. ولكن ما ليس بعلمي فإنه فضلاً عن أن يكون نفسي فإنه مرضي، نابت من عقدة وكبت في الغالب.

ما أكثر الأمور التي تُفهم وتنكشف تحت ضوء هذه القاعدة الكبرى. وما أكثر الأعمال الانسانية القديمة والحديثة التي شرق الناس في تحليلها وغربوا. والحق أن وضع أي تصرف إنساني تحت ضوء هذه القاعدة كفيل بحلها إلى حل بعيد. أو كلها.

....

(تأويل التجارب الروحية)

١- من أكثر وأقوى الظواهر المنتشرة بين الناس في كل زمان ومكان هي ظاهرة "التجربة الروحية". وحتى في يومنا هذا الذي يعدّه البعض "عصر الالحاد" فإن الغالبية العظمى من الناس تؤمن بوجود التجربة الروحية أو الحالات الروحية، ولا ننسى أنه لا يوجد دين إلا وهو قائم على نوع من أنواع التجارب الروحية. وهذا يكفي لكي يدفعنا ويشوقنا إلى دراسة هذه الظاهرة العظيمة، والبحث عن تجلي جوهر نفس الانسان فيها.

وأول ما يستلفت انتباهنا هو وجود عوامل مشتركة بين كل التجارب الروحية. ولعل من أبرز ما يظهر لنا من هذه العوامل المشتركة هو: الاتصال مع عالم غير عالم الأجسام هذا، عزلة أصحاب التجارب، تغيير نفس صاحب التجربة، حمل فكرة عظيمة لاصلاح الناس، اصطفاء صاحب التجربة من كائن أعلى من الناس والعالم كله.

وبالطبع نحن لا نقصد بالتجربة الروحية كل شعور نفسي يشعر به بعض من يؤمن بأفكار غيبية، لا، فهذه ظاهرة نفسية مفهومة، إذ كل من يؤمن بفكرة سيشعر بمشاعر تتناسب مع هذه الفكرة. ولكننا نقصد التجارب التي تظهر فيها هذه العوامل الخمسة، أو أكثرها، بالرغم من أنه يكاد يندر أن نرى روحاني يحصل على عامل بدون العوامل الأخرى بدرجة أو بأخرى. فكأن هذه العوامل الخمسة جسم متكامل متصل. ونستطيع أن نرى الترابط بين العوامل الخمسة بسهولة. إذ المنعزل سيتصل، والمتصل سيتغير بالفكرة العظيمة، ولا شك أن هذا مصطفى برسالة الكائن الغيبي المتعالي. وأيضا لا يلزم أن يكون هذا الروحاني من الذين تعارف الناس على تسميتهم "رسل الله"، وما شابه. ولكن كل روحاني ولو لم يعترف به الناس كرسول بالمعنى الخاص فهو من الذين يهمنا البحث في نفوسهم.

ولا شك أن النفس يجب أن تكون في استعداد معين لكي ترتقي إلى هذه الدرجة من الروحانية المزعومة. أي قبل أن يحصل الانسان على التجربة يجب أن تكون نفسه على حالة ما هو اختارها بنفسه شعورياً أو لاشعورياً، ولأسباب معينة، ثم بعد فترة من عمل أمور معينة قد يصل إلى "الله" وما شابه. وهذا هو بيت القصيد. فنحن نرى أن ندرس نفس الشخص الذي يرغب في أن يصل إلى "الله" أو "الفناء" وما شابه. ومن هذه النقطة نستطيع أن ننطلق في فهمنا لهذه الظاهرة.

٢-نلاحظ أن "الانعزال" و "الرغبة في تغيير النفس" و "الاصطفاء المرغوب" و "اصلاح الناس" هي أمور تسبق "الاتصال بالكائن الغيبي". فهذه الرغبات الثلاثة، وهذا العمل الواحد هم الأمور اليقينية التي نعلمها عن هيكل نفس الروحاني. وأيضاً نعلم وجود "فكرة" عنده عن وجود عالم أعلى يمكن الاتصال به ولعل هذه الحقائق هي التي جعلت علماء الظاهر يقولون عن أهل الباطن أنهم زنادقة اباحيون. أنه أن فكرة "الباطن" فكرة شر وإباحية وفسق. ولكن ينسى هؤلاء أن كل الأنبياء جاؤوا بفكرة الباطن. بل إنما جآءت من عندهم. فإما أن لا تنسب نفسك لهم. وإما أن

تغير فكرتك هذه وتضعها في موضعها الصحيح. فعجباً من هؤلاء، يقولون عن أهل الدنيا أنهم إباحيون فساق، ويقولون عن أهل الآخرة أنهم إباحيون فساق. فهل نفهم من ذلك أن كل الناس إباحيون فساق..أو أنهم يريدون أن يقولوا أنهم فوق عالم الخلق، فهم والله واحد؟ إن هؤلاء فساق مثلهم مثل البقية، ولكنهم يكبتون الفسق، أو يخرجونه على زوجاتهم وجواريهم وفي بعض الأحيان على الغلمان والمردان، ولاشك أن هذه الأمور ميسرة لهم إذ يتقاضون رواتبهم من الحكومات أو من خمس الشعب الكادح، فيقبعون في أبراجهم العاجية ويصدرون الأحكام التافهة على نفوس الناس المقدسة. ليس أضر على الناس من جاهل يحسبونه من الراسخين في العلم.

وهنا نحتاج أن نبين أمر شديد الأهمية وإني على يقين أن تسعة من كل عشرة قراء وقعوا فيه. وهو أنهم يظنون أن النفس الانسانية شريرة في جوهرها. وأن "الروحانيين" مخادعين محتالين دجالين عباقرة. أقول إن النفس الانسانية مقدسة عن كل شر. بدليل أن أكبر الأشرار لا يعمل الشر إلا لأنه يحسب أنه الخير. وكل من يدرس نفسه ونفوس "الأشرار" على مر التاريخ سيرى هذا واضحاً. وكاستدلال سريع، فرعون أراد أن يقتل موسى، لماذا؟ يقول "إني أخاف أن يبدّل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد". ولم يقل لأني أشتهي ذلك وما شابه. نعم نسب لنفسه أمور ودوافع شخصية مثل "وإنهم لنا لغائظون" ولكن يعلل لنفسه بدوافع الخير والمصلحة العامة.

ثم إن الروحانيين لا تدفعهم هذه الدوافع غالباً إلا لاشعورياً. فعقلهم الظاهر يقول "البحث عن الحقيقة وفهم سر الحياة والفناء في العشق" ولكن العقل الباطن يقول بحسب جوهر النفس وهو ما نذكره في هذا البحث. ولا تتعجب، فادرس إن شئت "يخادعون أنفسهم" وَ "كذبوا على أنفسهم". كيف يخدع الانسان نفسه؟ بدون أن نفترض أن للإنسان عقلين على الأقل، أحدهما يقوم بخداع الآخر، لكان هذا الكلام لغواً، حاشا لله. وأما الاصطلاح "العقل الظاهر والباطن" أو "الشعوري واللاشعوري" فغالباً من علم النفس خاصة مدرسة فرويد للتحليل النفسي. ومعانيها صحيحة ولذلك نأخذ بها. فلا خلاف على المباني ما دمنا نفهم المعاني. ومن المؤسف أن العرب هجروا القرءان ولم يكشفوا عن هذه الأسرار من قديم الزمان، وانشغلوا بتفاهات اليوم يلقونها في المزابل. ولكن لا بأس "لكل أمة أجل" و "لكل أجل كتاب".

فإذن النفس خير محض. والروحاني يخدع نفسه ما لم يفهم الدوافع الجوهرية اللاشعورية التي جعلته يفعل ما... (ملحوظة أثناء النسخ: الصفحات عندي غير مرقمة، ويبدو لي أنه يوجد صفحة مفقودة، لكن ما يلي هو الصفحة التي بعد هذه..)

في القوة فيحكم عليهم أنهم هم الفاسدين. فهو من باب الانتقام. الناس جعلوه مفتقر لهم في أسباب الفرحة والمعيشة وأنه دائماً سيظل أدنى من الكمال عندهم إذ هو "ناقص"، فرد الفعل أنه جعل نفسه أعلى منهم وهم المرضى الأنجاس وهو من الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. قيم المجتمع السائدة تصغر من شأنه، فيوم يهدم كل القيم، فإن قالوا "إنا وجدنا آباءنا" قال إنهم أهل جاهلية، وإن قالوا "الله أمرنا بها" قال إن شريعته تنسخ شريعتهم. وهكذا مهما قالوا فسيجد له حجة قوية تهدم كل نظام قيمهم. والسبب الرئيسي في ذلك، أي السبب الرئيسي

الذي يدفعه حقاً للقيام بذلك، هو الانتقام من نظام القيم الذي يحكم عليه أنه ناقص. في سبيل اتمام جوهر النفس لا يبالي الانسان ولو هدم العرش. وهدمه لعرش لن يكون بدافع شر، لا والعياذ بالله، ولكن لأن الله بدا له أن يغير عرشه فقد أصبح قديماً يحتاج إلى تجديد. ولعل بعض السذج يظن أن هذا نادر الوقوع، فلا يوجد أحد يؤمن بالله يمكن أن يقوم بمثل ذلك. أقول: إن كل من لا يدرس كتاب اله كل يوم ويبني كل حياته عليه فإنما هو يهدم عرش الله. فإذا نظرتم إلى أن "دراسة القرءان" ليست أصلاً من أركان الدين عند الناس، ولا حتى في واقعهم العملي، فعندها لن ترى أنها ظاهرة نادرة على الاطلاق. وهذا استطراد ضروري، فنكف ونرجع إلى ما نحن فيه.

فنلاحظ أن الروحانيين يركزون على "نجاسة" باطن الناس. بل إنه من المحقق والمعروف أن الروحانيين يستهترون ولا يبالون بالطقوس الظاهرية بل يرونها عى أنها من عبادة الأوثان، وفي أخف الآراء أنها شيء ثانوي فرعي. فما تأويل ذلك؟

أولاً، هم يريدون أن يصرفوا انتباه الناس عن الأمور الجسمانية والتي أدينوا بسببها. وأيضاً لأن القيم الظاهرية يسهل رؤيتها والحكم على الناس بناء عليها، فمثلاً نحن نعرف بسهولة الذي يقتل أو يزني لأنه أمر مشاهد. ولكن القيم الباطنية لا يمكن الحكم على الشخص بها، إذ ما أدراك أنه يرائي أو أنه مخلص؟ هل شققت عن قلبه ؟! فالتركيز على الباطن سلاح ذو رأسين، من ناحية نصرفهم عن الحكم علينا بناء على الظاهر، ومن ناحية نسلم من نقدهم لنا بناء على الباطن. فكأننا دخلنا داخل حصن منيع.

ثانياً، رمي الناس بالنجاسة دليل على أن الناس رموه هو بالنجاسة. أو أن قيم الناس تحكم عليه بالنجاسة لسبب أو لآخر. وهذا دليل آخر على قوة "الجرح النفسي" في الروحانيين. وظاهر أن فكرة "النجاسة" تجرح الكبرياء بقوة. فيقوم هو ويرد عليهم الصاع صاعين، هم يقولون أنه نجس، وهو يقول أن الله والملائكة والناس أجمعين تلعنكم وترى أنكم أنجاس، بل إنه يخرجهم من زمرة الناس ويدخلهم في زمرة الشياطين والوحوش والخنازير والحمير والكلاب والقردة والأنعام. نسأل الله السلامة.

وظاهر أنه لولا أن الرجل قد أعين من هؤلاء القوم لما اهتم بأن يسعى ليكون "المصطفى" عليهم. أفضليتك لا تكون إلا بقوة علمك. وما سوى ذلك فحواشي تدل على أمراض نفسية-مكبوتة في الغالب. ومن زاوية أخرى، فإن الروحاني يسعى إلى اتخاذ طرق شاقة جداً جسمانياً لأنه يعلم أن "أهل الدنيا" لن يرغبوا ولن يستطيعوا أصلاً أن يتخذوا مثل هذه الطرق. ومن هذا يستمد فائدتين: الأولى أنه يضمن أنه لن يسعى أحد من أهل الدنيا للسير على نفس هذا الطريق الشاق، وبالتالي يضمن أنه لا تنكشف أسرار عمله وبواطنه وماهية "الروحانية" في عمقها الحقيقي الواقعي. والثانية أنه يشعر بالاستعلاء عليهم حيث أنه يستطيع أن "يتحكم" بجسمه وشهواته بعكس هؤلاء البهائم الذين يأكلون ويتمتعون كالقردة والخنازير. فالرياضيات الروحية الشاقة تجعل أفكار الرجل الحقيقي في خزنة. ولن يملك مفتاح هذه الخزنة إلا من يمر بنفس هذه

الرياضات ويقاسي ويعاني ليتمها. ولعله من سوء حظ "الروحانيين" أني منهم والحمد لله وحده الذي اصطفاني لأكون منهم !

و"الإهانة" لا يشترط أبداً أن تكون موقف واحد أو حقيقة واحدة، لا، بل إن الشواهد الكثيرة والتحليل يدل على أن عدد من المواقف والحقائق يجتمعوا ويكونوا الطاقة اللازمة للسير في هذا الطريق الشاق. وعندما تبلغ الطاقة المستوى الذي يمكن به أن تؤدي الغرض يقع في شعور الانسان الرغبة في "الوصول إلى الله" وما شابه. وعدم ملاحظة العمليات النفسية اللاشعورية المعقدة الطويلة هو الذي يجعل الناس يختصرون الأمر ويقولون "الله هداني في تلك اللحظة". وكأن الله لم يكن موجود قبلها. إن الله لم يتغير ولكن نفوسنا هي التي تتغير. والقاعدة هي أنه إذا تم الاستعداد وصل الامداد. فحقاً إن الغفلة أم الجهالة.

ثالثاً "الرغبة في اصلاح الناس". هذه الرغبة تحتاج إلى بحث كامل خاص لها. إذ هذه رغبة عظيمة شديدة الانتشار أكاد أقول بين كل الناس. فحتى البقاء يرى أن مقاليد الحكم لو وضعت في يده لرجع بنا إلى عصر سليمان الذهبي ! فهذه الرغبة لا تختص بالروحانيين. فحتى الملحد يريدها. فسنبحث هنا في تأويلها من زاوية الروحانيين، وبصورة عامة. وبما أننا فهمنا الرغبة في تغيير النفس وادعاء الاصطفاء، فهذه الرغبة مرتبطة أيضاً بهم برباط ظاهر.

ما معنى "اصلاح الناس"؟ يعني أولاً الحكم بفسادهم. ثم كونهم يفتقرون إلى حكمته المتعالية ودواءه الشافي. ثم كونه بالتالي أعلى منهم إذ هو مطهر الآن وقد صلحت نفس والحمد لله فهو الآن يملك السلطة لكي يصلح هؤلاء المشركون الأنجاس قبح الله أمثالهم. هل أحتاج إلى تأويل ذلك، أم أنه ظاهر لكم؟

الناس جرحوه وحكموا عليه بأنه فاسد. أو إن قيمهم ومعتقداتهم تدينه. فتكون ردة فعله مساوية لها...
أيضاً أن كلا الأمرين يطعنان في كبرياءه. فالأول يجعله وضيع النسب، والثاني يجعله وضيع الخلق. هذا بالنسبة لمجتمع آل فرعن بالطبع، إذ هذه أمور نسبية كما لا يخفى. فهذا أدى إلى جرح عميق في جوهر نفسه. وأضف إلى هذا الأساس بضع فروع أخرى، مثل كونه سمع من أمه أن مخلص سيأتي لبني إسرائيل، وقصص آباء بني إسرائيل وما شابه. فإذا بنا نرى رجل يسعى إلى "الروحانية".

فصاحب النسب الجسماني العادي أو الوضيع تكون عنده قابلية أكبر للاعتقاد بالنسب الروحاني الرفيع. وصاحب الذنب الأخلاقي العظيم تكون عنده قابلية أعظم للاعتقاد بعفو الله والخلق من جديد. والذي لا يملك مال الأرض سيسعى لمال السماء في الغالب. فإذن الروحانية ملجأ لمن لا يجدون الكبر في الأشياء الجسمانية. فمصائب الدنيا طرق الآخرة.

(ملوحظة أثناء النسخ: يوجد خلط لا أريد تمييزه وبذل الوقت والجهد فيه، وسأترك المقالة مع الخلط فيها كتذكير بوجود الكتابة بنحو منظم أكثر وترقيم الصفحات إن كانت باليد أو الكتابة على الكمبيوتر مباشرة والنشر الفوري، فهذه من عواقب عدم نشر المكتوب فور كتابته للناس. وليكن في هذا عبرة.)

ثانياً، الرغبة في الاصطفاء". بعد أن فهمنا من سر الرغبة في تغيير النفس. نستطيع أن نرى بسهولة ارتباطها بهذه الرغبة الثانية.

ما معنى قول رجل للناس "إن الله اصطفاني"؟ هذا يلزم أنه لم يصطفيكم أنتم. وهذا يعني أني أفضل منكم. وهذا يؤدي إلى الشعور بالكبرياء. وهذا هو المرغوب. وفي مثال موسى، فظن فرعون إلى هذا فقال لموسى لما ادعى الاصطفاء "وتكون لكما الكبرياء في الأرض". ومن إحدى الزوايا هذا كلام صحيح. فنعم موسى يريد الكبرياء في الأرض كما أن فرعون يريد الكبرياء في الأرض "أنا ربكم الأعلى" ولكن الفرق أن موسى يريد الكبرياء بالعلم وفرعون يريده بالإرادة. فجوهر نفس موسى هو هو جوهر نفس فرعون، ولكن الفرق هو في الوسائل التي يتبعها كل واحد منهم لتحقيق رغباته. ولعل موسى لو كان ابن فرعون حقا لما بالى بأمر الدين، بل لعله أول المحاربين لهؤلاء الزنادقة الأذلاء الذين يريدون الحرية.

وبالطبع ما أجمل أن يدعي الانسان أن كائن غيبي أعلى اصطفاه على الناس، واختصه بحب خاص من دون الناس. ولاحظ أن الاصطفاء دائماً يذكر مقارنة مع الناس. فهو لا يقول "إن الله علمي كذا" وفقط. ولكن دائماً يُذكر الاصطفاء كخصيصة من دون الناس . وظاهر أن الرغبة الحقيقية التي تدفع لمثل هذه الأفكار هي الرغبة في الاستعلاء على الناس لكي يستمد الشعور بالكبرياء. وكما قلنا فمن الجميل أن يدعي أن "الله" اصطفاه، حيث إنه لن يستطيع أحد أن يثبت بطلان كلامه. إذ لا هو ولا غيره سمعوا من الله أو رآه شخصياً حتى يتأكدوا. هذا إذا اتفقنا أصلاً على تعريف "الله| ما هو ومن هو وأين هو. وكمثال مبسط، تصور لو جاء رجل وقال "إن زعكنيل قال أني أهم إنسان في العالم كله. وزعكنيل هو أقوى كائن في الوجود". فلا نحن نعرف زعكنيل هذا ، ولا نحن نملك وسيلة لنبرهن على أنه قال مثل هذا الكلام. ...

ما الذي يجعله يكره الأب ؟ الكره والمعارضة عمل عقلي يدل على نضج. إذ لولا ذلك لخشي على نفسه من المعارضة، والتي قد تودي بحياته. ولذلك يكبت الكره داخله حتى يتمكن من الافصاح دون خوف. وكلما اشتدت قوة المعارضة كلما دل ذلك على الكبت الأعظم الذي اضطر أن يمارسه الانسان على نفسه في حين كان صغيراً ضعيفاً. وكأن المعارضة انفجار. إني لا أجد إلا أن الأب والمجتمع تسببوا في جرح نفسي للشخص، جرح عميق يضرب كبرياء النفس بطريقة لا يمكن شفائها إلا بتدمير كل منظومة القيم التي يملكها المجتمع. كأن يكون الحدث قد وقع في الماضي، والماضي لا يمكن تغييره، فإذن يجب أن ندمر الشيء الذي يجعل عملنا الماضي قبيحاً حيث أننا لا نستطيع أن نغير العمل نفسه، وبذلك يسلم كبرياؤنا.

وأما متى وقع هذا الجرح فيختلف من بين شخص لآخر. ونوع الجروح كذلك يختلف. فقد يصاب بالجرح في الطفولة فترى أنه شاب روحاني. أو في أي فترة. ولكن الجرح النفسي يسبق السعي الروحاني دائماً. ولعل هذا من أسرار كونهم يجعلون الوصول إلى الله شفاء لكل ما في الصدور. وهذا وحده دليل يكفي على أن المرض في الصدور هو الذي دفعهم إلى السعي إلى الله، أو كان أحد أهم الدوافع.

ومن تجربتنا ودراستنا للأعمال التي يقوم بها الروحاني للوصول إلى القمة العليا أو "الله"، كالصيام والجوع، والرياضات والأذكار وحفظ الأوراد، والتأمل والانعزال المفرط وغير ذلك من أخلاق التواضع والكرم والانفاق، كل ذلك مما يخالف جوهر النفس-أي الراحة والكبر، كل هذا يدل على أن الجرح النفسي يجب أن يكون شديد العمق ومجلبة للذلة العظيمة. ولولا ذلك لما تحمل كل هذا الجهد العظيم. والجرح لا يكون في الراحة فقط. بل لعل أكثره إن لم يكن كله يصيب الكبر، أي الجرح النفسي يقع على الكبر.

فالمجتمع سبب الجرح، والجرح سبب الرغبة في الاكتمال، وبما أنه لا يوجد إلا طريق واحد وهو عدم قيم المجتمع التي تسبب الجرح وتسهر على بقائه، فلهذا يسعى الروحاني إلى تغيير نفسه ويتخذ لهذا طرقه المعروفة. فالأنبياء أبناء تعذيب المجتمع.

وكمثال انظر إلى موسى. نرى الجرح واضحاً في أمرين: كونه لقيط، وجريمته الضالة التي ارتكبها. فكونه تربى في بيت فرعون، وهذا بيت متكبر ولاشك ومن شأن المتكبرين أن يقدسوا الروابط الدموية والاعتبارات الجسمانية هذه. ونستطيع أن نفترض بيقين أنه كان يعيّر بسبب كونه لقيطاً، والأسوأ لو افترضنا أنهم يعرفون أن أصله من بني إسرائيل المستضعفين الأذلاء. على كلا الوجهين، فإنه كان يهان بسبب روابطه الجسمانية. ثم جريمة القتل التي ارتكبها. وهذا فعل يهين صاحبه. ثم تأمل جيداً في أن كلا الأمرين لا يمكن تغيرهما أبداً. فهو لا يستطيع أن يغير روابطه الدموية، كذلك لا يستطيع أن يرجع إلى الماضي ويغير جريمته. ثم لاحظ ...

ولكن ما الذي أدى إلى تحمل هذا للعزلة ورفض البقية لها؟ وما الذي جعل هذا يعتقد بامكان الاتحاد بالنبوة ورفض هذا لها؟ هنا قد نضع فروضاً تفسير ميل الأول للعزلة. مثل أنه من عائلة ثورية، أو أن أباه يعارض الأفكار السائدة دائماً وبقوة، أو أنه مرّ بتجارب معينة حببت إليه العزلة. ولاشك أن ذلة المجتمع تؤدي عن طريق دافع الكبرياء إلى أن يتولد في نفس مثل هذا الشخص شعور بتقدير أكبر لأفكاره الشخصية. وبذلك إذا رأى هو أنه بالامكان الوصول إلى ما يزعم المجتمع أنه لا يمكن الوصول إليه، فإذن يمكن الوصول، واللعنة على هذا المجتمع المذلول الجاهل.

فالروحاني يملك كره شديد للمجتمع واحتقار عظيم له، ويملك اعتداء كبير يعقله الشخصي، وكذلك يملك رغبة في اصلاح مجتمعه. وقد يظهر هذا على أنه تناقض، إذ كيف يكره مجتمع ويرغب في اصلاحه؟ هذا ليس تناقض. إذ هو يكرهه لأنه يحول بينه وبين تحقيق رغباته، ولكن يحبّه لأنه يرغب في أن يطبق عليه أفكاره. فالمجتمع بالنسبة للروحاني هو كالمرأة التي يرغب في

أن يتجلى فيها رجل يرى نفسه في جمال يوسف. فهو ساحة تجارب ليس أكثر. ولا يخفى الشعور بالكبر الذي يتولد في النفس عندما يرى الانسان أن أفكاره منشورة في المجتمع ويعمل بها الناس. خاصة إذا كان هذا المجتمع هو نفس المجتمع الذي يكرهه، إذ سينظر إليه على أنه انتصار وفتح من الله له.

ومع ذلك فيبقى جانب يحتاج إلى تأييد أقوى. إذ نعم قد يكره الانسان المجتمع وقد يكون ترى في بيت ثوري نسبياً، ولكن هذا لا يفسر سبب الكره الكامل، ولا يفسر مصدر القوة التي جعلته يتحمل العزلة والأعمال الشاقة في "سبيل الله". فمثلاً إبرهيم تربى في بيت عابد أصنام وقوم كلهم يعبدون الأصنام، فمن أين جاَءه الدافع؟ من أين جاَءته الرغبة في مخالفة أبيه وقومه؟ وأما أن نقول أنه فكر وعرف الحقيقة ولذلك خالفهم فهذا وهم. إذ الرغبة تسبق الفكرة كما هو معلوم من هيكل النفس. فأولاً رغب في معارضة أبيه، ثم بحث و"عرف الحقيقة". ونستطيع أن نشعر برغبة في المعارضة الشديدة من دراسة قصته في تلك المرحلة، وكأنه يرغب في المعارضة لذاتها، وليس من باب التعليم فقط، فمعلوم أن التعليم المجرد أهدأ من ذلك بكثير. فالتساؤل هو: ما الذي جعله يرغب في معارضة أبيه وجعله ضاَلاً جاهلاً صغيراً عابد للشيطان وسيتعذب قريباً إن لم يخضع له؟ وكإشارة فقط أذكر بأن قول إبرهيم لأبيه "سأستغفر لك" لا يحوي أي حب كما يظن السذج، إذ هذه أكبر إهانة يمكن أن توجه لانسان، جرب أن يأتيك أحد ويقول لك "اذهب يا عابد الشيطان، سأستغفر لك ربي" وانظر ما هو شعورك عندها. فضلاً عن لو كان هذا الشخص هو ابنك الصغير.

فكرة الأب، أو المربي عامة، خاصية بين الروحانيين. وليس للأب من حيث شخصه أي اعتبار في ذلك، فكرهه هو كأحد رموز المجتمع. إذ الأب هو الجسر بين أفكار المجتمع والابن. فكرة الأب هو بداية الانفصال عن المجتمع. وأما لو كان الابن يحب أفكار الأب لأصبحت العلاقة بينهما كيوسف ويعقوب. ...

لتحقيق هذه الرغبات. و"فكرة" أخرى تقول أن العزلة طريق لوقوع هذا الاتصال. وأما مصادر هذه الأفكار فتختلف من روحاني إلى آخر. فقد يحصل عليها فلان من أقوال المجتمع أو من كتاب مقدس عنده أو قياس شخصي يقوم به كأن يقول "لكل منزل صانع، فللعالم صانع. وكما أني أستطيع أن أتصل مع المقاول الذي بنى منزلي فأستطيع أن أتصل مع الخالق الذي صنعني" وما شابه، وذلك من قياسات وأمثال. ولعل أكثر من مصدر يتعاونون لكي يدفعوه إلى فكرة معينة. أيا كان المصدر لا يهمنا هنا إذ هذا كما قلنا يرجع إلى كل روحاني.

فإذن هذا هو هيكل النفس الذي يظهر لنا من النظرة الأولى لنفوس الروحانيين: ثلاث رغبات، فكرتين، وعمل.

وبالطبع لا نلتفت إلى ما يزعم البعض من الروحانيين من أنه أراد أن "يبحث عن الحقيقة مخلصاً لها" أو "يريد أن يعرف الله ليعبده لأنه يستحق العبادة" فهذه وأمثالها من الأوهام لا محل لها في جوهر النفس في الأصل. وهي من الأعمال التي تتحقق بها بعض الرغبات. وهذا أمر مفروغ منه.

فتعالوا نبدأ بتأويل الرغبات الثلاث.

٣-أولاً "الرغبة في تغيير النفس". لولا أنه يكره نفسه لما أراد تغييرها. فلماذا يكره نفسه؟ وهكذا ظهرت لنا فوراً أولاً نتيجة عظيمة من هذا البحث، وهو أن كل الروحانيين أناس لهم كره شديد لأنفسهم، وكلما اشتدت أعمالهم وقسوتهم على أنفسهم كلما دل ذلك على شدة كرههم لأنفسهم. فالعلاقة بين كره النفس وحب الروحانية علاقة طردية.

كره النفس هو من "الشعور بالقصور". وهذا يعني أن "تصوره للكمال" يحوي صوراً عالية تخالف واقعه. ولكن هذا ليس تفسيراً كافياً، إذ هذا يلزم أن كل أهل المجتمع نفسه يجب أن يسعوا السعي نفسه، أو أكثرهم. فمثلاً لو كان وجود صورة "النبي" في عقول أو تصور الإنسان للكمال يعني أن يسعى الانسان لأن يكون نبياً، لكان المفترض أن يسعى كل من يحوي نفس التصور إلى نفس الهدف. وهذا غير واقع. ولكن قد يحوي الانسان قيمتين متعارضتين، واحدة "النبي" والثانية "انتهاء النبوة"، وتكون الثانية مدعومة بقوة أخرى مثل قبول المجتمع لها والعقاب على مخالفتها بعقوبة شديدة وغير ذلك، فتطغى قوة الثانية على الأول فتقتلها أو تقتل رغبة الانسان في الاتحاد بها والسعي لها. وبذلك يكون الذي سعى للاتحاد بها انسان لا يبالي بالمجتمع، ولعل هذا ما يفسر انعزاله من إحدى النواحي. ...

يفعل، ففي البدء لا يلتفت إلى أنه يسعى إلى الله بسبب الجرح النفسي. ولكن بعد الوصول الحقيقي فإنه يتذكر كل شيء، ويعرف الحق. ولذلك بعد أن وصل موسى، ماذا فعل؟ رجع إلى فرعون يواجهه. ولما أراد فرعون كسر نفوس موسى عن طريق تذكيره بجريمته، ماذا فعل موسى؟ اعترف. "وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين. قال فعلتها إذن وأنا من الضالّين. وفررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين". فمواجهة النفس والماضي والاعتراف به هو دليل القوة النفسية. وبدون الاقرار بالدوافع الباطنية الجوهرية فإن الانسان في جهنم حتى لو كان أخلص المؤمنين أو أكبر عباقرة القرن أجمعين.

فإذن كل من لا يقر، على الأقل لنفسه، بجوهر النفس، فهو منافق يكذب ويخدع نفسه.

٤-وعلى ذلك نكو قد فرغنا مبدئياً من تأويل ظاهرة الروحانية بصورة عامة. ولعله من الخير وللتوسع أن تدرس نفوس كل الروحانيين من هذا الضوء، أو بهذه العين الجوهرية حتى نزداد علماً، فإما يزداد يقيننا بنتائج هذا التأويل، وإما نعدل فيه بحسب ما يظهر. وكما قلت فهذه دراسة مبدأية على عجالة وللحديث بقية إن شاء الله.

....انتهى الكتاب والحمد لله.